د. محمد توفيق صدقى

بشائر عيسى ومحمد

فى العهد القديم والعهد الجديد



دراسة وتحقيق وتقديم

خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

د. محمد توفيق صدقى

بشائر عيسى ومحمد
فى العهد القديم والعهد الجديد

دراسة وتحقيق وتقديم
خالد محمد عبده

الناشر
مكتبة النافذة

بشائر عيسى ومحمد فى العهد القديم والعهد الجديد

تأليف: د. محمد توفيق صدقى

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع ٢١٦٥٢/٢٠٠٦



الناشر: مكتبة النافذة

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى(ميدان الساعة) - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تمثل مسألة الإيمان بالمخلص الآتي عقيدة ذات شعبية هائلة لدى جماعات المتدينين بالأديان عامة، وتعد مرتكزا هاما في الفكر اليهودي والمسيحي، والإسلامي على مستوييه السني والشيعي، لكن هل لذلك علاقة بموضوع التبشير بمحمد في الكتب السماوية السابقة؟!

أحسب العلاقة هنا عكسية، بمعنى أن النصوص التي يستشهد بها طائفة الإسلاميين على ذكر محمد في الكتاب المقدس، هي هي نفسها النصوص التي يستشهد بها اليهود على مخلصهم، والمسيحيون على يسوع الآتي مرة أخرى.

وعلى حين يؤمن أتباع الدين اليهودي والمسيحي بمخلص آتٍ، عبر تحليلهم للنصوص الكتابية المقدسة، يصرف المسلمون جملة هذه النصوص إلى مُحمد الذي قد أتى بالفعل، وأثر الدين الذي بعث به في تاريخ البشرية، وأكمل البناء الإلهي الأرضي.

لكن هل صمت الفريقان من أتباع الأديان السابقة على أتباع الإسلام الخاتم؟!

لم يقف أتباع الدينين مكتوفي الأيدي تجاه ما فعله علماء المسلمين إزاء نصوص أهل الكتاب (اليهود، المسيحين)، بل ولّد فعل المسلمين العلماء، منتوجات شفوية وكتابية سجالية جدلية، ردًّا على طائفة المؤمنين بمحمد، والذي بدا موقفهم -

بالنسبة للطرف الآخر- موقفا تعسفيا عنيفا لا رحمة فيه ولا شفقة.

إذ يأخذ المسلمون آخر أمل لهم في النجاة، انتظارهم المخلص الآتي، كي يجعلوا ذلك في صالح نبيهم مُحمد، وهنا هبت رياح الغضب والتعصب الديني، فهبت جماعة اليهود للثأر من المسلمين، لكنهم كانوا من الذكاء بمكان كبير.

إذ تمثل موقفهم في محاولة تقويض أركان الدولة الإسلامية، بالتغلغل في العقول، وتسريب أفكارهم الهدامة في كيان الدولة الذي ما زال - آنذاك - صافيا، حتى قلبوا لهم الموازين؛ فالعقيدة التي نعاها القران على النصارى من تأليه المسيح، تحولت لديهم لتأليه شخص من عائلة محمد الكريمة، ونسوا ما ذكروا به.

لكن المكر والدهاء لم يكن من صفات المسيحين، فهم ليسوا في حاجة إلى ذلك، فالدولة تحتاج إليهم، ولا تستطيع الاستغناء عنهم، فهم كتبة الدواوين ووزراء المالية، وبيدهم موارد الدولة؛ إضافة إلى مجهودهم العالي في نهضتها العلمية والفكرية.

ولقرب هؤلاء بمجالس الخلفاء، ولمكانتهم لديهم، بدأوا بزحزحة الأحجار المتراصة ليجعلوا منها مادة لبناء أطروحاتهم.

فبدأ العلماء النصارى بكتابة مؤلفات للطعن على الإسلام، وإفساد معتقدات العامة وتشكيكهم في دينهم، وهنا توالت الردود من الطرف الإسلامي، وبدت ساذجة في بداياتها إلى أن قيض الله لهذه المهمة أناس من كبار العقول عرفوا فيما بعد باسم " المعتزلة " كان هدفهم الرئيس إعلاء كلمة الحق، والذب عن دين الإسلام بكل ما أتوا من مجامع الحجة والبيان والتعقل [1].

وربما لن تجد أطروحة في مستوى الفكر الإسلامي تعلو أو تحازي كتابات

---

[1]: يجدر التنبيه هنا إلى أن العامة قد توارثوا فكرًا معكوسا عن المعتزلة، فلم يعرفوا عنهم سوى إنكارهم لرؤية الرب في الآخرة، وانعدام الشفاعة، وخلق القرآن؛ حيث تغلب البناء المدرسي وجرى استبعاد فكرهم المستنير عن حرية الإنسان والدفاع عن الدين، وفي ذلك في لفة للبناء المحمدي لهذا المجتمع الذي استفاد من مهارات الآخرين، وصرف الوجه عن معايبهم، فما لأحد كمال سوى خالق الكمال .

المعتزلة في هذا الحقل من الدرس، بل لقد رأى البعض أيضا على المستوى الإسلامي المسيحي.

وأنا هنا لم أتشعب بالقارئ الكريم في موضوعات أخرى بل إن هذا داخل في طلب موضوعنا، إذ إني لم يتولد لديّ قناعة - حتى الآن [1] - سوى بما قاله المعتزلة في هذا الباب.

حيث ذكر الجاحظ سبب إحجامه عن الاستدلال بالبشارات على نبوة محمد: " ولم أستدل على ذكره في التوراة والإنجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به في الكتب الأوائل متى وجدت النصراني واليهودي يسلم بأرض الشام وجدته يعتل بأمور ويحتج بأشياء مثل الأمور التي يحتج بها من أسلم بالعراق وكذلك من أسلم بالحجاز ومن أسلم من اليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر. وكيف يتلاقون ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ولو كانوا كذلك لظهر ذلك ولم ينكتم كما حكينا قبل هذا ".

ثم يأتي بعد الجاحظ القاضي عبد الجبار ليدلي بدلوه في القضية فيقول:

فأما اشتمال التوراة والإنجيل على البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فمما عرفناه بالقران، وقد ذكر في ذلك ألفاظ كثيرة - ثم يروي بشارة سفر التكوين - ...... وإنما اقتصرنا على ما ذكرناه لأنه: لا فائدة لنا في ذكره؛ لأنا لا نستدل بما حل هذا المحل (= التحريف) على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولأن القوم لو نازعونا في الذي ندعيه من هذه الألفاظ ومعانيها لم نرجع إلى الثقة فيما نورده؛

---

[1]: قبل كتابة هذه المقدمة الوجيزة طوفت في أغلب الكتب التي تحدثت عن موضوع التبشير بمحمد في الكتب المقدسة لمدة سنتين وتابعت فيها الأطروحات سواء ما كان منها مدونا في أطروحات الجامعة أو في الكتب المطروحة في الأسواق، فلم أجد فيها بحثا شافيا، أو على مستو علمي جيد سوى ما عثرت عليه، من بضعة أوراق نشرت للعلامة سامي البدري الشيعي في كراسة له تحت عنوان البشائر حلل فيها بشارة يعقوب النبي، وتتبعها في ترجماتها الأصلية، إلا أنه في كتابات أخرى لها حاول أن يجد في الكتاب المقدس ما يدعم نظرية المهدي المنتظر، وقام باستخراج بعض النصوص التي أيدت مزاعمه (يراجع منشورات العلامة البدري المطبوعة في بغداد) وبعض التحليلات لعبد الأحد داود، ومناقشات صدقي في كتابنا هذا.

لأن هذا التفسير لم تثبت عندنا صحته، ولا المفسر ثبت عندنا نقله، وإنما نرجع فيه إلى ما يجري مجرى خبر الواحد، أو إلى اعتراف القوم بذلك، وأيهما كان، فإنه يضعف عندنا التعلق به على طريقة الاحتجاج، وإن قوي التعلق به، إذا كان المقصد مدافعة القوم عما يحاولون الاحتجاج به علينا من ألفاظ التوراة .

يضاف إلى ذلك أن المسلمين يعتبرون الكتاب المقدس نصا غير محفوظ فقد نالته أيدٍ بشرية بالتعديل والصياغة والترجمة، فمن ثم تحرف عن حقيقة الإلهية إلى صيغة بشرية هي من صنع أشخاص لا إله، إلا أنهم يحاولون القول بأن نصوصا لم تمسها يد التحريف وظلت على حالها من أمثال: الوصايا العشر في التوراة، وموعظة الجبل في الإنجيل، وبالطبع النصوص الخاصة بالتبشير بمحمد، إضافة إلى كل ما يتفق مع النصوص القرآنية فهو مقبول، وما يخالفه فهو مرفوض مقطوع بتحريفه.

إلا أن ذلك لم يجر على نسق منظم بل اعتبارًا لعقيدة سارية، دون تنظير مؤصل، فلم يجر فعلا تأويل آيات من العهدين بما يدفع شبهة عن النصارى، كما فُعل بخصوص الآيات القرانية حين تأويلها.

كل هذا يوقع المرء في حيرة شديدة إذا ما أراد الإمساك بنتيجة قطعية في هذه القضية؛ لأن العاطفة تدخلت كثيرًا، والتعصب أيضا لدى كل من الطرفين، إلا أن الحيرة سرعان ما تحاول أن تخمد جزوتها المستعرة حينما أتذكر مقولة الأستاذ أمين الخولي:

" ومن قال إن الطالب يستطيع أن يصل بالبحث إلى غايته؟

نحن نعيش العمر كله طلاب علم كادحين إلى ما نستشرف له في كل خطوة من جديد الآفاق والغايات وما من بحث يمكن أن يقول الكلمة الأخيرة في موضوعه، وجهد طالب العلم لا يقاس بمدى ما قطع من أشواط، وإنما يقاس بسلامة اتجاهه، ولو لم يقطع سوى خطوة واحدة على الطريق الطويل الممتد إلى غير نهاية ولا مدى "[١].

---

[١]: راجع: على الجسر لـ عائشة عبد الرحمن ص ١٣٤، ١٣٥ ط: الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م .

وحينما ألمح بوارق الأمل في المؤلفات القديمة ذات العبق العلمي العالي، الذي حاول مؤلفوها قدر الإمكان أن ينتصروا للقضية العلمية، لا إلى معتقدهم أمثال علي بن ربن الطبري، الذي صنف في هذا الموضوع كتابًا برأسه أسماه (الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم)

على أن موضوع التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس يحتاج في دراسته، لكي يؤتي ثمارا حقيقة لمراعاة الجوانب التالية:

١- الاطلاع على النسخ المخطوطة للعهد القديم والعهد الجديد كل في لغته الأصلية، بحيث يتم دراسة النص من خلال النص، لا عبر ترجمة في لغة أخرى قد يتعلل أحد الطرفين، بتصرف النساخ أو المترجمين في النص قصدا إلى تيسير لطلابه، وبحيث يخرج الباحث بنتيجة لا تحمل أدنى شك أو ريب.

٢- تجمع الروايات الخاصة في كتب السيرة النبوية، والتي تحمل طابع التمهيد لرسالة النبي محمد، من خلال بشارات الحكماء، والكهان، والأحبار، كما يضم إلى ذلك ما ورد في كتب دلائل النبوة، وهي كثيرة سواء ما كان فيها مطبوعا أو مخطوطا، ودراسة هذه النصوص وتحليلها ونقدها نقدًا جيدًا، إذ أن بعضها يجمعها الرواة على أنه كان سببا في إسلام شخص من صحابة النبي، أو سببًا في نزول آية معينة من القران، الأمر الذي يعطي تداعيات هامة في تكوين التراث الإسلامي، خاصة إذا ضم إلى قضية الإسرائيليات في الفكر الإسلامي.

٣- الربط بين فكرة الحقيقة التي أمست معتقدا ذا مكانة عالية عند السادة الصوفية المسلمين، وفكرة إيمان الأنبياء بمحمد وإمامته لهم، وبين قضية التبشير به على لسان الرسل السابقين.

٤- تحليل الآيات القرآنية الخاصة بهذا الموضوع، ومحاولة فهمها فهمًا جيدًا يتناسب وصياغة النص القرآني، بحيث يتأكد الباحث هل جرى ذكر محمد صلى

الله عليه وسلم باسمه الصريح المشهور في الكتب السابقة، أم بالوسم والعلامة، كما ذكر صحابة أو أتباعه وأمته بصفتهم ؟!

٥- مقارنة التحليلات الإسلامية للنصوص الكتابية ومثيلاتها على الطرف الآخر، وتحكيم الأحداث التاريخية في الفصل بينهما، إذ أن التاريخ هنا يلعب دورا هامًا في تأويلات الدارسين.

وبرأيي أن أي رؤية تتناول القضية هذه مستبعدة الجوانب، تؤتي ثمرًا غير ناضج، فلا تقطع شكًا، ولا تثبت يقينًا، بل تزيد الورق المتراص على أرفف المكتبات قطعا تزاحمها في مكان نومها، ونحن بحاجة للبعث لا إلى الموات .

كتبه: خالد محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله،

أما بعد :

فلا خلاف بين أحد من المسلمين أن أسفار أنبياء بني إسرائيل قد بشّرت بالمسيح و محمد عليهما الصلاة والسلام فلا ننكر على النصارى كثيرًا مما يستشهدون به من العهد القديم على نبوة عيسى وكثير من أحواله وأخباره، والذي ننكره عليهم إنما هو استشهادهم بالعهد القديم على صلبه وألوهيته .

فتتميما لبحثي السابق في (القرابين والضحايا)[1] أردت أن آتي هنا على أعظم حجج النصارى من كتب اليهود على صلب المسيح وألوهيته وأُظْهِر بطلانها واحدة بعد أخرى، ثم آتي ببعض الدلائل على فساد كتاب العهدين وأختم مقالي ببيان أن التوراة والإنجيل الحاليين - وإن كان قد دخلهما التحريف والتبديل - لا يزالان يشتملان على كثير من البشائر الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ١٥٧) .

ولا يخفى على الباحثين أن أساس الديانة المسيحية: إنما هو العهد القديم وما يستشهدون به منه على عقائدهم، ولولا ما كانت لهم حجة واحدة على عقيدة

---

[1] : نشرت رسالته المنوه بها في الجزء الأول من المجلد ١٥ ص ٦٧، بتاريخ المحرم ١٣٣٠ ـ يناير ١٩١٢.

من عقائدهم التي يخالفوننا فيها، فعلى العهد القديم مبنى اعتقادهم وهو أساس دينهم؛ ولذلك كان البحث في هذه المسألة ونقضها بالدلائل نقضًا للدين المسيحي الحالي كله من أساسه، ولولا اعتداؤهم علينا في ديننا ما تعرضنا لهم بشيء من مثل هذا فهم البادئون، والبادئون هم الظالمون .

فنقول وبالله تعالى وحده نستعين:

(الفصل الأول)

في بيان فساد ما يستشهدون به على الصلب في العهد القديم

برهانهم الأول :

قالوا: إن النبي دانيال أخبر في كتابه عن صلب المسيح، وأن ذلك كفارة لذنب أمته وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، ومع أن اليهود ينكرون مسيحنا إلا أن هذا الكتاب لا يزال عندهم وهم يعتقدون صحته[1] وهاك عبارة النبي دانيال في هذه المسألة .

قال في الإصحاح التاسع من كتابه: إن جبرائيل قال له: (سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين؛ فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا يعود ويُبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة، وبعد

[1]: كتاب دانيال هذا يقول فيه صاحب كتاب (إظهار الحق :) إنه لم يكن مسلماً عند اليهود القدماء قبل عيسى عليه السلام ولا في زمنه ولم تكن اليهود تعترف بنبوة دانيال أيضاً، وإنما كان تسليمهم بصحة هذا الكتاب ونبوة دانيال بعد عصر عيسى عليه السلام، وعليه فجميع ما يأتي في هذه الرسالة هو على فرض أن هذا الكتاب كان معترفاً به بين اليهود القدماء، وهو وإن كان مسلماً به عند جميع النصارى الأقدمين؛ إلا أن البروتستنت تعترف أنه قد زيد فيه الإصحاح الثالث عشر والرابع عشر، وكذلك نشيد الفتيان الثلاثة المقدسين، فلذا حذفوا هذه الأشياء من نسخهم، ولكن أبقاها الكاثوليك للآن عندهم فلا يبعد أنه قد زيد فيه أشياء أخر ودخلت في أصله العبري قبل أن تعترف به اليهود ويعولوا عليه فانطلقت عليهم هذه الزيادات فيما بعد (راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة) .

اثنين وستين أسبوعًا يقطع المسيح وليس له، وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وحزن قضى بها ،ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) (دانيال ٩: ٢٤ -٢٧)

وقبل تفسير هذه العبارة نأتي هنا على نبذة تاريخية في هذه المسألة فنقول:

اعلم أن الله تعالى سلط على اليهود بُخْتنصر ملك بابل بسبب عصيانهم وتمردهم فحاربهم عدة مرات وأخذ في أول مرة بعضهم أسرى إلى بابل، وفيهم دانيال النبي، وفي آخر مرة سبى أكثر الشعب وأخذ الملك صدقيا وقتل أولاده وأحرق الهيكل المقدس وخرب المدينة، وكانت مدة هذا السبي سبعين سنة، وكان إتيان بختنصر إليهم في المرة الأخيرة سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وفي سنة ٥٣٦ ق .م .
أذن كورش (وهو مؤسس المملكة الفارسية) برجوع اليهود من بابل، وكان ذلك في السنة الأولى من ملكه فلما رجع اليهود إلى أورشليم شرعوا في بناء الهيكل وفي بناء بيوت لهم وتوفي كورش بعد أن حكم ٧ سنوات فقط وقد تم بناء بيت الله (الهيكل) في السنة السادسة من ملك داريوس

(راجع سفر عزرا ٦: ١٥)، وبعد ٦٩ سنة من صدور أمر كورش برجوع اليهود إلى أورشليم لبناء بيت الله وسكناهم فيها .

ولد لليهود في بابل رجل صالح تقي يدعى (نحميا) ولما كبر عُين ساقي الملك (أرتحتشستا) ولما بلغه أن سور أورشليم متهدم وأبوابها لا تزال محروقة بالنار حزن وتكدر (راجع سفر نحميا ١: ٣) وبكى ودعا الله كثيرًا ولما رآه الملك كئيبًا حزينًا أرسله الملك إلى أورشليم لبناء سورها وعينه حاكمًا عليها وكان ذلك في سنة ٤٤٥ ق. م .

وعمره نحو ٢٣ سنة وكمل هذا السور في ٥٢ يومًا وصار عزرا الكاتب يعلمهم شريعة موسى ليعملوا بها واحتفلوا بأعيادها، وأول عيد كان عيد المظال ومدته سبعة أيام في الشهر السابع

(نحميا ٨: ١٨) .

وحكم نحميا في أورشليم ١٢ سنة وبعد ذلك عاد إلى بلاد فارس إلى حين، وفي مدة غيابه خالف الشعب شريعة الله وتزوجوا بالنساء الوثنيات (نح ص ١٣) ولما رجع إليهم أصلح هذه الأمور وبقي فيهم مصلحًا إلى أن مات أو قتله بعض أعدائه (راجع ص ٦ من كتابه) والراجح أن عمره كان ٦٢ سنة فإن آخر عمل عمله كان في السنة الخامسة عشرة من حكم داريوس نوثاس أي سنة ٤٠٨ ق. م؛ ثم مات سنة ٤٠٥ ق .م .

وبعد موته لم يعين ملك فارس على أورشليم أحدًا من اليهود؛ لأن بلادهم صارت جزءًا من ولاية الشام فكان الحبر الأعظم يمارس الأمور السياسية والدينية معًا من قبل والي الشام، وبعد مدة الفرس صارت أورشليم إلى اليونان واستقلت زمنًا في عهد المكابيين وهم كهنة من سبط لاوي ومن عشيرة هارون ثم خضعت للرومان .

وفي أيام الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد حاربهم (تيطس) بعد أن كان طلب منهم أن يسالموه ويعاهدوه ولا يأخذ منهم خراجًا سبع سنين وكان أمر بإبقاء الهيكل فأخذ أحد الرومانيين نارًا وألقاها في الهيكل فاشتعل الخشب وأمر تيطس أن يوقفوا النار، ولكن تهافت الرومان على النهب والسلب والتخريب، وبعد أن شتتوا اليهود منعوهم عن السكنى في أورشليم وبقي هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال فرجع إليها حينئذ كثير من اليهود وحسنوها وشيدوها .

وكان قد بلغ الإمبراطور أريانوس أن اليهود يحصنون المدينة ليخرجوا عن طاعته؛ فأرسل عساكره فقتل أكثرهم وخرَّب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحًا إشارة إلى إبادتها، وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت قوة اليهود وانتشروا في الأقطار ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وكانت هذه الحرب سنة ١٣٢ بعد الميلاد وبذلك تمت نبوة المسيح عليه السلام إذ قال:

(لا يترك حجر على حجر)[1] .

ثم دخل الفرس أورشليم سنة ٦١٤ ميلاد وخرجوا منها سنة ٦٢٨ أي بعد أن مكثوا فيها ١٤ سنة منعوا فيها اضطهاد النصارى لليهود، فبطل إلقاء قاذورات النصارى في الهيكل عنادًا لليهود وباعوا النصارى الذين في أورشليم لليهود، ونزعوا خشبة الصليب من أورشليم وأرسلوها إلى فارس .

و في سنة ٦٣٦ ميلادية أخذ المسلمون القدس وطهروه وبنى عمر رضي الله عنه مكانه المسجد الأقصى وصار اليهود في حِمى الإسلام واستراحوا من ظلم المسيحيين وصاروا أحرارًا في دينهم يسوسهم الإسلام جميعًا بعدله ورحمته، وصار هذا المسجد معبدًا للمسلمين ولمن يدخل في دينهم من أهل الكتاب ونجت أورشليم من الخراب وعاد إليها المجد والعمران والإكرام وكثرت ذبائح المسلمين فيها في عيد الأضحى تذكارًا لحادثة إبراهيم خليل الله وتمت نبوة حجي حيث قال:

قال رب الجنود: هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهي[2] كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود: لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من (مجده) الأول قال رب الجنود: وفي هذا المكان أعطي السلام) (حجي ٢: ٦-٩).

يقول رب الجنود: فمن تخريب الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود سنة ١٣٢ إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٢ تكون المدة ٤٩٠ سنة ولا يخفى أن الهجرة النبوية هي مبدأ التشريع الإسلامي ومبدأ عظمة النبي وظهور أمره .

وأيضًا من سنة ١٣٢ إلى دخول المسلمين أورشليم سنة ٦٣٦ تكون المدة ٥٠٤ سنين فإذا طرحنا منها ١٤ سنة وهي مدة الفرس التي فيها استراح اليهود من ظلم الرومانيين والمسيحيين تكون مدة الظلم والاضطهاد الخالصة هي ٤٩٠ سنة كان فيها

---

[1]: راجع: تاريخ القدس لخليل أفندي سركيس .

[2]: حاشية: في الأصل العبري (مشتهى) حمدوت أي الذي تحمده الأمم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله أعطي السلام إشارة إلى تحية المسلمين بقولهم: السلام عليكم .

اليهود في أتعس الحالات وأسوأها فكأنه بعد ٤٩٠ سنة من تشتت اليهود عظم شأن الإسلام وظهر أمره وأيضًا بُني الهيكل وعاد المجد لبيت الله وأُنقذ اليهود من الظلم والاضطهاد وصاروا يرتعون حول هيكلهم في حمى الإسلام وحريته .

هذا وقبل البدء في تفسير نبوة دانيال أقدم مقدمة أخرى، وهي:

أن الأسبوع في اللغة العبرية والعربية معناه: سبعة، فهناك أسبوع أيام وأسبوع شهور وأسبوع سنين، والأسبوع من الطواف هو سبع مرات وهكذا. والقرينة هي التي تعيِّن المراد ثم إن أعظم أعياد اليهود ثلاثة: عيد الفطير وهو أسبوع أيام، وعيد الأسابيع وهو بعد سبعة أسابيع من الأيام، وعيد المظال وهو أسبوع أيام أيضًا والسنة اليوبيلية كانت بعد سبع مرات سبع سنين .

واليوم من أيام قضاء الله وعقابه لليهود بسنة كما في (سفر العدد ص ١٤ عد ٣٤،٣٣) :(وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، كعدد الأيام التي نجستم فيها الأرض أربعين يومًا للسنة يوم)

أما في غير ذلك فاليوم هو اليوم المعتاد .

وإذا قيل للمسلمين مثلاً : (بعد خمسين عيدًا من أعيادكم يحصل لكم كذا وكذا) كان المعنى:

بعد خمسين سنة؛ لأن أي عيد من أعيادنا لا يتكرر في السنة الواحدة، وكذلك عند اليهود، فإذا قيل لهم: (بعد خمسين فصحًا) كان المعنى (بعد خمسين سنة) ولما كان أعظم أعيادهم أسبوع أيام جاز أن يقال لهم: (بعد خمسين أسبوعًا) أي من هذه الأسابيع العيدية يحصل كيت وكيت والمعنى بعد خمسين سنة؛ وعليه فالأسبوع في مقام القضاء والجزاء غيره في مقام الفرح والسرور والأول بمعنى أسبوع سنين والثاني بمعنى أسبوع أيام من أسابيع الأعياد وهي لا تتكرر في السنة الواحدة فبعد أسبوعين منها أو ثلاثة مثلاً يراد به بعد سنتين أو ثلاثة؛ لأن كل أسبوع منها يقع في سنة واحدة .

إذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى نبوة دانيال:

كان دانيال مع الأسرى في بابل، وكان حزينًا جدًّا لأجل حالة أمته وكان يعلم أنه لا بد لأمته أن تقضي سبعين سنة في الأسر والذل فكان يسأل الله تعالى دائمًا أن يعيد مجد أورشليم ويعمر خرابها ويبني بيتها ويعتق أمته من الذل والأسر فأخبره الله تعالى بما سيحصل لأورشليم ولأمته وبأنه قضى عليها قضاء آخر أطول من قضاء السبعين سنة فقال (٩: ٢٤) :

(سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة) والسبعون أسبوعًا في مقام القضاء والجزاء هي ٤٩٠ سنة كما قلنا قضاها الله تعالى على بني إسرائيل وعلى مدينتهم أورشليم وهي تبتدئ من سنة ١٣٢ التي فيها تلاشت كل قوة لهم وتبددوا في الأرض ولم تقم لهم قائمة ومحيت مدينتهم محوًا تامًّا وتنتهي بسنة ٦٢٢ التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبها كمل أمره وعظم شأنه أو سنة ٦٣٦ وهي سنة فتح المسلمين لأورشليم أي بعد إسقاط ١٤ سنة وهي المدة التي استراح فيها اليهود من ظلم النصارى واستراح فيها الهيكل المقدس من إلقاء القاذورات والنجاسات فيه حينما استولى الفرس على بيت المقدس فالمدة من سنة ١٣٢ إلى هجرة المصطفى سبعون أسبوعًا من السنين .

ومن هذه السنة أيضًا إلى فتح أورشليم سبعون أسبوعًا بعد إسقاط السنين التي استراح فيها اليهود من الظلم والاضطهاد ثم قال: (لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم) فالكلمة المترجمة هنا بتكميل المعصية أصلها في العبري يفيد معنى التغطية والستر .

والكفارة هي الغفران والستر كذلك والمعنى: أن معاصي اليهود وأعمالهم السيئة تنتهي في مدة السبعين أسبوعًا وتبطل لشدة ضعفهم وتبددهم؛ وذلك أنهم في زمن المسيح عليه السلام كذبوه وعصوه وحاولوا قتله وصلبه وكان يقول لهم كما في متى(٢٣: ٣٢ -٣٨):

(فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون

وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة؛ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح - إلى قوله -: هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا) .

فلم يكن ذنبهم أكمل في زمن المسيح عليه السلام .

وهذا التعبير العبري قد ورد مثله في سفر التكوين في مقام آخر فقال (١٥: ١٦): وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا؛ لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً ..

وقال في سفر دانيال (٨: ٢٣): (عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه) وبعد زمن المسيح صاروا يملئون مكيال آبائهم بقتل بعض الحواريين واضطهادهم وإخراجهم من مدينة إلى أخرى وإيذائهم المسيحيين وبعد حرب طيطس عادوا إلى أورشليم وحسنوها وشيدوها ..

ولما ظهر منهم مدعي النبوة كذبًا وهو الذي سمى نفسه (المسيح ابن الكوكب) انضموا إليه وأيدوه وفتكوا بكثير من النصارى، وجاءهم كثير من إخوانهم المشتتين في الآفاق وحاربوا الرومان فغلبوا وقتل مسيحهم هذا ، وأخذ كثير منهم أسرى ومنعوا من الاقتراب من مدينة أورشليم إلا يومًا واحدًا في السنة لينوحوا على خرابها وكان ذلك في سنة ١٣٢.

وحينئذ كان قد كمل ذنبهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة لشدة ضعفهم وتفرقهم وذلهم وتشتتهم في جميع الآفاق تشتتًا لم ترجع لهم بعده أدنى قوة في أورشليم على الرومان، ففي مدة السبعين أسبوعًا انتهت معاصيهم بعد أن كملت وبطلت آثامهم وأصبحوا أذلاء مضطهدين مبددين معذبين؛ وذلك هو جزاؤهم على ذنوبهم، وتكفير لآثامهم الماضية بصفتهم أمة، ومن آمن منهم بمحمد عليه السلام غفر له ما تقدم من ذنبه في الدنيا والآخرة، قال تعالى في القرآن الشريف: (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً، عَسَى رَبُّكُمْ أَن

يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً)

(الإسراء: ٧-٨) .

ثم قال جبريل لدانيال: (وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين)

وهو: مُحَمّد صلى الله عليه وسلم، والبر الأبدي هو: الدين الإسلامي، الذي بدأ يظهر ويعلو وتُوحى شرائعه العالية بعد سنة ٦٢٠ التي كانت فيها الهجرة النبوية، وبـمُحَمّد صلى الله عليه وسلم ختمت الرؤيا والنبوة كما قيل لدانيال.

فالسبعون أسبوعًا بدأت بعد أن كمل إثم اليهود سنة ١٣٢ التي بعدها زالت منهم كل قوة وأصبحوا أذلاء، وتمت بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح خليفته أورشليم وبنى بيتها المقدس وعمَّره بعبادة الله، ومنع الظلم والأذى عن اليهود وصاروا فيها أحرارًا إلى اليوم .

فكأن الله تعالى قال لدانيال: إني سأجيب دعاءك لليهود ولمدينتهم، لكن ذلك بعد أن أقتص منهم على ذنوبهم وأكفرها عنهم بتعذيبهم سبعين أسبوعًا وهو القضاء الآخر الذي قضيته عليهم غير قضاء السبعين سنة التي أسروا فيها في بابل .

ثم بدأ الله تعالى يبين له حال أمته وما سيحصل لها بعد نجاتها من أسر بابل إلى حين مجيء هذا القضاء الثاني عليهم .

وأنه بعد هذا القضاء الثاني يمكنهم أن يسكنوا في أورشليم حول هيكلهم في حمى الإسلام آمنين مطمئنين ويُبنى هذا الهيكل لعبادة الله تعالى ويعود إليه مجده، كما أنبأ بذلك حجي الذي سبقت نبوته هنا فقال جبريل لدانيال: (فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها) وهذا الأمر قد خرج من كورش سنة ٥٣٦ قبل الميلاد برد اليهود إلى أورشليم وبناء هيكلها الذي هو أعظم شيء فيها؛ ولذلك قال: لتجديد أورشليم وبنائها.

فكأنه إذا بُني الهيكل فقد جُددت أورشليم وبُنيت وعمرت؛ لأنه صرح لهم

بالرجوع إليها والسكنى فيها فمن الضروري أن يبنوا لهم فيها بيوتًا فتعود المدنية كما كانت .

وقوله (فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر.. إلخ) يشعر بأن هذا الأمر كان قد خرج في زمن دانيال وعلم به، وهذا صحيح فإن دانيال مات بعد صدور هذا الأمر بسنتين أي في سنة ٥٣٤ ق .م .

ولو كان هذا الأمر صدر بعد مماته كما تقول النصارى لقال له: (فاعلم وافهم أنه سيخرج أمر لتجديد أورشليم وبنائها ومن بعد هذا الأمر ... إلخ) فمن خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها وبناء هيكلها (إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا) والمسيح الرئيس هو: نحميا الذي ولاه ارتحشتا الملك حاكمًا على اليهود فبنى سور أورشليم وأصلح أمورهم وأقام شريعة موسى لهم وهو أعظم من ولي عليهم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد إليها رونقها القديم ولذلك .

قال الله عنه لأرميا(٣٣: ١٥، ١٦): (فى تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبرًّا في الأرض في تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب برنا) .

وسُمي نحميا بالمسيح الرئيس؛ لأنه كان كملك لهم وكانوا يسمون ملوكهم مسحاء، وكذلك الكهنة والأنبياء والرؤساء؛ لأنهم يمسحونهم بالزيت أو الدهن عند ابتداء تعيينهم لخدمة الله أو الشعب

(راجع سفر الخروج ٤٠: ١٥-١٩) .

وسمي كورش أيضًا (مسيح الرب) كما في أشعيا (٤٥: ١) .

وقيل في سفر أخبار الأيام الأول(١٦: ٢٢): (لا تمسحوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي) .

وقيل في سفر الملوك الأول(٥: ١): (وأرسل حيرام إلى سليمان؛ لأنه سمع أنهم

مسحوه ملكًا). أي ولّوه .

وقال في ١ ملو ١٩: ١٦: (وامسح إليشع نبيًّا عوضًا عنك) .

وسُمي عيسى ابن مريم بالمسيح؛ لأنه أعظم من بعث بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل، وأفضل من جميع كهنتهم وملوكهم .

وقوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا) معناه ٦٩ سنة؛ لأن الأسبوع هنا غيره في مقام القضاء والجزاء، فيراد به أسبوع الفرح والسرور أي الأعياد؛ لأن أعظم أعيادهم كانت أسبوعية كما سبق، وكل أسبوع من أسابيع الأعياد يقع في سنة ولا يتكرر فيها، فيكون المراد بالأسبوع السنة كلها فكأن باقي السنة الخالي من الأعياد الأسبوعية لا قيمة له ولا يحسب عليهم .

ومن عَرَفَ قدر فرح اليهود وسرورهم لخلاصهم من أسر بابل وعودتهم إلى مدينتهم وأنهم حفظوا عيد المظال وغيره في أورشليم كما كانوا يحفظونه من قبل [١].. عَلِم معنى التعبير عن السنة هنا بالأسبوع.

كأن السنة كانت تمضي عليهم كما يمضي أسبوع العيد هذا، إذا صح أن أصل العبارة كانت كما وصلت إلينا، ويجوز أن يكون وقع فيها سهو أو خطأ من الكاتب؛ فكتب هنا بدل سنين وسنة أسابيع وأسبوعًا؛ قياسًا على الجملة السابقة وهي قوله: سبعون أسبوعًا، والاعتذار عن مثل ذلك بخطأ الكاتب معهود عند النصارى في ألوف الغلطات الواقعة في كتبهم المقدسة [٢]..

ولعل في قوله: (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا) إشارة إلى مدة حكم (كورش) فإنه أصدر أمره في السنة الأولى من حكمه ومات بعد سبع سنين ولما كان هذا الملك عادلاً محبوبًا مبجلاً عندهم؛ حتى دعته كتبهم مسيح الرب كما سبق كان جديرًا بأن تعرف مدة حكمه وتمتاز عن غيرها تذكارًا له وإجلالاً لمقامه.

وإنما عبر في هذه النبوة بالأسابيع بدل السنين؛ لأن المعتاد في جميع نبوات

---

[١]: راجع سفر عزرا الإصحاح الثالث والسادس .

[٢]: راجع كتاب خلاصة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية صفحة ٥٦ - ٥٩، و١٠٢ .

العهدين أن يوجد فيها مثل هذا الغموض كما قلنا، وكون المراد بالأسابيع هنا السنين مسلَّم به عند النصارى واليهود فهو ليس تأويلاً خاصًّا بنا .

ومن صدور هذا الأمر إلى ولادة نحميا ٦٩ سنة، كما سبق بيانه في النبذة التاريخية.

ثم قال: (يعود ويُبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة) .

ومعنى ذلك عندهم بناء نحميا للسور حول أورشليم كما تقدم .

وفي الترجمة الإنكليزية بدل هذه الجملة (يعود ويبني الشارع والسور في أزمنة مضايقة)؛ وذلك لأنهم كانوا محاطين بكثير من الأعداء الحاقدين عليهم المهددين لهم الواشين بهم كما يعلم من سفر نحميا (وبعد اثنين وستين أسبوعًا يقطع المسيح وليس له) أي وبعد ٦٢ سنة من ولادة نحميا يموت أو يقتله أعداؤه كما سبق فعمره كان ٦٢ سنة فقط

وقوله: (وليس له) [١] معناه: ليس له ولد أو ليس له وارث فإنه لم يعين عليهم أحد بعده واليًا، وكان نحميا من الأشراف ومن بيت داود، ومع ذلك لم يذكر في الكتاب المقدس أنه كان له أولاد فهذه العبارة تشبه قوله في سفر التكوين(٣٨: ٩): (فعلم أونان أن النسل لا يكون له) .

ويحتمل أنه سقط من الكاتب خطأ لفظ (ولد) وكان الأصل (وليس له ولد) وأمثلة سقوط كثير من الألفاظ من الكتاب المقدس كثيرة تراجع في كتاب إظهار الحق في فصل إثبات التحريف بالنقصان .

ولنا أن نقول فيها أيضًا نحو ما يقول النصارى:

---

[١]: حاشية: قال أرميا في مراثيه(٥: ٧): (آباؤنا أخطئوا وليسوا بموجودين) ومن وضع بعض كلمات هذه العبارة في الترجمة الإنكليزية بأحرف إيطالية (Italic) يفهم أن الأصل العبري كان (آباؤنا أخطئوا ليسوا) فالظاهر أن الإيجاز في العبرية يكون بحذف بعض كلمات تفهم من المقام، كما هو في العربية في نحو قوله تعالى: (فأَرْسِلُونِ، يُوسُفُ أيُّهَا الصِّدِّيقُ){ يوسف: ٤٥-٤٦ } ويوجد لذلك أمثلة أخرى كثيرة في اللغتين وفي القرآن وفي كتبهم المقدسة .

إن نحميا قتله أعداؤه الكثيرون بعد أن فكروا في ذلك كما يفهم من سفره(إصحاح ٦: ١٠ - ١٤)، ولم يقتل لأجل نفسه أي في سبيل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية؛ بل قتل في سبيل المصلحة العامة ونفع الأمة، فلم يكن أعداؤه ينقمون منه سعيه في سبيل نفع نفسه بل سعيه في نفع أمته وتقويتها والمحافظة عليها وبناء سور أورشليم وتحصينها ضد أعدائها، فهو قتل لأمته ولم يكن قتله لأجل نفسه أي لتحصيل منفعة خاصة به، وبعد موت نحميا كان اليهود حصلوا على شيء مما فقدوه من القوة، ولكنهم بقوا في بلادهم خاضعين للأجانب إلا زمنًا يسيرًا إلى أن حاربهم(طيطس) الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولذلك قال: (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها) وقد خرب القدس (طيطس) وقتل منهم الألوف .

كما قال: (ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد) وفي الترجمة الإنكليزية (لأسبوع واحد) والمراد بالأسبوع هنا أسبوع سنين؛ لأنه ذكر في مقام القضاء والجزاء .

والمعنى - كما قال علماء اليهود-: أن طيطس طلب منهم أن يسالموه ويقطعوا معه عهدًا ولا يأخذ منهم خراجًا لمدة سبع سنين؛ فخرج إليه كثير من كبراء اليهود فأمنهم وكان ينصحهم بعدم العصيان وأظهر لهم أنه لا يريد تخريب الهيكل، ولما علم العصاة منهم بخروج كبرائهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم وأمر طيطس بإبقاء الهيكل ولكن ألقى عليه أحد الرومانيين نارًا فأحرقه وكان طيطس يسعى في إطفاء النار ولكن الرومانيين كانوا ينهبون ويقتلون ويخربون (وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة) لإحراق الهيكل وإبادته وقد بدأت حرب الرومان لهم سنة ٦٨ وتم خذلانهم وإحراق هيكلهم في أواخر سنة ٧٠ أي في نحو ٣ سنين فأبطل الرومان الذبيحة والتقدمة في وسط الأسبوع .

وكان (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير مع طيطس وينصح أمته ويقول لهم: (إني لست أعجب من خراب هذا البيت وهذه المدينة لكنني أعجب منكم وأنتم

تقرءون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من إبطال الذبيحة وزوال التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت) .

فلم يسمع عصاة اليهود له وهذا يدل على أن المراد بما ذكر في كتاب دانيال هو ما قلناه هنا، وكذلك قوله: (وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) .

وقرئ في بعض النسخ العبرية وفي الترجمة السبعينية: (وفي الهيكل رجسة الخراب) .

وفي ترجمة الكاثوليك (تقوم رجاسة الخراب وإلى الفنا المقضي ينصب غضب الله على الخراب)

وقال المسيح عليه السلام كما في إنجيل متى (٢٤: ١٥): (فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس.. إلخ).

فكل ذلك يدل على أن المراد بما ذكر في نبوة دانيال هو حرب الرومان لليهود لا صلب المسيح، الذي يدعي النصارى أنه أبطل به الذبيحة والتقدمة، فإنها لم تنته بعد صلبه، بل كان اليهود يحافظون عليها حتى خرب الهيكل وأحرق، فبطلت حينئذ .

على أننا لا ندري لماذا يبطل الصلب الذبيحة والتقدمة ؟!

فإن كانت تعمل قبله رمزًا إليه فلماذا لا تعمل بعده للتذكير به؟!

فإن قيل: إنها بعد الصلب لم يبق لها فائدة في غفران الذنوب .

قلت: وكذلك هي قبل الصلب كما يزعمون، فإن الغفران لم يكن حينئذ لأجلها، بل لأجل الصلب المنتظر كما يدعون[1]..

وبعد حرب سنة ٧٠ بمدة قليلة عاد اليهود إلى أورشليم وبنوا وشيدوا ولا يبعد

---

[1] : راجع مقالة القرابين والضحايا، السابق ذكرها.

أنهم أقاموا محرقات في الهيكل، وإن كان خربًا كما أقامها الذين أتوا من بابل قبل بنائهم للهيكل الذي كان أحرقه بختنصر وخربه كما في سفر عزرا (٣: ٦) ولكن بعد حرب سنة ١٣٢ محيت مدينتهم وتشتتوا في الأرض ومنعهم الرومان من الاقتراب من أورشليم، وبعد سبعين أسبوعًا قضيت عليهم وعلى مدينتهم ..

جاء الإسلام فبُنى بيت المقدس وأمن اليهود من ظلم المسيحيين وإيذائهم لهم، وانصب غضب الله على المخرِّب (دولة الرومان) فأزال ملكها المسلمون من الأرض المقدسة وغيرها .

وفي قوله: (وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها) إشارة إلى دوام الحرب مدة طويلة فإنه بعد ٧٠ سنة أتى الرومان سنة ١٣٢ وأهلكوا اليهود وشتتوهم ومحوا مدينتهم محوًا تامًّا .

أما قول النصارى: (إن السبعين أسبوعًا) تبتدئ من صدور أمر أرتحشتا لنحميا بالرجوع إلى أورشليم لبناء سورها فغلط لعدة وجوه :

١- إن نص عبارة دانيال أن الأمر كان لبناء أورشليم وبناء السور ليس بناء لأورشليم فإن أورشليم كانت بنيت قبل نحميا؛ لأن هيكلها بني وبنيت بيوت اليهود حوله للسكنى فيها ولم يبن نحميا سوى السور كما هو ظاهر من كتابه والدليل على أن البيوت كانت مبنية قوله في كتابه ٣: ٢٨: (وما فوق باب الخيل رممه الكهنة كل واحد مقابل بيته) وفي هذا الإصحاح يذكر بيوتًا أخرى، فالبيوت كانت مبنية قبل مجيء نحميا ولذلك قال ١: ٣: (وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار) فهو أصلح السور فقط وأبوابه وأما قوله للملك ٢: ٣: (والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار) فالمراد به سورها وإنما أورده كذلك مبالغة ليرثي الملك له وليشفق عليه فيرده إليها .

٢- قوله: (من خروج الأمر لتجديد أورشليم) يشعر بأن هذا الأمر يعلمه دانيال وهو الواقع كما بينا وعلى قول النصارى يكون حصل بعده وما كان يعلمه وهذا يخالف مفهوم عبارته .

٣- إنهم اختلفوا في تاريخ صدور هذا الأمر فقال بعضهم: إنه صدر من أرتحشتا لنحميا سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٥ وقال آخرون: سنة ٤٥٤ فعلى القول الأول تكون نهاية السبعين أسبوعًا سنة ٤٦ بعد الميلاد أو سنة ٤٥ وفي هذه السنة كان قد مات المسيح؛ لأن عمره كان ٣٣ سنة وعلى القول الثاني تكون نهاية السبعين أسبوعًا سنة ٣٦ ميلادية وهي بعد موت المسيح بثلاث سنين .

٤- قوله (من خروج الأمر إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا) قال فيه صاحب كتاب الهداية إنه فصل السبعة أسابيع وحدها لأنها مدة بناء أورشليم وهو خطأ؛ لأن سور أورشليم تم في ٥٢ يومًا ولم يبن نحميا غيره (نح ص ٦: ١٥) .

٥- قول دانيال: (يعود، ويُبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة) صريح في أن المراد بالمسيح هنا هو نحميا فقد حصل ذلك في زمنه .

٦- قوله: (وبعد ٦٢ أسبوعًا يقطع المسيح) لا يفهم أيضًا معناه على قولهم؛ لأنه لم يقطع بعد مجيئه باثنين وستين أسبوعًا وتفسيرهم لها في غاية الركاكة والتعسف كما لا يخفى على من نظر كتبهم .

٧- قوله: (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس إلى قوله: ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة إلخ) صريح فيما ذهبنا إليه وفي حمله على المسيح عيسى عليه السلام تفكيك للعبارة وقلب لجُملها بالتقديم والتأخير ومع ذلك فالمسيح لم يبطل الذبيحة والتقدمة كما بينا ولم يثبت عهدًا مع كثيرين لأسبوع أو في أسبوع؛ لأن مدة نبوته كانت ثلاثة سنين فقط .

٨- من تأمل في هذا الإصحاح كله عَلِم: أن دانيال كان يطلب من الله أن يرأف بأورشليم ويرحم أمته فجاءه جواب جبريل على قولنا بأنها ستُعَمَّر من تاريخ صدور الأمر إلى حين تخريب الرومان لها، وفي هذه المدة يعين نحميا (وهو المسيح الرئيس) فيحصِّنها ويبني سورها، وبعد تمام تخريب الرومان لها تمكث سبعين

أسبوعًا على تلك الحالة ثم يأتي البر الأبدي لأمته ويغفر ذنبها ويمسح قدوس القديسين (محمد) وهو الذي تعيد أمته لها العمران والمجد .

وأما على قول النصارى فيكون جواب جبريل لدانيال: أن مدينتك ستمكث سبعين أسبوعًا وبعدها تخرب خرابًا أبديًّا، فأي الجوابين هو الأنسب لطلب دانيال ودعائه وصلواته ؟!

وقوله: إن السبعين أسبوعًا قضيت عليهم، يشعر بأنها أسابيع عذاب وخراب، كما هو قولنا، لا أسابيع راحة وعمران كما هو مقتضى قول النصارى .

والخلاصة: أن تفسير النصارى لعبارة دانيال ركيك ومتكلَّف فيه وغلط وفيه من التعسف والخلط والخبط ما لا يخفى على بصير .

برهانهم الثاني :

قالوا: إن أشعيا النبي أخبر بحادثة الصلب ويحمل المسيح ذنوب الناس وبتقديم نفسه كفارة عنهم وذلك حسبما ورد في الإصحاح الثالث والخمسين من سفره .

ونقول: إن هذا الإصحاح متصل بالإصحاح الثاني والخمسين الذي قبله، وكلاهما في موضوع واحد لا علاقة له ألبتةَ بالمسيح عليه السلام وموضوعهما أمر بني إسرائيل إلى بابل، فهما نبوءة عن حصول الأسر وعن نجاة بني إسرائيل منه قال (٥٢: ١-١٣):

(استيقظي استيقظي البسي عزك يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم .... انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون، فإن هكذا قال الرب مجانًا بعتم وبلا فضة تفكون، لأنه هكذا قال السيد الرب: إلى مصر نزل شعبي أولاً ليتغرب هناك ثم ظلمه آشور بلا سبب، فالآن ماذا لي هنا يقول الرب: حتى أخذ شعبي مجانًا- إلى قوله -: عند رجوع الرب إلى صهيون، أشيدي ترنمي يا أورشليم؛ لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم، اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تَمَسُّوا شيئًا نجسًا اخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب؛ لأنكم لا

تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين؛ لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقتكم، هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جدًّا) ..

والمراد بالعبد هنا: شعب إسرائيل، فإن الكتاب المقدس يتكلم عنه كثيرًا كشخص مفرد، فمن ذلك: قوله في سِفر أشعيا هذا (٤١: ٨): (وأما أنت يا إسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي .. .. وقلت لك أنت عبدي اخترتك).

(وقوله ٤٣: ١ -٣، ١٤): (يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل .. ... إذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك؛ لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك ..، كما اندهش منك كثيرون .

(كان منظره كذا مفسدًا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم).

وذلك إشارة للشعب ولتشوهه في بلاد الغربة وهو أسير ذليل ولما أُخذوا لبابل مات كثير منهم ومن رجع من أولادهم كان منظره متغيرًا (نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة) (أشعيا ٥٣: ٢) وهذا إشارة لآبائهم الذين كانوا في التيه، فأبناؤهم الذين حضروا إلى الأرض المقدسة نبتوا في الأرض اليابسة كما قال أرميا النبي(٢: ٦- ٧):(الذي أصعدنا من مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة، وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها) .

وهذا لا يفهم له معنى في حق المسيح عليه السلام .

ثم قال: (لا صورة له ولا جمال) (أشعيا ٥٣: ٢) فلما أتوا من التيه إلى الشام كانت صورتهم متغيرة كتغيرها بعد أسر بابل من الذل والفقر والمشاق وغير ذلك(٥٣: ٣) (محتقر ومخذول من الناس). لأنهم كانوا أسرى أذلاء ضعفاء .

وقوله (٥٣/ ٦ - ٧) :(والرب وضع عليه إثم جميعنا، ظلم أما هو فتذلل).

يفسره قول النبي أرميا الذي شاهد بنفسه حادثة أسرهم إلى بابل فقال في مراثيه(٥: ٧ -١٠):

(آباؤنا أخطئوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم، عبيد حكموا علينا، ليس من يخلص من أيديهم ... جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع) .

وهذا كقول أشعيا، فيما سبق: لا صورة له ولا جمال ..إلخ(مراثي أرمياه/ ١١): (أذلوا النساء في صهيون العذارى في مدن يهوذا) وقوله: ظلم هو، كقوله في الإصحاح الذي قبله(٥٢: ٤): (ثم ظلمه آشور بلا سبب) وقوله: (كشاة تساق إلى الذبح) .

معناه: أن ملك بابل ساقهم وهم أسرى، كما تساق الشاة إلى الذبح، وقد مات أكثرهم هناك من الاضطهاد والتعذيب والقتل والجوع والتعب وغيره مما حل بهم .
ثم قال(أشعيا ٥٣: ٨): (وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي). وقد سبق تفسير ذلك من مراثي أرميا ٩ (وجعل مع الأشرار قبره ومع غني) لأنهم كانوا يدفنون مع الوثنيين وهم أغنياء في بابل مدة سبعين سنة، وأما المسيح فدفن وحده في قبر جديد في بستان لم يدفن فيه أحد قبله (يو ١٩: ٤١)، ولم يكن معه أحد من الأشرار ولا من الأغنياء، كما قال أشعياء عن بني إسرائيل مدة أسرهم هذه ١٠: (أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (رضي أن يسحقه بالعاهات إن جعل نفسه ذبيحة إثم) والنص العبري هكذا (أراد الرب أن يضربه بالحزن؛ لأنه جعل نفسه آثمًا) .

وهذا مثل ما سبق في مراثي أرميا، وقال أشعياء أيضًا(٥١: ١٩، ٢٠): (اثنان هما ملاقياك)

وذلك خطابًا لأورشليم :(من يرثى لك؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف. بمن أعزيك؟ بنوك أعيوا اضطجعوا في رأس كل زقاق) .

وقد لاقوا كل ذلك من ملك بابل، فخرب أورشليم، ومات منهم كثيرون بالقتل والجوع وغيرهما .

ثم قال(أشعيا ٥٣/ ١٠): (يرى نسلاً تطول أيامه) .

إشارة لرجوعهم إلى وطنهم وتناسلهم فيه .

وأما المسيح فلم يكن له نسل حتى تصح هذه العبارة فيه .

ثم قال: (وعبدي البارّ بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها) .

وقد حصل ذلك فاضطهد البار منهم وعذب وأسر بسبب ذنب الأشرار منهم . قال تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً) (الأنفال: ٢٥) .

أي: تعم الصالح والطالح، ويؤخذ البريء بذنب المذنب، في مثل هذه الأحوال .

ويصح أن يكون المراد: أن الشرير منهم إذا أطاع الصالح وتاب واستقام تمحى ذنوبه فكأن الصالح حملها ورفعها عن عاتقه أي أزالها عنه بهدايته له .

ثم إن الله تعالى في مثل هذه الأحوال ينجي الأشرار ولا يهملهم إلا لأجل؛ إكرامًا للأبرياء الذين ظلموا معهم وأخذوا بذنبهم فكأنهم حملوا آثامهم عنهم .

وقد قال في أرميا(٥٠: ٣٣): (إن بني إسرائيل وبني يهوذا مظلومون وكل الذين سبوهم أمسكوهم) .

وقال أيضًا(أ ر ٣٣: ٧ – ٨)(وأرد سبي يهوذا وسبي إسرائيل ... وأطهرهم من كل إثمهم وأغفر كل ذنوبهم).

وقال(أرميا ٥٠: ٢٠):(في تلك الأيام.. يطلب إثم إسرائيل فلا يكون، وخطية يهوذا فلا توجد؛ لأني أغفر لمن أبقيه) .

فأسرهم إلى بابل، وهم مظلومون طهرهم من الذنوب والآثام فحملت عنهم وغفرت كلها والحامل لها هم المأسورون المسبيون .

وقوله(أشعيا٥٣/ ١٢): (وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين) صحة ترجمته :

(وللعصاة يدعو) أي يدعو الله لهم بالتوبة والهداية .

فالكلام كله في شعب إسرائيل، ولا علاقة له بالمسيح عليه السلام، ومما يؤيد

ذلك :

قوله فيما سبق: (ضرب من أجل ذنب شعبي) فإن أصله العبري (ضربوا من أجل ذنب شعبي) بالجمع؛ لأن الكلام في بني إسرائيل؛ ولكن أبى النصارى إلا أن يترجموها بالإفراد؛ ليحملوها على المسيح، تحريفًا منهم للكلام .

وكذلك قوله: (أحصي مع أثمة) ينطبق على بني إسرائيل أكثر من انطباقه على المسيح، فإنهم عُدُّوا في بابل مع الكفرة الوثنيين، وأما المسيح فقالوا: إن ذلك إشارة لصلبه مع اللصين، وكذلك قال مرقس في إنجيله(١٥: ٢٨) مع أن لوقا يقول(٢٣: ٤٢): إن المسيح قال لأحدهما:

(إنك اليوم تكون معي في الفردوس)، فكيف يكون هذا آثمًا ؟!

فحينئذ لم يكن معه آثم سوى واحد فقط ولكن أشعياء يقول (وأحصي مع أثمة) .

فلذا قُلنا: إنه أظهر في قولنا منه في قولهم على أن صلب اللصين عجيب غريب؛ لأن شريعة موسى لا توجب القتل على السارق؛ إلا إذا سرق إنسانًا، ولا توجب عليه الصلب، وإنما يعلق على الخشبة بعد موته (راجع خر ٢١: ١٦ و٢٢: ١، وكذا تث ٢١: ٢٢ و٢٣) .

والشريعة الرومانية لا يوجد فيها الصلب للصوص وهم أحياء بل كان الجلد عندهم عقاب السارق .

فكيف صلب هذان اللصان وهما أحياء؟ وبحسب أي شريعة كان ذلك ؟!

وكيف يجمع بين قول إنجيل مرقس(١٥: ٣٢): إن اللصين كانا يعيران المسيح، وقول لوقا (٢٣: ٣٩ - ٤٣) إن الذي عيره واحد منهما ؟!

فإن قيل: إنهما عيراه في أول الأمر ثم تاب أحدهما .

قلت: هذا تلفيق واختراع لم يرد في الإنجيل ما يشير إليه بل يفهم منه خلافه.

وجملة القول: أن الإصحاح الثاني والخمسين والثالث والخمسين لا علاقة لهما

بالمسيح مطلقًا وهما مختصان بشعب إسرائيل .

وما في الإصحاح الثالث والخمسين، من التعبيرات والأفكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام وعقاب البريء بذنب المذنب: حمله اليهود المتنصرون في مبدأ المسيحية، كبولس وأضرابه إلى ديانتهم الجديدة، فأدخلوا فيها هذه العبارات والأفكار وطبقوها على المسيح، ثم توسعوا فيها شيئًا فشيئًا حتى وصلت عقائدهم إلى ما نعرفه عنهم اليوم .

ومما ساعد على انتشارها بين الناس وجود أمثالها عند الأمم الوثنية من قديم الأزمان، كما أثبته صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)[1] .

فأفكار اليهود في الخلاص من مصر ومن بابل تحوّرت في المسيحية، وولدت

---

[1] : ألف محمد طاهر أفندي التنير كتابه هذا من كتب علماء أوربة وقابل فيه بين نصوص ديانات الوثنيين ونصوص ديانة النصارى المشابه بعضها بعضاً وعزا في الهامش كل نقل إلى محله وذكر في أول الكتاب أسماء الكتب التي نقل عنها لتكون الأدلة ملزمة والحجة ناصعة، ونحن نذكر مجمل مواضيعه:

١- عقيدة التثليث عند الوثنيين وعند النصارى .

٢- تقديم أحد الآلهة فداء عن الخطيئة عند الوثنيين وعند النصارى .

٣- الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين عند الوثنيين والظلمة التي حدثت عند موت يسوع عند النصارى .

٤- ولادة أحد آلهة الوثنيين من عذراء وولادة يسوع من عذراء كذلك .

٥- النجوم التي ظهرت عند ولادة أحد آلهة الوثنيين والنجم الذي ظهر عند ولادة يسوع .

٦- الجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله عند ولادة أحد آلهة الوثنيين والجنود السماوية التي ظهرت=

= تسبح الله كذلك عند ولادة عيسى

٧- الاستدلال على الطفل الإلهي عند الوثنيين وعند النصارى .

٨- محل ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين ومثله عند النصارى إلخ ثم مقابلة بين النصوص عند الفريقين.

ومحمد طاهر التنير، كان من خيرة أهل الشام، اشترك مع والده في تحرير مجلة (الذكرى) وكان غرضها الرئيس: إرشاد المسلمين إلى انتهاج الطريقة المثلى. كما رأس إدارة التحرير لجريدة (المصور) وكانت جريدة علمية أسبوعية.

له من الرسائل في الأدب الدفاعي الجدلي:

١- الرد المتين على مفتريات المبشرين .

٢- مقام يسوع في النصرانية والإسلام .

عقائد الصلب والخلاص والفداء فيها، وبعد أن كانت هذه العقائد في مبدأ المسيحية صغيرة كما في الأناجيل فإن مؤلفيها كانوا يفهمون أن المسيح يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١: ٢١): شبّت ونمت حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في رسائل بولس (راجع مثلاً الإصحاح الخامس من رسالته إلى أهل رومية) .

وصار الخلاص لجميع البشر من ذنب أبيهم آدم ولم يقل ذلك المسيح ولا مؤلفو الأناجيل: ثم توسعوا في هذه الأفكار وهذه الخيالات، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم مما نسمعه منهم وتقرؤه في كتبهم التي صدّعوا رءوس العالم بها لإعجابهم بهذه العقائد التي لا تروق إلا لهم ولا تعجب إلا عقولهم .

استدراك (٢) على الفصل الأول وعلى نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة

جاء في دائرة المعارف الإنكليزية (مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و٤٢٨) في حرب الرومان مع اليهود ما محصله: (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم؛ فأرسل الإمبراطور نيرو أحسن قواده فسباسيان وهو أبو طيطس لمقاتلتهم وإخضاعهم .

فبدأ فسباسيان الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية .

وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة طيطس ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم تخريبها وإحراق هيكلها في شهر أغسطس من هذه السنة .

ولكن لم تخضع جميع اليهود تمامًا وينتهِ عصيانهم ومقاومتهم للرومان إلا في سنة ٧٣ ميلادية) اهـ. باختصار .

ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين

وبطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها، أي في وسط هذا الأسبوع من السنين.

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظمائهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب، فمالوا إلى جانب الرومان وخرجوا إليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على موالاتهم وعهدهم، فأمَّنوهم ولم يصيبوهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم .

ومن هؤلاء يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع طيطس ونصح قومه كثيرًا بالخضوع والطاعة .

فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق(٩: ٢٧): (ويثبت { أي جيش الرومان كما يفهم من السياق }عهدًا مع كثيرين { وهم كبراؤهم الذين فروا منهم } في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع) أي سنة ٧٠ يبطل الذبيحة والتقدمة؛ بإحراق الهيكل وتدميره وتشتيتهم .

وقوله (٩: ٢٦): (يقطع المسيح وليس له) [1].

وجدنا أن الترجمة الصحيحة لأصله العبري (ينقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لا يبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الإنكليزية والأمريكانية وهو عين ما قلناه سابقًا من أن معناه: ينتهي ملكهم وينقطع مسيحهم بعد نحميا

---

[1]: استدراك(١): فاتنا أن نذكر وجهًا آخر لتفسير عبارة دانيال، وهي قوله(٩: ٢٦): (و بعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له) ، فقوله (يقطع) أصله العبري (ينقطع) وقد ورد مثله في سفر أرمياء، راجع: (إصحاح ٣٣ منه عدد ١٧ و١٨) والمراد بذلك أنه بعد ٦٢ سنة يموت نحميا ، وبموته ينقطع جلوس أحد من بيت داود على كرسيه ، ويزول الملك من نسله فلا يكون منه مسيح على اليهود، انظر: أيضاً مزمور ٨٩، وقد كان ذلك ، فلم يتول عليهم أحد من نسل داود بعد نحميا،فانقطع مسيحهم ولم يكن زوال ملكهم لذنب فعله نحميا البار ، بل لِمَا أتاه قومه ويأتونه من المنكرات والذنوب والآثام، راجع مثلاً: (نح ١٣) فهي التي انقطع بسببها جلوس ابن لداود، مسيحاً عليهم ، ومحت كل أثر من آثار ملكهم؛ ولذلك قال دانيال: (يقطع المسيح) أو ينقطع (وليس له) أي أن انقطاع مسيحهم وانقراض ملكهم ليس لأجل فعل نحميا نفسه ، بل بسبب أفعالهم السيئة ومعاصيهم ، ونقضهم لعهد الله كل حين وآخر، كما قال أرميا(٣٣: ٢٠، ٢١): (إن نقضتم عهدي فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي ينقض ، فلا يكون له ابن مالكًا على كرسيه) ولولا ذلك لوُجد لنحميا أو غيره نسل يملكهم ولبقي فيهم كرسي داود إلى الأبد

ولا يبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو النسل والخلافة بل ينمحي محواً تامًّا وتزول دولتهم، وقد كان ذلك فلم يعد ملكهم القديم وزال ما عاد لهم من مجد منذ ذاك الحين .

وعليه فهذه النبوة لا علاقة لها مطلقًا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حملت على المسيح عيسى، كما لا يخفى على المتأمل .

ومما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم ألوهيته من كتب اليهود والنصارى ما جاء في الإصحاح (٤٩: ٢- ٨) من كتاب أشعياء وهو باعترافهم نبوة عن المسيح قال: في ظل يده خبأني وجعلني سهمًا مبريًّا. في كنانته أخفاني، وقال لي: أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد .. .. .لكن حقي عند الرب وعملي عند إلهي، والآن قال الرب جابلي من البطن عبدًا له .. ... وإلهي يصير قوتي، هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون .رؤساء فيسجدون { إلى قوله} في وقت القبول استجبتك .
وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب .

وهو صريح في أن المسيح عبد الله، وأنه سيحميه ويجيب دعاءه وينجيه ويحفظه، وقوله

(رؤساء فيسجدون) المراد به سجود الإكرام والتعظيم والخضوع، كما قال في حق سليمان (مز ٧٢: ١١) (ويسجد له كل الملوك) .

وقد سجد مثل هذا السجود موسى عليه السلام لحميه يثرون (خر ١٨: ٧) وبنو الأنبياء لا ليشع (٢ مل ٢: ١٥) .

وقال في مزمور(٩١: ٩ -١٦): (لأنك قلت أنت يا رب ملجأي جعلت العُلى مسكنك، لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك على الأسد والأصل تطأ الشبل والثعبان تدوس، لأنه تعلق بي أنجيه أرفعه؛ لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده، من طول الأيام

أشبعه وأريه خلاصي) .

وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من إنجيل مَتَّى (٤: ٦ - ٨) وإذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسداني كما يؤيده قوله (من طول الأيام أشبعه) فله مثيل عندهم في غير المسيح، فقد رفع أخنوخ (تك ٥: ٢٤ وعب ١١: ٥) وكذلك إيليا(٢ مل ٢: ١١) .

وجاء في المزمور ١٠٩، وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي، كما قيل في سفر الأعمال

(١: ٢٠،٢١) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدائه: (أما أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة نجني، فإني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي، وأنا صرت عارًا عندهم ينظرون إليّ وينغضون رءوسهم، انظر أيضًا: (متى ٢٧: ٣٩)

أعني يا رب إلهي، خلصني حسب رحمتك؛ وليعلموا أن هذه هي يدك. أنت يا رب فعلت هذا، أما هم فيلعنون. وأما أنت فتبارك. قاموا وخزوا .أما عبدك فيفرح ليلبس خصمائي خجلاً، وليتعطفوا بخزيهم كالرداء، أحمد الرب جدًّا بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه، لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه ..

وهو صريح في أن الله نجّى المسيح عليه السلام من القابضين عليه، وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيده كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور (١٠٩: ٧)؛ بقوله:(إذا حوكم فليخرج مذنبًا وصلاته فلتكن خطيئة ...إلخ) .

وقال في مزمور(٣٤: ١٧ - ٢١): (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم، قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح، كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب، يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر، الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون) .

فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يوحنا(١٩: ٣٦) وهي صريحة في نجاة المسيح، وخلاصه من كل البلايا والمصائب، وفي عقاب أعدائه ومبغضيه وقوله فيها: (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بعدم الصلب منه على قولهم بالصلب؛ لأن الصلب عادةً يستلزم تفتيت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتعمد والحذر الشديد؛ فكيف إذا لم ينكسر واحد من عظامه؟

فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله ويصونه من كل أذى بليغ فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

أما إذا صح أنه صلب فأي أذًى أعظم من ذلك؟

وما معنى قوله:

إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا، فأي بلية أعظم من الصلب والقتل؟

وإذا كان المراد أنه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه، فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟

وهل يتفق هذا مع قوله: ينقذه ويخلصه وينجيه؟ فمن أي شيء نجاه إذًا؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خدامًا ليمسكوه (أنا معكم زمانًا يسيرًا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه .

ومما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن عين الناس قول مرقس (١٦: ١٢): (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا (٢٤: ١٥-١٦):

(اقترب إليهما يسوع نفسه، وكان يمشي معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته)

وجاء في لوقا (٢٤: ٤٢، ٤٣) قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد عسل، فأخذ وأكل قدامهمم) وهو يدل على أنه قام بعين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب، وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤: ٣١) فأي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو؟

على أنه كان يختفي فعلاً قبل الصلب كما قال يوحنا، وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨: ٥٩) راجع أيضًا (يو ١٠: ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤: ٣٠) .

وقال عليه السلام أيضًا يو ١٦: ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي .

وأنا لست وحدي لأن الأب معي يو ١٦: ٣٣ وقد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام .

في العالم سيكون لكم ضيق .ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم .

وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله سينجيه وينقذه؛ وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود ويصلبونه رغمًا عن إرادته كما بيناه؟

وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى (٢٧: ٤٦): (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الأول صريح في أن الله لم يتركه؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الإسلام بسنين عديدة منهم السيرنثيين (Cerinthians) والباسيليديين (Basilidians) والكاربوكراتيين

(Carpocratians) والناتيانوسيين أتباع ناتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد الشهير، وغيرهم كثيرون، وكثير من فرقهم القديمة أيضًا كانوا موحدين منكرين لألوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Arians) ومنهم كان الإمبراطور (قسطنطين) أول قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أمم الطيطون) أي

(الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحدين (Unitanians) إلى اليوم .

وقال فوتيوس (Photius): إنه قرأ كتابًا يسمى (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا وأندراوس وتوما وبولس ومما وجده فيه هذه العبارة **(إن المسيح لم يُصلب ولكن صُلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه)** أي الذين ظنوا أنهم صلبوه .

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكره للصلب في كتابنا: (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح) .

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه؛ ولذلك أخذوا معهم يهوذا ليدلهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦: ٤٧ - ٥٠) و(مرقص ١٤: ٤٣ - ٤٦) انظر أيضًا (أع ١: ١٦) فكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من جميع نصوص العهد الجديد وخصوصًا التي أشرنا إليها، وقد كان القبض عليه ليلاً كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل

انظر (متى ٢٦: ٣١ و٣٤ و٧٥ و٢٧: ١) و(مر ١٤: ٢٧ و٣٨ - ٤٢) و(لو ٢٢: ٥٣ و٦٦) و(يو ١٨: ٣ و٢٧ و٢٨).

ويظهر من إنجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيبةٌ منه حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨: ٦) وما كان هيرودس يعرفه، ولم يجب المقبوض عليه هيرودس بشيء (لو ٢٣: ٨ و٩) فهنا أيضًا موضع آخر للشك .

وكان بيلاطس هو وامرأته يريد إنقاذ المسيح (متى ٢٧: ١٥ - ٢٥) و(لوقا ٢٣: ١٣ - ٢٥) فيجوز أنه غشهم وأطلق لهم غيره، وخصوصًا لأن رؤساءهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان بيلاطس يعتقد أنه بريء من كل ما نسب إليه (متى ٢٧: ٢٤) وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع ١٢: ٦ - ١٠) وكذلك بولس و سيلا (أع ١٦: ٢٥ و٢٦) فهل من البعيد أن يكون المسيح عليه السلام أُنقذ من السجن كما أنقذت أتباعه، أو أنه

هرب منه أو أن بيلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح، فذهب إلى موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢: ١٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه، فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧: ٣٤) وكما لم يجد الخمسون الرجل إيليا بعد رفعه (٢ مل ٢: ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤: ٦) فانظر هداك الله إلى هذه النصوص وتدبرها بعين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام، وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يتعسفون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم .

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والنبوات السابقة الفصيحة الصريحة، ويتمسكون بعبارات من نبوات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصًّا في عقائدهم، ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب .

برهانهم الثالث:

المزمور الثاني والعشرون وخصوصًا قول داود عليه السلام فيه :

(أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتني - إلى قوله -: ثقبوا يدي ورجلي، أحصى كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرسون فيّ، يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) [1].

وفي النسخة العبرية بدل (ثقبوا يدي ورجلي) قوله: (كأسد يدي ورجلي) .

ولذلك قال البروتستنت: إن الكلمة المترجمة هنا (بثقبوا) يراد بها أيضًا كأسد .

والسيد داود عليه السلام يشير في هذا المزمور إلى حادثة وقعت له وهي مذكورة في سفر صموئيل الأول (إصحاح ٢٩ و٣٠) وكانت هذه الحادثة مع العمالقة في صقلغ وكان معه من بني إسرائيل جماعة ومنهم من أرضهم في باشان، وهم الذين هموا برجمه لما سبيت نساؤهم وأولادهم (١ صمو ٣٠: ٤-٦) وقد سُبيت امرأتاه

[1]: (الفقرات من ١٢- ١٨).

أيضًا، فبكى هو ومن معه بكاء مرًّا ولكنه تشدد بالرب إلهه ودعاه بهذا المزمور .

فقوله: (أقوياء باشان اكتنفتني) هم: الذين كانوا معه من بني جاد ومن بني منسي؛ لأن أرضهم في باشان، وهم الذين قالوا برجمه وقد سماهم ثيران (مز ٢٢: ١٢) .

وقوله بعد ذلك: (جماعة من الأشرار اكتنفتني) هم: العمالقة الذين سبوا زوجتيه ولا بد أنهم أخذوا ملابسه معهم أيضًا ولذلك قال(٢٢/ ١٨): (يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) .

وقوله: (كأسد يدي ورجلي) إشارة: لشجاعته وشدته وقد نصره الله على العمالقة واسترد منهم كل ما أخذوه فأي علاقة لهذا بالمسيح ؟!

نعم إنهم اخترعوا له أشياء تشبه بعض ما ذكر في هذه الحادثة ليطبقوها عليه، فقالوا:

إن العساكر اقتسمت ثيابه[1].

مع أن المسيح ما كان يلبس شيئًا فاخرًا؛ لتقشفه وزهده، ولا يعقل أن الولاة أعطوه وهو محكوم عليه لباسًا نفيسًا حتى تهتم العساكر بقسمته بينهم؛ ولكن النصارى كما قال السيد جمال الدين

(فصَّلوا ثوبًا من العهد العتيق وألبسوه للمسيح) فضلوا وأضلوا هداهم الله .

وإذا ترجمنا عبارة داود هكذا (ثقبوا يديّ ورجليّ) كما يترجمونها كان المعنى:

أنهم أتلفوهما وهو كناية عن تعطيل جميع قواه وقهره وإذلاله بسبي نسائه ونساء رجاله وبنيهم وأخذهم الغنائم الكثيرة منهم [2].

ألا ترى إلى قوله في نفس هذا المزمور(٢٢: ١٤) :(كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي .

---

[1]: راجع(يوحنا ١٩: ٢٣، ٢٤).

[2]: راجع (١ صموئيل ٣٠: ٣ و١٩).

صار قلبي كالشمع، قد ذاب في وسط أمعائي .. إلخ).

فهل هذه الأشياء وقعت بالفعل؟

وهل انفصلت عظام داود أو المسيح حقيقة وذاب قلبهما؟

أم كل هذا كنايات كقوله: (ثقبوا يديّ ورجليّ) ؟!

وكان داود يدعو الله أن ينصره على أعدائه ويخذلهم، وينجيه من تعيير رجاله له ورغبتهم في رجمه .

وقد كان ذلك كله فنصره الله عليهم وقتلهم واسترّد منهم جميع ما أخذوه، كما سبق (١ صمو ٣٠: ١٧ - ١٩) .

وأمثال هذه الكنايات كثيرة في المزامير وغيرها راجع مثلاً قوله (مز ٣: ٧):(قم يا رب، خلصني يا إلهي؛ لأنك ضربت كل أعدائي على الفك، هشمت أسنان الأشرار) .

ومزمور ١٨ و٣٥ .

أما المسيح عليه السلام فلم ينجه الله تعالى - على قولهم - من يد أعدائه بل أخذوه وعذبوه وصلبوه وقتلوه .

مع أن مقتضى المزمور الذي نحن بصدده: أن الله استجاب دعاء داود ونجّاه من أعدائه ومن الكرب الذي كان فيه [١].

فكيف إذًا ينطبق هذا على المسيح؟ !

برهانهم الرابع :

ما ورد في الإصحاح الثاني عشر والثالث عشر من سفر زكريا .

اعلم أن الإصحاح الثاني عشر هو: نبوءة عن يهوذا المكابي، وملخص قصته، كما في التواريخ المسيحية، وكما في سفر المكابيين المقدس عند الكاثوليك وعند

---

[١]: (انظر: عدد ٢٤ منه).

الأرثوذكس:

(أن ثلاثة من الكهنة الأشرار منهم واحد يسمى (الكميس) جمعوا حولهم نفرًا من قومهم اليهود وذهبوا إلى انتيوخس ملك سوريا اليوناني ووشوا إليه بالآخرين من أمتهم وحرضوه عليهم فانقاد الملك لرأيهم وسار إلى أورشليم وسلب ما في الهيكل فهرب من بقي في المدينة وولى على اليهود واحدًا من قواده وأمره أن يطلب من اليهود: أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير وأن يتركوا الختان .

وكان يقتل كل من لم يقبل ذلك، وكان أكثرهم طاعة الكهنة الثلاثة المذكورون سابقًا وحزبهم؛ فتسلطوا على إخوانهم الذين لم يطيعوا وفي سنة(١٦٦ق.م) قام كاهن من اليهود الصالحين رئيسًا عليهم فقتل أحد عساكر الملك وهو يهودي منافق وقتل القائد أيضًا فقويت بذلك قلوب اليهود .

ولما توفي خلفه ابنه (يهوذا) فالتف حوله جمع عظيم وحارب جيش الملك فهزمه، وأراد الملك أن يأتي بنفسه إليه ولكنه مات في الطريق، ولما فرغ يهوذا من محاربة اليونان دخل أورشليم وأزال الأوثان وطهر البيت وبنى مذبحا جديدًا ثم قتل بعد ذلك في بعض وقائعه مع اليونان وكان في جيش عدوه (الكميس) وكثير من منافقي اليهود فبكاه شعب إسرائيل بكاءً عظيمًا وتولى أخوه يوناثان بعده [١].

فلذا قال زكريا في كتابه(١٢: ٢) :(هأنذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضًا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) .

وفي نسخة الكاثوليك: (ويهوذا أيضًا تكون في الحصار على أورشليم) إلى قوله:

(يجتمع عليها كل أمم الأرض) أي الشعوب التي حولها .

فلا يدل هذا على التعميم كما يقولون هم في مثل قول لوقا(٢: ١): (وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المكونة) أي الأرض التابعة للرومان فقط .

---

[١]: (راجع الفصل ٩ من سفر المكابيين الأول عدد ٢٠).

وفي قول التكوين (٤١: ٥٦، ٥٧): (وكان جوع على كل وجه الأرض، وجاءت كل الأرض إلى مصر)، وكذا قول(تك ٧: ١٩): (فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء) إلى قوله: (فمحى الله كل قائم كان على وجه الأرض) .

ثم قال زكريا(١٢: ٤ -١١):(فى ذلك اليوم أضرب كل فرس بالحَيْرة وراكبه بالجنون، ....، في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح ....، ويخلص الرب خيام يهوذا ......، وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات، فينظرون (إليّ) الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ......، في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) .

وصحة الترجمة: (ويسلمون إليّ) أمر (الذي طعنوا) بدون هاء الضمير؛ وذلك أن الذين كانوا مع يهوذا المكابي تركوه خوفاً من جيش العدو ولم يبق منهم إلا قليل هربوا أيضًا حينما قتل وسلموا أمره إلى الله وإنما نسب الطعن إليهم؛ لأنهم تسببوا فيه بفرارهم من حوله .

وأيضًا لأن الجيش الذي طعنه كان فيه كثير من اليهود مع (الكميس) الذي كان يرغب أن يكون كاهنًا أعظم وأتى بجيش الملك لمحاربة يهوذا معه ، وعلى فرض صحة ترجمة البروتستنت، وأن المعنى: (فينظرون إليّ، أنا الذي طعنوه). فالذي طعنوه هو (يهوذا) وإنما أسند النظر والطعن إلى الله تعالى على حد قول الإنجيل [1]: (لأني جعت فأطعمتموني) (عطشت فسقيتموني)، إلى قوله: (بما أنكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم).

وقوله تعالى في القرآن الشريف: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال: ١٧) .

وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح: ١٠) .

ولما كان يهوذا المكابي هذا مرضيًّا عند الله ومحبوبًا وأعماله إنما هي لله - نسب

---

[1]: راجع :(متى ٢٥: ٣٥ -٤٠).

تعالى طعن أعدائه له، لنفسه تعالى، كما نسب جوع الفقراء وعطشهم له .

وقد أشار دانيال (كما قالوا) في آخر سفره لحوادث يهوذا المكابي هذا (دا ١٢: ١٢).

هذا وقول زكريا: (وينوحون عليه كنائحٍ على وحيدٍ له، في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) إلى قوله : (كل العشائر الباقية عشيرة عشيرة على حدتها).

يؤيد تفسيرنا هذا وأنه في حق يهوذا لا في حق المسيح فإن الذين طعنوه وهم عسكر الرومان

(يو ١٩: ٣٤) لم ينوحوا عليه في ذلك اليوم ولا عشائر اليهود الذين تسببوا في صلبه .

أما يهوذا فقد ناحوا عليه كثيرًا كما تقدم في سفر المكابيين، ويؤيد قولنا أيضًا قوله قبل هذا(زكريا ١٢: ٢) (وأيضًا على يهوذا تكون في حصار أورشليم). فإنه لا ينطبق على المسيح فإن أورشليم لم تكن محاصرة بجيوش حينما كان المسيح عليه السلام فيها ولم يكن ثَمَّ حرب .

ثم قال زكريا في الإصحاح الثالث عشر(١٣: ١- ٨)(فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحًا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة) إلى قوله: (اضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يدي على الصغار). فالمراد بالراعي هنا (يوناثان) أخو يهوذا المكابي الذي تولى بعده .

ولما قتل يهوذا دخل جيش الملك ومعه اليهود المنافقون ونجسوا المدينة وكان رئيسهم (الكميس) فظلم اليهود الصالحين وأمر بهدم حائط بيت المقدس؛ فلذلك قال: (فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحًا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة) ثم أصيب (الكميس) بفالج ومات، فرحل الجيش وتولى يوناثان أخو يهوذا ودخل المدينة وطهرها وأزال عبادة الأصنام كما قال زكريا

(١٣: ٢): (إني أقطع أسماء الأصنام من الأرض) ثم قتله قائد يسمى (تريفون) بالخديعة وأخذ من أخيه (سمعان) مئة قنطار من الفضة وولدي (يوناثان) أيضًا كما في سفر المكابيين ولما قتل تشتت جيشه وحصل لليهود رعب شديد وفزع ثم

جمعهم (سمعان) أخوه وشجعهم واستأصل كل أثيم شرير من اليهود المنافقين (مكابيين أول ١٤: ١٤) وانتهت عبادة الأصنام من بينهم فهذا هو قول زكريا: (استيقظ يا سيف على راعيّ .. .. اضرب الراعي فتشتت الغنم وأرد يديّ على الصغار) ولدي يوناثان (ويكون في كل الأرض) أي أرض إسرائيل (أن الثلثين منها يقطعان) وهم الأشرار الذين قتلهم سمعان (ويموتان والثلث يبقى فيها) وبعد سمعان لم تعد اليهود لعبادة الأصنام؛ فلذلك قال في آخر هذا الإصحاح (زك ١٣: ٩) هو(أي شعب إسرائيل) يدعو باسمي وأنا أجيبه، أقول: هو شعبي وهو يقول: الرب إلهي) .

فهذان الإصحاحان لا علاقة لهما بالمسيح عليه السلام ألبتة ولا ينطبقان عليه .

وهل المسيح كان له ولدان فأُسِرا حتى يقول: (وأرد يدي على الصغار)؟

وهل مات بالسيف، مع أنه ما ضُرب بالحربة إلا بعد موته [١]؟

فما بالهم يريدون أن يجعلوا كل شيء رمزًا لدينهم ولو بالقوة، وإن خالفوا اللغة والتاريخ والعلم والعقل والدين؟ !

برهانهم الخامس

قال متى في إنجيله(٢٧: ٩): (حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل) .

فادعى متَّى، وادعوا تبعًا له: أن الأنبياء أخبروا أن المسيح سيباع بثلاثين من الفضة، وهذه النبوءة لا يوجد لها أثر في كتب العهد العتيق اللهم إلا في كتاب زكريا (لا أرميا) فإنه يوجد بعض ألفاظ تشبه هذه العبارة [٢].

---

[١]: راجع يوحنا (١٩: ٣٣ و٣٤) .

[٢]: يشير صدقي إلى قول زكريا (١١: ١٢ و١٣): (فقلت لهم إن حسن في أعينكم، فاعطوني أجرتي، وإلا فامتنعوا، فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، فقال لي الرب ألقها إلى الفخارى، الثمن الكريم الذي ثمنوني به) .

ولكن لا علاقة لها بالمسيح، وإنما النصارى - كما قلنا مرارًا - يخترعون من الحوادث للمسيح ما يمكنهم أن يطبقوه على عبارات العهد القديم؛ ليوهموا الناس أن الأنبياء السابقين أخبروا بجميع أحوال المسيح حتى موته وصلبه وألوهيته المزعومة .

وفي هذه العبارة كما في غيرها لم يحسنوا التلفيق فأخطئوا وذكروا اسم أرميا وكان الأولى أن يحسنوا السبك ويذكروا زكريا بدله وإن كان كل من العبارتين مختلفًا لفظًا ومعنًى .

برهانهم السادس

جاء في سفر الأعمال(٢: ٣١) أن داود أنبأ عن قيامة المسيح (من الموت بعد الصلب)

بقوله: (إنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا أرى جسده فسادًا).

يشير بذلك كاتب هذا السفر إلى المزمور السادس عشر الذي قال فيه داود عليه السلام [١]:

(لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضًا يسكن مطمئنًّا؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ،

لن تدع تقيك يرى فسادًا، تعرفني سبيل الحياة - إلى قوله - :(في يمينك نعم إلى الأبد) .

وظاهر أن داود في هذا المزمور يتكلم عن نفسه .

ولفظ (الهاوية) هنا أصله العبري (شآول)، وهو اسم علم لدار الموتى، سواء كانوا في سعادة أو في شقاء؛ ولذلك قال يعقوب لبنيه حينما أرادوا أخذ بنيامين منه :(إن أصابته أذية في الطريق تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية)[٢] .

---

[١]: راجع: (مز١٦: ٩ -١١).

[٢]: (تكوين ٤٢: ٣٨).

وعليه فمعنى هذا المزمور أن جسد داود يسكن بعد الموت مطمئنًّا؛ لأنه يعلم أن الله لن يتركه ميتًا إلى الأبد بل سيرد روحه إليه من عالم الأرواح (شآول) ويبعثه يوم القيامة للحياة الباقية فيخرجه من دار الموتى إلى نعيم الجنة .

وأما قوله: (لن تدع تقيك يرى فسادًا، تعرفني سبيل الحياة) .

فالكلمة المترجمة هنا (بفساد) تفيد أيضًا معنى (القبر). والمراد بها المعنى المجازي، أي مكان الموت المعنوي وهو البعد عن الله فكأنه قال: (إنك لن تدعني يا الله أرى مكان الموتى وهم الضالون الأشرار بل ستهديني إلى معرفتك التي بها الحياة الأبدية وتعصمني من الاقتراب منهم). فلهذا ولاعتقادي بالبعث والنشور أراني مطمئنًا وسيسكن جسدي بعد موتي مستريحًا واثقًا بوعدك لي بالنعيم الخالد فلذا أحمدك وأشكرك؛ لأنك نجيتني من الموت (الموت الأدبي الروحاني) .

وذلك مثل قوله في مزمور آخر[1] (لأنك نجيت نفسي من الموت، نعم ورجلي من الزلق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء) (أو الحياة) .

فالبعد عن الله هو الموت وهو الموصل للقبر ومعرفته تعالى هي الحياة الباقية .

قال المسيح عليه السلام [2]: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك، أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته).

وقال[3]:(كل من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد) .

وقال أيضًا[4]: (من يؤمن بي فله حياة أبدية) .

فهذه الأقوال كلها هي كقول داود: (لن تدع تقيك يرى فسادًا (أو قبرًا). تعرفني سبيل الحياة). إذ إن من عرف الله وآمن به واتقاه لا يرى الفساد ولا الشر وينجو من الموت النفساني ويبتعد عن مأوى الأشرار الفجار الذين ماتت نفوسهم

---

[1]: (مز ٥٦: ١٣).

[2] : (يو ١٧: ٣).

[3] : (يو ١١: ٢٦).

[4] : (يو ٦: ٤٧).

فيحيا إلى الأبد .

كما قال المسيح عليه السلام :

(حياة طيبة مع الأطهار الأبرار بعيدًا عن مواطن السوء والشر والفساد)[1].

قال الله تعالى في القرآن الشريف: (أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) (الأنعام: ١٢٢) .

أما إذا أصر النصارى على أن المراد بعبارة داود هذه: الحقيقة، لا المجاز، وترجمت هكذا:

(لن تدع تقيَّك يرى قبرًا) كانت منافية لقوله قبلها(مز ١٦: ٩) (جسدي أيضًا يسكن مطمئنًّا) أي في القبر، فإن ذلك يعين أن ما جاء بعد، من عدم رؤية القبر يراد به قبر موتى النفوس البعيدين عن الله (أي القبر المعنوي) فإن المؤمن لا يموت أبدًا، وليس المراد القبر الحقيقي؛ وإلا فإن داود والمسيح عليهما السلام قد رأيا القبر ودفنا فيه وبقي المسيح فيه ثلاثة أيام - كما يقولون.

ومن راجع المزامير كلها علم أن المجازات فيها ربما كانت أكثر من الحقيقة .

وإني لأعجب لماذا يريد النصارى حمل كل ما جاء في العهد القديم على المسيح ولو كان بعيدًا عنه حتى مجَّ الإنسان سماع هذه الاستشهادات منهم ! ! لكني أتذكر فأقول:

إنهم لو وجدوا لدينهم دلائل غيرها لما تهافتوا عليها تهافت الظمآن على السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا .

فهذه هي براهينهم على الصلب من العهد القديم وقد انهارت جميعها على أسسها وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت .

---

[1] : راجع أيضاً متى ٦: ١٣ ويو ١٧: ١٥.

(الفصل الثاني)

(في إبطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح من العهد القديم)

نبدأ هذا الفصل بالمقدمة الآتية، ثم نتبعها بالكلام على شواهدهم التي يتمسكون بها من العهد القديم .

المقدمة :

لا يخفى أن اليهود من عهد موسى عليه السلام إلى زمن المسيح كانوا دائمًا يميلون إلى الوثنية، فمع ظهور آيات الله تعالى لهم العظيمة ومع كثرة أنبيائهم وشدة نهيهم لهم عن الشرك وعبادة غير الله نراهم كثيرًا ما ارتدوا وعبدوا الأصنام وقربوا قرابينهم لمولك و لعشتورث و لكموش [1].

وسجدوا لها وعبدوا - في زمن موسى - العجل الذهبي وغير ذلك كما تشهد به كتبهم .

ولعل منشأ حب الوثنية في قلوبهم وجودهم أزمنة طويلة بين الوثنيين الذين كانوا في كثير من الأوقات سادات لهم في مصر و بابل والذين تغلبوا عليهم في أرض كنعان، والمغلوب يميل عادة لتقليد غالبه ويعجب بما عنده من مظاهر الأبهة والعظمة والجمال .

---

[1] : مولك اسم إله للعمونيين وكان من نحاس جالسًا على عرش من نحاس وعشتورت آلهة الصيدونيين وكموش إله المؤابيين، راجع:(١ مل ١١: ٣٣).

فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس (اليهود) الذين أُشربوا في قلوبهم حب الوثنية من قديم الأزمان أن يقولوا في مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ويظنون أنه سيكون ملكًا عظيمًا ينصرهم على جميع الأمم ويخلصهم من ظلم أعدائهم ومن سلطانهم عليهم ويجعلهم سادة الأرض ويكون دينهم أبديًّا، كما قالوا في الختان (تك ١٧: ١٣) وفي مواسمهم وقرابينهم .

(راجع الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين) .

وكما قالوا في ملك سليمان إنه باقٍ إلى الأبد [١].

(٢ صمو ٧: ١٢ - ١٦ وأخبار الأيام الأول ٢٢: ١٠).

فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس الذين علمت ميلهم للوثنية وأوهامهم وخيالاتهم في ملكهم وأمتهم ودينهم أن يقولوا في مسيحهم هذا: إنه أعظم المخلوقات وأن الله تعالى خلقه قبل كل شيء وبه عمل كل شيء وأنه صيره إلهًا وأن ملكه سيبقى إلى الأبد وأنه سيدين الخلائق جميعًا يوم القيامة، إلى غير ذلك من هذه الأحلام اللذيذة والخيالات الجميلة !! التي كانوا يقولون نحوها حينما يرتدون في معبوداتهم التي عبدوها مرارًا من دون الله مع كثرة نهي موسى والأنبياء

---

[١] : حاشية: يقول النصارى: إن ذلك إشارة إلى المسيح عليه السلام؛ لأنه أتى من نسل سليمان ونقول: إن من راجع نسب المسيح عليه السلام كما في إنجيل لوقا ٣: ٢٣ - ٣٨ اتضح له أن المسيح من نسل ناثان بن داود لا من نسل سليمان فكيف يكون هو المراد بتلك العبارة؟ وقد قالوا لرفع الخلاف الذي بين متى ولوقا في نسب المسيح: إن ما ذكره لوقا هو نسب أمه مريم عليها السلام فهو نسبه الحقيقي أما ما ذكره متى فهو نسب يوسف النجار ولا يخفى أن يوسف ليس بأب المسيح وعليه فلا يكون المسيح عليه السلام من نسل سليمان إلا بالادعاء من غير برهان وإن كان يوسف النجار هذا من نسله كما في إنجيل متى (١: ٦) إلا أن يوسف هو زوج مريم فقط وليس هو أبو المسيح عليه السلام ولا ندري لماذا ذكر لوقا الآباء الحقيقيين لبعض جدود مريم تارة والآباء الشرعيين كما يقولون للجدود الآخرين؟ ولماذا لم يجر على طريقة واحدة كمتى فيذكر إما =

= الآباء الحقيقيين كلهم أو الآباء الشرعيين؟ وهل وجود ابن حقيقي للأب الشرعي يسوغ إهمال لوقا ومتى لذكره مع ذكر لوقا لبعض من لا ولد حقيقياً له لهذا السبب كما يدعون لرفع تناقضهما واختلافهما العظيم ولم يخجلوا من هذا الاضطراب والتضارب ! .

لهم[1] عن الشرك والوثنية.

فلما جاء المسيح عليه الصلاة والسلام نمت هذه العقائد في قلوبهم وحاول كثير ممن آمن به عليه السلام عبادته فكان يحارب هذه الأفكار بمثل قوله في إنجيل متى(٧: ٢٢ - ٢٣):

(كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب ألبس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؛ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم) .قوله: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب)[2].

وقوله: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[3].

وزجره لمن ناداه بقوله: (أيها المعلم الصالح) فقال[4]: (لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله) .

وقوله:(الرب إلهنا رب واحد)[5].

وقوله:(بهاتين الوصيتين) أي محبة الله ومحبة القريب (يتعلق الناموس كله والأنبياء)[6].

وتسمية نفسه في أكثر الأوقات (بابن الإنسان) إشارة إلى أنه إنسان مثلهم .

---

[1] : راجع: (الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية وغيره) .

[2] : راجع: (مر ١٣: ٣٢).

[3]: راجع: (يو ١٧: ٣).

[4] : كما في متى (١٩: ١٧).

[5] : راجع :(مر ١٢: ٢٩).

[6] : راجع :(متى ٢٢: ٤٠).

وقوله: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) [1]، أي أن الله أب له كما هو أب لهم وإله له كما هو إله لهم إلى غير ذلك من أقواله الشريفة التي أبقاها الله تعالى في الأناجيل إلى اليوم حجة ناهضة على النصارى، ولكن الناس في زمنه وبعده أبوا إلا أن يعبدوه من دون الله وإن رفض تواضعًا منه أن يسمى صالحًا وأوّلوا جميع أقواله هذه وغيرها بالتعسف والتكلف البارد الذي نسمعه اليوم من النصارى في هذه الأقوال الصريحة .

وأي كلام لا يمكن تأويله بمثل هذه التأويلات السخيفة؟ !

فاليهود الذين تنصروا حملوا إلى المسيحية وثنيتهم القديمة، رغمًا عن جميع أقوال المسيح

عليه السلام نفسه وتعاليمه، وأولوها حتى أخرجوها عن معانيها الحقيقية الظاهرة منها ظهور الشمس في رابعة النهار .

والذي يدلك على ميل اليهود في ذلك الوقت لهذه الأفكار الوثنية: قول يوسيفوس - مؤرخهم الشهير - في حق المسيح ما يأتي، إذا صح أن النصارى لم يحرفوا كلامه (كما حرفوا غيره) على ما يقول كثير من فلاسفة العلم في أوربا اليوم .

فمع أن يوسيفوس ما كان يعتقد صدق المسيح عليه السلام قال ما يأتي عنه في تاريخه القديم

(كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣): (ونحو هذا الوقت نشأ يسوع إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنسانًا؛ لأنه عمل أمورًا عجيبة وكان معلمًا لجماعة قبلوا الحق بسرور وصار له مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين) فانظر وتأمل [2]!

وقد ساعد اليهود على هذه الأفكار وجودهم في ذاك الوسط الوثني وسط

---

[1] : كما في يوحنا ٢٠: ١٧ .

[2]: راجع الفصل الثالث من كتاب دين الله في كتب أنبيائه، للمؤلف .

الرومانيين ووسط الفلسفة اليونانية وغيرها وانتشار مثل هـذه العقائـد بـين جميـع الأمم الأخرى .

فحمل الذين تنصروا منهم في ذلك الزمن إلى دينهم الجديد أفكارهم القديمـة في مسيحهم المنتظر وغلوهم فيه فقالوا:

إنه أفضل جميع المخلوقات وإنه خلق قبل العالمين (وهو بكر الخلائق) وأن الله خلق الخلق بواسطته وأنه صيره إلهًا مثله وأنه سيأتي ويدين الخلائق بدلاً عن أبيـه إلخ... إلخ .

وهذه الأفكار هي التي نقرؤها في الأناجيل المتأخرة، كإنجيل يوحنا، وفي رسائل بولس - أعظم اليهود المتنصرين، في مبدأ المسيحية، بـل مؤسـس المسـيحية الحاليـة الحقيقي - تأمل في الإصحاح الأول مثلاً من رسالته إلى العبرانيين وفي قوله فيها(١: ٤):

(صائرًا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم) .

وفي رسالته إلى أهل كولوسي (١: ١٥ - ١٧) .

فالظاهر من أقوالهم في تلـك الأيـام أنهـم كـانوا يعتقـدون أن المسـيح لم يكـن مساويًا لله تعالى في الدرجة والمقام والجوهر؛ بل مخلوقًا منه قبل جميع الخلق { أي بكر كل خليقة كما قال بولس } وأقل درجة منه تعـالى، وهـو الـذي وهبـه كـل شيء حتى جعله بارًّا وإلهًا للعالمين كما جعل موسى إلهًا لفرعون علـى مـا يقـول سفر الخروج (٧: ١).

فلم تكن عقائد ألوهيته الأصلية الأزلية ولا عقائد التثليث ناضجة في أذهـانهم كما هي اليوم؛ ولذلك لا تجد بيانًا مفصلاً شافيًا لهذه العقائد في العهد الجديد .

هذه هي أفكار اليهود القدماء التي أدخوها في المسيحية، وكانت نشأت فيهم قبل وجود عيسى عليه السلام بسنين؛ لأجل مسيحهم الذي ينتظرونه، ثم شبت ونمـت حتى بلغت أشدها في زمن بولس وشابت وهرمت بعده فقال أكثـرهم: إن المسـيح

مساوٍ لله تعالى في الجوهر والمقام، وأنه هو هو، وبقي الآخرون على عقائدهم القديمة في عدم المساواة وقام منهم فرق عديدة ورؤساء لهم كآريوس وغيره، مؤيدين كلامهم بمثل قول بولس:

(كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته - إلى قوله - : الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات - إلى قوله - : وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة)[1].

وقول بطرس: (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون)[2].

ولكن فاز الفريق الأقوى والأكثر على الفريق الأقل؛ لميل النفوس إلى الغلو والمبالغة ولانتشار الوثنية في العالم .

وبقي الأقلون الذين لا يعتقدون في مساواة المسيح بالله، إلى أن جاء الإسلام فراق لهم وأعجبهم فدخلوا فيه أفواجًا أفواجًا، واستمر فريق منهم في أوروبا إلى اليوم، ولكنهم بثوا أيضًا في نفوس بعض الغلاة من المسلمين شيئًا من أفكارهم القديمة، فجعلوا محمدًا صلى الله عليه وسلم مخلوقًا قبل كل شيء؛ ولأجله خلق كل شيء ومن نوره([3])خلق كل شيء، كما كانوا يقولون مثل ذلك في المسيح من قبل؛ ولولا أن نصوص الإسلام أصرح وأكثر من نصوص غيره في التوحيد والتنزيه، ولولا ارتقاء البشر في زمنه عمن سبقهم في العقل والفكر لَعُبِد محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله كما عُبِدَ غيره من الأنبياء والمصلحين وغيرهم ولدخل

---

[1] : راجع: (أفسس ١: ١٧ - ٢٢) .

[2] : راجع: (أع ٢: ٢٢) .

[3] : حاشية: قال ابن تيمية في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الجزء الثاني صفحة ١٩٨: إن جميع هذه الأحاديث الواردة في خلق العالم من نور النبي (كلها كذب) ولا يخفى على أحد علم ابن تيمية في الحديث (صدقي).

المسلمون في عين جحر الضب الذي دخله مَنْ قبلهم .

وعليه فإذا وجد في كتب اليهود ألف نص ونص على ألوهية بعض البشر أو مساواتهم لله تعالى في الأزلية لما قُبِل منهم، ولعلمنا أنه مما أدخلوه في عقائدهم ومما أفسدوه في دينهم .

ولما وجد اليهود أن النصارى يتمسكون به عليهم؛ لإقناعهم بدينهم وبمسيحهم ترك اليهود هذه الأفكار القديمة في المسيح المنتظر شيئًا فشيئًا حتى محيت من بينهم تقريبًا وأنسيت من أفكارهم ولم يبق لها إلا آثار قليلة في بعض كتبهم القديمة وهذه الآثار هي التي يريد النصارى إقناع المسلمين بها اليوم .

على أنها غير صريحة وليست نصًّا في الموضوع ويمكن تأويلها بنفس أقوال كتبهم الأخرى بدون تكلف ولا تعسف كما يفعلون هم في أقوال المسيح عليه السلام في التوحيد والتنزيه .

وإذا سألت النصارى: لماذا لم تذكر عقيدة التثليث والتجسد والفداء في كتب أنبياء بني إسرائيل صراحة؟ أجابوك لعدم استعداد البشر لها في تلك الأزمنة .

ونقول: قد أثبت العماء الباحثون وجود مثل هذه العقائد تمامًا عند أكثر الأمم الوثنية القديمة إن لم نقل كلها[1] .

فهل وصل إليها الناس بالعقل أم بالوحي؟

فإن كان الأول فما عدم الاستعداد إذًا؟ وإن كان الثاني فَلِمَ أَوحيت إلى الناس كافة ولم توحَ إلى شعب إسرائيل - شعب الله المختار المفضل على العالمين؟ !

وما معنى هذا الاستعداد؟ هل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقائد ثم فهموها مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبدًا ! !

فإن قالوا: إنها أَوْقعت قديمًا كثيرًا من الناس في الشرك الحقيقي؛ فلذا لم توحَ إلى بني إسرائيل .

---

[1]: راجع: (كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية).

قلت: وهل سلمت اليهود من الشرك والوثنية، وهم الذين عبدوا كثيرًا من آلهة الكفرة والمشركين مع صراحة التوحيد في كتبهم وكثرة نصوصه؟

وهل سلم النصارى من الشرك والوثنية، وفيهم من عبد مريم العذراء والصليب والقديسين والقديسات؟

وهم جميعًا إلى الآن يعبدون المسيح كله مع قول جمهورهم إنه إنسان كامل وإله كامل وهم مع ذلك يعبدون الثالوث المركب من الآب والابن والروح القدس مع تصريحهم بأن الآب هو الأصل وأن الروح القدس انبثق منه والابن انبثق من أحدهما أو كليهما (على رأي آخرين) .

وما الفرق بين عبادة الثلاثة على أنها أقانيم وبين عبادتها على أنها ثلاثة آلهة؟

وما الفائدة من التوحيد إذًا؟ !

الحقُ: أن جميع الأمم القديمة قالوا بهذه العقيدة (الثالوث) للجمع بين التوحيد الذي أوحي إليهم من الله وبين الشرك الذي لم يُمْكِنهم أن يتصوروا وجود إله للعالم بدونه لقصر عقولهم واستبعادهم أن يدبر هذا الكون العظيم إله واحد، ومثل هذا السبب قد أوقع النصارى في نفس هذه العقيدة للجمع بين النصوص التي رأوها متناقضة في العهد الجديد .

أما العهد القديم فدلائل التوحيد فيه بينة ظاهرة في جميع أسفاره من أولها إلى آخرها .

وإليك جميع الأقوال التي يتمسك بها النصارى من كتب اليهود على ألوهية المسيح، وبيان معناها، وهي التي تركوا لأجلها نصوص المسيح عليه السلام الفصيحة الصريحة ونصوص جميع الأنبياء الآخرين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشواهد من العهد القديم

١ - جاء في كتاب أشعيا ما يأتي: (لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًّا رئيس السلام، لنمو رئاسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق .... إلخ) [1].

فإذا صح أن هذا الكلام في حق المسيح فهو من أوهام اليهود في مسيحهم الذي ظنوا أنه سيجلس على كرسي داود إلى الأبد كما قالوا في سليمان على ما تقدم . على أن تسميته (إلهًا) قد ورد مثلها في حق موسى عليه السلام كما في سفر الخروج (٧: ١)

(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهًا لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك).

وورد في المزمور (٦/٨٢) (أنا قلت: إنكم آلهة وبنو العلي كلكم) .

ثم إن اللفظ المترجم بإله هنا في الأصل العبري يحتمل معنى (القوي أو الجبار).

وفي النسخة اليونانية الإسكندرانية بمعنى القوي ولا وجود له هنا في النسخة السبعينية .

ويقول اليهود الآن: إن المراد بهذه العبارة هو: حزقيا ومعنى حزقيا (قوة الله) وهو من أعظم ملوك اليهود ومعدود بين الملوك الثلاثة الذين كانوا من أحسن ملوك يهوذا وهم يهوشافاط وحزقيا ويوشيا .

ويقول المسلمون: إن عبارة أشعياء هذه هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي جلس على كرسي داود في الأرض المقدسة للآن، وهو أب أبدي

---

[1] : راجع : (أشعيا ٩: ٦، ٧) .

للمؤمنين رئيس السلام لغير المعتدين [١]، واسمه (محمد) لم يكن معتادًا [٢] بين العرب قبله، وهو قوي منصور، وجميع هذه الصفات لا تنطبق على المسيح مثل انطباقها على محمد صلى الله عليهما وسلم .

وقوله: (يولد لنا ولد) معناه على هذا: أنه يولد لهم ولد من إخوتهم بني إسماعيل، فإن أبناء العم هم إخوة، ومن ولد لنا فقد ولد لهم، فكأن بني إسماعيل وبني إسحاق أسرة واحدة أو أهل بيت واحد، فإذا ولد لأحدهم ابن فهو مولود للجميع وأبو الكل إبراهيم عليه السلام .[٣].

سلمنا جدلاً أن هذه العبارة في حق المسيح عليه السلام وأن الناس سيدعونه (إلهًا قديرًا) وقد وقع ذلك بالفعل فأي دليل فيها على صحة ألوهيته؟

غاية الأمر أن أشعياء عليه السلام قد أخبر بقدره وعظمته حتى أن الناس سيتخذونه إلهًا وإن لم يكن إلهًا حقيقيًّا؛ ولذلك قال: (يولد لنا، ونعطى، ويدعى اسمه كذا .. .. .. وغيرة رب الجنود تصنع هذا) .

فالمولود والمعطَى { بالفتح } والذي صنعه رب الجنود لا يكون إلهًا ؛وإن دعاه الناس بهذا الاسم. فإن قيل: لماذا لم ينبه أشعياء بأكثر من ذلك على عدم ألوهيته .

قلت: إن المقام مقام تنبؤ وإخبار بما سيحدث لا مقام تحذير من الوثنية، فلذا اكتفى بما ذكر، ولعلمه أن كتابه وسائر كتب العهد القديم قد حذرتهم من عبادة غير الله وملئت صفحاتها بذلك وخصوصًا سفر التثنية [٤] .

أما قول أشعياء في العدد السابع من هذا الإصحاح:

---

[١] : راجع: (فصل البشائر) وعلامة ملكه على كتفيه وهي المسماة في كتب الحديث (بخاتم النبوة).

[٢] : قال صدقي: (معتادًا) احترازا من قول أحد بأن من العرب من تسموا بالاسم (محمد) قبل بعثته .

[٣] : انظر:(تك ١٧: ٤)، انظر أيضاً (عدد ٢٠: ١٤ وتث ٢: ٤ وتك ١٦: ١٢ و٢٥: ١٨) .

[٤] : راجع: (٥: ٧ - ٩ و١٣: ١ - ٥ ٤: ١٥ - ١٩ وغير ذلك كثير، راجع أيضًا إصحاح ٤٥ و٤٦ من سفر أشعياء) .

(إنه سيجلس على كرسي داود إلى الأبد) فالنصارى أولى بتأويله منا فإنه لم يجلس على كرسي داود ولا ساعة واحدة في الدنيا، وإن كان المراد به ملكه الروحاني كما يعبرون (أي تسلطه على النفوس) فنحن لا ننكره؛ بل قال كتابنا الشريف: (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [1].

فهو وإن بقي جالسًا على كرسي داود المعنوي إلى الأبد إلا أنه سيكون مع ذلك تابعًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، إذ لا منافاة بين هذا وذاك، ويجوز أن نقول في هذه العبارة مثل ما يقولون هم في وعد الله لسليمان بتثبت ملكه إلى الأبد (١ أيام ٢٢: ١٠) وفي بقاء أورشليم عامرة إلى الأبد

(أرميا ٣١: ٤٠) إن ذلك مشروط باستقامة بني إسرائيل وحفظهم لعهد الله وشريعته كما في سفر أخبار الأيام الثاني (٧: ١٨ - ٢٢) فزوال الملك من اليهود وعدم تملك المسيح عليهم وعدم دوام ملكه الدنيوي فيهم إلى الأبد وخراب أورشليم إنما نشأ من كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن طاعة الله فلو أنهم آمنوا به واتبعوه لبقي ملكهم الدنيوي إلى يوم القيامة .

وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يزيل منهم هذا الملك بل يقويه ويعززه بوجود ملك آخر عظيم لإخوانهم بني إسماعيل [2].

ويكون الجميع يدًا واحدة على كل عدو لهم قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ { أي القرآن } لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) [3] أي لفاضت عليهم الخيرات والبركات، من الأرض والسماوات .

---

[1] : (آل عمران: ٥٥) .

[2] : حاشية: هم الذين قالت عنهم التوراة (تث ٣٢: ٢١) (فأنا) الله أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم (وهم أمة غبية لجهلهم وأميتهم وقلة الأنبياء فيهم)، وقال عنهم المسيح لليهود كما في متى(٢١: ٤٣): إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره .

[3]: (المائدة: ٦٦) .

٢ - قول أشعياء (٣٥: ٤): (قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا. هوذا إلهكم. الانتقام يأتي. جزاء الله. هوذا يأتي ويخلصكم) .

وهذه نبوءة بخلاصهم من أسر بابل بدليل قوله في آخر هذا الإصحاح ١٠: (ومفديُّو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون). أي أورشليم .

وإتيان الله كناية عن مجيء عذابه لأعدائهم ورحمته لهم وخلاصهم، وقد ورد مثل هذه الكناية كثيرًا في الكتب المقدسة [١].

وورد في القرآن الشريف قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) [٢].

ومما يدل على أن عبارة أشعياء هذه ليست في المسيح: أن المسيح لم يأت بالانتقام والجزاء، بل هو الذي أخذ وصلب وقتل، على قولهم .

على أننا لا ننكر أن المسيح صلى الله عليه وسلم جاء ليخلص اليهود وينقذهم من الآثام والعصيان والكفر والضلال بالتوبة والإيمان والهداية .

ولو أنهم تركوا أعمالهم السيئة وآمنوا به جميعهم واتبعوه واهتدوا بهديه لخلصوا أيضًا من الذل والهوان وتسلط الأمم الأجنبية عليهم ولصارت لهم دولة عظيمة يرأسها عيسى (يسوع)عليه السلام

ولعل في اسمه (يسوع) أي المخلص والمعين والمنقذ إشارة إلى ذلك ،وإن كان اسمًا شهيرًا سمي به كثيرون من اليهود قبله وبعده تفاؤلاً به للخلاص مما هم فيه من البلايا والمحن والمصائب .

٣ - قول أشعياء (٧: ١٤): (ولكن يعطيكم السيد نفسُه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل) .

أي: (الله معنا) والكلمة المترجمة هنا بالعذراء معناها: الفتاة سواء كانت بكرًا أو

---

[١] : راجع: (مزمور ٧٨: ٦٥ - ٧٠) و (أشعيا ١٩: ١ و٤٢: ١٣ و٤٥: ٢١ و٤٠: ١٠) و (تث ٣٣: ٢) .

[٢] : (سورة البقرة: ٢١٠) .

غير بكر وكذلك وردت في سفر الأمثال(٣٠: ١ و ١٩):

(ثلاثة عجيبة فوقي وأربعة لا أعرفها، طريق نسر في السماوات، وطريق حية على صخر، وطريق سفينة في قلب البحر، وطريق رجل بفتاة)

فصحة التّرجمة: (ها فتاة تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل) .

وهي بشارة لآحاز أن مُلك (رصين) مَلك آرام، و(فقح) ملك إسرائيل سيزولان، فلا يحق له أن يخاف منهما، وعلامة ذلك أن فتاة تحبل وتلد ابنًا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر فخربت أرض (فقح) بعد إحدى وعشرين سنة .

واختلفوا فيمن هي هذه الفتاة .

فقال بعضهم: إنها امرأة أشعياء. وقال آخرون: إنها امرأة آحاز أو امرأة أخرى كانت معلومة لهم؛ ولذلك قال أشعياء بعد هذه العبارة(٧: ١٦): (لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تُخلى الأرض التي أنت خاشٍ من مَلِكَيْها) [١].

فأي علاقة لهذه المسألة بالمسيح ومتى سمي المسيح (عمانوئيل)؟

فالحق يقال: إن متى {صاحب}الإنجيل أخطأ في زعمه أن هذه نبوءة عن المسيح ، كما في إنجيله(١١: ٢٣) .

وعلى فرض أنها في المسيح، فالمسلمون لا ينكرون أن أمه كانت عذراء لم يمسسها بشر [٢] .

---

[١] : راجع: الإصحاح السابع من سفر أشعياء .

[٢] : حاشية: اسم أبي مريم في القرآن الشريف هو: عمران وهو تعريب اسمه العبري (عمرام)، الذي معناه (شعب عال) فهو يفيد معنى العلو أو السمو ويسمى في إنجيل لوقا (٣: ٢٣) (هالي) ومعناه أيضًا (عال) وهذا الإنجيل يوناني الأصل، فالظاهر أن صاحبه سمي أبا مريم بمعنى اسمه، لا بلفظه الأصلي .

ويوجد في كتب العهدين كثير من أسماء الأعلام التي لم تنقل كما هي من لغاتها؛ بل ترجموها ترجمة ففي الترجمة العربية لسنة ١٨٤٤ تجد لفظ (شيلون) (تك ٤٩: ١٠) مترجماً (بالذي له الكل) وفقاً =

وأما اسم (عمانوئيل):

فهو علم عبري دعي به كثير من اليهود والنصارى، فليس من يسمى به يكون إلهًا، كما لا يكون إلهًا من سمي بالأسماء الآتية: أشعياء (أي خلاص الله) يهوشافاط (الله يقضي) يهوصاداق (الله يبرر) يهوشع (الله يعين) يهوه شلوم (الله سلام) يهوياداع (الله يعلم) يسوع أو عيسى (الله يعين) أليشع (الله خلاص)، إلى غير ذلك من أسماء اليهود التي فيها لفظ الجلالة (الله) فهل كان كل هؤلاء آلهة لأنهم سموا بهذه الأسماء؟ إن أمر النصارى والله لَعجيب .

٤ - قال متى(٢: ١٥): (وكان هناك أي في مصر) إلى وفاة هيرودس .

لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: (من مصر دعوت ابني) والنبي المشار إليه هنا هو

(هوشع) الذي قال(١١: ١): (لما كان إسرائيل غلامًا أحببته ومن مصر دعوت ابني)، ومعنى هذه العبارة ظاهر لا يخفى على أحد إلا من أعماه الله، وهو أن المراد منها بنو إسرائيل وخروجهم من أرض مصر، وقد سموا هم وغيرهم أبناء الله، كما هو معلوم .

والظاهر من الأناجيل الأخرى أن المسيح لم يذهب إلى مصر، وخصوصًا إنجيل لوقا، الذي ذكر تاريخ المسيح بالتفصيل، ولكنه لم يذكر هذه الحادثة بل قال(٢: ٤١): (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفِصْح) .

فالغالب أن متَّى اخترع مسألة ذهابه إلى مصر ليلصق بالمسيح عبارة (هوشع) النبي، كما هو شأنهم في تاريخ المسيح عليه السلام، وقد أخذوا كل ما قيل عن

= للترجمة اليونانية مع أنه اسم علم ولذا بقي في التراجم الحالية كما هو وكما أبدلت في العربية ميم (عمرام) نونا فصارت (عمران) كذلك في الإنكليزية كثيرًا ما يبدلون ميم اللغات الأخرى بالنون مثال ذلك: Collodium وEctropium اليونانيتان صارتا في الإنكليزية Collodion وEcotrpion وغير ذلك كثير فهذه يا قوم إحدى غلطات القرآن في عقل صاحب كتاب الهداية المنصف المحقق ! ! هداه الله قبل أن يهدي غيره .

خلاص اليهود من مصر ومن بابل وادعوا أنه رمز أو إشارة لخلاص البشر بصلب المسيح كما قلنا سابقاً .

وعلى فرض أن المسيح هو المراد بما قاله (هوشع) فأي شيء فيه يدل على ألوهيته، مع أن إسرائيل (أي بنيه) قد سمي بالابن البكر في العهد القديم (خر ٤: ٢٢) وكذلك أفرايم (أر ٣١: ٩) وداود (مز ٨٩: ٢٧) .

فإذا لم يكن الابن البكر إلهاً فكيف يكون المسيح إلهاً لهذه التسمية ؟!

فإن قيل: إن المسيح سمي بالابن الوحيد في إنجيل يوحنا (١: ١٨ و٣: ١٦ و١٨) .

قلت: إن بحثنا الآن فيما ورد في كتب اليهود (العهد القديم) أما العهد الجديد فليسمه النصارى فيه بما شاءوا وشاءت أهواؤهم، على أن هذا الابن الوحيد (المسيح) قد سبق منذ زمن بعيد بالابن البكر (وهو عادة مفضَّل)، فالمسيح وإن سمي في زمنه بالابن الوحيد؛ لأنه كان أعظم إنسان حينذاك لكن كان لإلههم أبناء غيره سبقوا عيسى في الملك والوجود (كداود) .

فالحق أن جميع هذه الأسماء مجازية لا حقيقية، وهي لا تدل على ألوهية أحد منهم - هذا ولم يسم المسيح نفسه (بالوحيد) بل ذلك مما سماه به يوحنا - أما المسيح، بحسب أناجيلهم فقد سمى نفسه (وغيره أيضًا) بابن الله [1].

٥ - قال ميخا (٥: ٢): (أما أنت يا بيت لحم أفراتة (وأنت) صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل). والذي يفهم من هذه العبارة أن الله قضى بخروجه منذ الأزل، وهذا لا نزاع فيه ، أما إذا كانوا يفهمون منها أن خروج المسيح كان منذ الأزل فهو خطأ؛ لأنه باعتبار ناسوته ما خرج منذ الأزل باعترافهم ، وباعتبار لاهوته لا معنى لخروجه ، فإن ذاته هي عين ذات الله على حسب اعتقادهم ،

[1] : راجع ما قاله عليه السلام في هذا الموضوع في الأناجيل (يوحنا ١٠: ٣١ - ٣٨)، ومتى(٥: ٩ و٤٤ و٤٥)، و(لوقا ٢٠: ٣٦) .

وذات الابن لم تفارق ذات الله تعالى لا أزلاً ولن تفارقه أبدًا ، فإنها لا تقبل الانقسام ولا التفرق فكيف إذًا يفسرون هذا اللفظ (مخارجه)؟ ولماذا أتى جمعًا لا مفردًا؟

والذي يدلك على صحة تفسيرنا (أن المراد خروجه في علم الله وقضائه أزلاً): قول سِفر الرؤيا

(١٣: ٨)، كما في الترجمة الإنكليزية :(فى سفر حياة الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم). والمراد به عندهم: صلب المسيح الذي وقع في عهد بيلاطس لا منذ تأسيس العالم وإنما قال ذلك؛ لأنه واقع في علم الله تعالى منذ الأزل كما يزعمون .

وقال بولس في رسالته إلى أهل أفسس(١: ٤): (كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم) مع أنهم ما كانوا موجودين في ذلك الوقت، وإنما يريد أنه اختارهم في علمه.

وقال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس(١: ٩): (بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية)، فكيف تعطى لمن ليسوا موجودين ؟

اللهم إلا في علم الله فكذلك عبارة ميخا يراد بخروجه فيها خروجه في علم الله؛ ولذلك لما نقل متى هذه العبارة في إنجيله نقلها هكذا(٢: ٦): (وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل) .

فلو كان قول ميخا يفهم منه ألوهية المسيح لما تركه متى .

فالمراد بجميع هذه العبارات المتقدمة: أن الله تعالى قضى في علمه بوقوع هذه الأشياء منذ الأزل فهي واقعة لا محالة ، ولا يمكن أن يتخلف شيء مما قضاه تعالى، فقوله: (مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل) المراد به: أن خروجه لا بد من وقوعه؛

لأنه مقضي أزلاً .

قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [١].

ثم قال ميخا بعد هذه العبارة السابقة في حق المسيح(٥: ٤):(ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه) .

وهذا نص على أن الله إلهه فكيف يكون هو إلهًا ؟!

وهذا أيضًا دليل على أن مراده من قوله: (مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل) هو ما قلناه سابقًا ، وأننا لسنا متعسفين .

ويجوز أيضًا أن ذلك مما حرفه اليهود في كتبهم؛ لأجل مسيحهم المنتظر كما سبق في المقدمة ، فلما جاءهم كفروا به .

أو مما حرفه النصارى ، كما سيأتي في الفصل الثالث ، وإن كان له أصل صحيح.

٦ - قال في مزمور ٤٥: ٦ (كرسيك يا الله [*] إلى دهر الدهور) ولفظ (الله) هنا في العبرية

(ألوهيم) ويطلق أيضًا على القوي من أفاضل البشر ، وقد بينا لك فيما سبق أن موسى سمي(إلهًا) وكذلك غيره فلا حاجة للتكرار .

والذي يدلك على أن المراد بهذا اللفظ ليس الإله الحقيقي قوله بعد ذلك(٤٥: ٧) (مسحك الله إلهك) والإله الحقيقي لا إله له؛ على أن هذا المزمور هو قطعًا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ، بدليل ذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم

---

[١] : (الحديد: ٢٢)، وراجع أيضًا قول المزمور (٤٤: ١): (آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم) وقول أشعياء(٦٤: ٤): (ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصفوا) .

[*]: حاشية: (الله) هنا أصلها في العبرية (ألوهيم) كما قلنا: بمعنى إله أو أي قوي من البشر، فترجموها في هذا المزمور بلفظ (الله) وقد وردت هذه الكلمة عينها في سفر أشعياء(٩: ٦) فترجموها بلفظ (إله) كما سبق ، والفرق بين لفظ (الله) بالتعريف وبين لفظ (إله) بدونه لا يخفى على لبيب .

فيه التي لا تنطبق على المسيح ، كقوله (تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار .... نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ...... بنات ملوك بين حظياتك ..... يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض.... إلخ) [1].

والمسيح لم يكن له سيف ولا نبل ولا نساء ولا بنون، ويجوز أن يكون سقط من الكاتب لفظ(عبد) قبل لفظ (الله) سهوًا ، كما يعترفون هم في كثير من المواضع التي وقع فيها خطأ الكاتب كما ستعرف .

٧ - قال داود عليه السلام (مز ١١٠: ١): (قال الرب لربي اجلس عن يميني) ولا يخفى أن لفظ الرب يطلق في اللغات التي نعرفها على السيد، فكذلك ههنا المعنى: (قال الرب لسيدي)، كما في حاشية الكتاب المقدس للبروتستنت، وكما ترجمها الكاثوليك في نسخهم ، وهذا أمر معروف فلا حاجة لذكر شيء من شواهده هنا .

ولذلك قال قاموس الكتاب المقدس للدكتور (بوست): (إنها تستعمل أحيانًا بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام) .

هذا وقول اليهود: إن هذا المزمور هو لداود معناه عندهم أنه في حقه كما يقولون: إن مزمور

(٧٢) هو لسليمان، ويريدون أنه هو المقصود به، وأنه في حقه لا أنه هو قائله .

أما قائل هذا المزمور (١١٠) فهو (على قول كثير منهم) أحد أتباع داود يقصد به داود نفسه وحربه مع أعدائه وانتصاره عليهم ، وفي قول آخر لهم: إن قائله اليعازر الدمشقي خادم إبراهيم عليه السلام [2] وأنه يريد به إبراهيم سيده حينما حارب الملوك الخمسة وكسرهم .

وعليه فقول النصارى: إن اليهود تعترف أن قائل هذا المزمور هو داود كذب عليهم ، ويوجد مزامير أخرى كثيرة لا يُعرف من الذي قالها ، ويقال: إن موسى هو القائل للمزمور التسعين ، فليست جميع المزامير لداود ، ولم تؤلف كلها في زمنه

---

[1] : راجع: مزمور (٤٥: ٣-١٦) .

[2] : راجع: (تكوين ١٥: ٢).

كما يتوهم الجاهلون ، بل منها ما كتب قبله وبعده بسنين [1].

وللمسلمين أن يقلدوا المسيحيين ويقولوا في هذه العبارة: إنها في حق محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنها كأغلب نبوات العهدين ليست نصًّا في شيء معين ، بل هي مبهمة، ويمكننا حملها عليه بأحسن مما يفعلون .

فإذا تذكرنا أن محمدًا أحيا دين إبراهيم ، وسماه أبًا للمسلمين ، وأوجب عليهم تعظيمه ، وأن يصلُّوا على نبيهم محمد كما صلَّى الله على إبراهيم الذي يتبعونه في ملته وإسلامه لله ، إذا تذكرنا ذلك تجلى لنا مغزى قول داود فيما بعد (مزمور ١١٠: ٤): (أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق).

فإن ملكي صادق كان أطعم إبراهيم وسقاه ، وباركه وأكرمه [2]، فكأن حب محمد وتعظيمه لإبراهيم هو كحب ملكي صادق وإكرامه له ، ولذلك تجد المسلمين يذكرون إبراهيم دون غيره من الأنبياء في كل صلاة من صلواتهم الكثيرة في كل يوم .

ولا يخفى أن الكاهن عند أهل الكتاب هو الذي يرأس الحفلات الدينية الخاصة بالعبادة ، ولما كانت أهم عبادة للقدماء هي تقديم القرابين والضحايا ، كان الكهنة يساعدون الناس في تأدية هذه الفروض الدينية ، فيرشون دم الذبائح على المذبح ويحرقون المحرقات والقرابين ، وقد يذبحون لهم بعض الذبائح أيضًا ، وإن كان الذبيح في الغالب هو الشخص المقرّب نفسه .

وزيادة على ذلك كان الكهنة ينظرون في بعض مصالح العباد ، ويفسرون لهم الشريعة ، ويُفتونهم ، ويقضون بينهم في بعض المسائل ، ويرشدونهم إلى كيفية تأدية عباداتهم .

فالكاهن إذًا هو عبارة عن إمام لهم في عباداتهم ، ورئيس لهم في دينهم ومعلم ، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو رئيس المسلمين وإمامهم الأعظم فكان

---

[1] : راجع :(قاموس بوست م ١ ص ٥١٣ - ٥١٦) .

[2] : راجع: (تك ١٤: ١٨ و١٩) .

يعلمهم الدين ، ويقضي بينهم ، وينظر في جميع مصالحهم ، ويرأسهم في عباداتهم ، ويأتمون بـه في جميـع صـلواتهم وفي حجهـم ، ويخطـب فـيهم في أيـام أعيـادهم وجمعهم وموقفهم بعرفة ، ويقلدونه في ضحاياهم وذبائحهم ، ويقتدون به في كـل شيء ، وهو الذي أحيا فيهم سنن إبراهيم في الحج والذبح وغيرهما ، وكـان(كمـا رواه أبو داود) يضحي عن نفسه وعمن لم يضحِّ من أمته وهم الفقراء؛ فلهذا كلـه كان صلى الله عليه وسلم هو كاهنهم الأعظم ، وكل إمام لهم غيره إنمـا هـو نائـب عنه ، فهو إمامهم في كل مكان وزمان ، وبمثـل تعـبيرهم هـو كـاهنهم الأعظـم إلى الأبد ، فهو رئيس وكاهن ومعظِّم لإبراهيم ومحب له كملكي صادق من كل وجه.

ولا شك أن المسيح كان أقل درجة من محمد في كل تلـك الوظـائف الكهنوتيـة السابقة ، ولم يكن له من الشأن في قومـه مثـل مـا لمحمـد؛ فلـذا كـان محمـد أولى بالتشبيه بالكاهن [1] من المسيح عليه السلام .

وإذا لاحظنا أن صلب المسيح المزعوم لم يكن برغبته ولا بإرادتـه (كمـا سـبق بيانه، فى مقالة القرابين والضحايا) ، وسنزيد ذلـك إيضـاحًا: أعـني أنـه لم يقـرِّب نفسه باختياره ، ولم يعمل أي عمل أثناء صـلبه مـن أعمـال الكهنـة في القـرابين: كالإحراق ، ورش المذبح بالدم ، فهـو لم يمتـز في هـذه المسـألة بشـيء عـن محمـد عليهما السلام ، بل هو فيها لم يكن بكاهن مطلقاً ، بل كان نفس(القربان) ولذا تسميه كتبهم ويسمونه (الخروف المذبوح) [2].

وشتان ما بين القربان نفسه وبين الكاهن ، ففـي حادثـة الصـلب كـان اليهـود والرومانيون مقربوه أحقّ باسم الكاهن منه .

فإن قيل: إنهم ما كانوا يقصدون تقريبه لله .

---

[1] : الكاهن المراد به في هذا الكتاب: هو المعروف عند النصارى واليهود لا كاهن العرب الذي يزعم اتصاله بالجن ، ويخبرهم عن المستقبل مدعياً علم الغيب .

[2] : راجع مثلاً سفر الرؤيا(٥: ١٢) .

قلت: وكذلك هو ما كان راغبًا في ذلك القربان ، وكان يود أن يعتق منه بخلاف محمد وأصحابه فإنهم كانوا يدخلون القتال ، وكانوا يتمنون أن يستشهدوا في سبيل الله وفي سبيل هداية الناس وإنقاذهم من الضلال [1].

وعليه: فالتشبيه بالكاهن وبملكي صادق غير منطبق على المسيح تمامًا، كانطباقه على محمد عليهما السلام .

وقول داود في هذا المزمور(١١٠: ٢) (يرسل الرب قضيب { أو صولجان } عزك من صهيون)، وهي أورشليم معناه: أنه يُخرج الصولجان منها ويبعثه إليه في بلاده ، وهو كناية عن نقل الملك والوحي والنبوة من اليهود والنصارى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، التي قال فيها المسيح لليهود كما في متَّى (٢١: ٤٣): (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطَى لأمة تعمل أثماره) .

وقول داود بعد ذلك(١١٠: ٥ ،٦): (الرب عن يمينك يحطم في يوم زجره ملوكًا، يدين بين الأمم ، ملأ جثثًا أرضًا واسعة سحق رءوسها). إشارة واضحة لحروب النبي صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الباهرة على أعدائه ، وهي لا تنطبق على المسيح .

فأنت ترى مما تقدم أن محمدًا أولى بهذا المزمور من المسيح ، ولكننا نحن المسلمين ولله الحمد في غنى عن مثل هذه البراهين؛ ولذلك لا نعبأ بها كثيرًا كما تفعل النصارى؛ لشدة احتياجهم وفقرهم إليها ، وإنما أطلنا الكلام هنا فيها مجاراة لهم لعلهم يرشدون .

٨ - قال أرميا (٢٣: ٥ - ٨): (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر ، فيملك ملك ، وينجح ويجري حقًّا وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا ، ويسكن إسرائيل آمنًا ، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به) الرب برنا، لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يقولون بعد حيٌّ هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض مصر؛ بل حي هو الرب الذي أصعد وأتى بنسل بيت إسرائيل من أرض

---

[1] : راجع: (الفصل الثالث) .

الشمال ، ومن جميع الأراضي التي طردتهم إليها فيسكنون في أرضهم) .

فالظاهر من هذه العبارة أن المراد بها نحميا كما سبق بيانه ، وهو الذي كان أعظم من حكم أورشليم بعد السبي؛ بل هو الوالي الوحيد من بيت داود بعد تمام عمارتها الذي كان في عصره ببنائه لسورها ، وفي أيامه رجع إليها جمهور المسبيين من بابل ، وسكنوا في أرضهم ومعنى اسمه (نحميا) (من يعزيه الله) وكان أيضًا يسمى (الرئيس) فكلمتا (الرئيس نحميا) تقرب من كلمتي (الرب - أي السيد - برنا) في المعنى .

فكأنه قال: (السيد الذي به تعزيتنا وصلاحنا) وعدم انطباق هذه العبارة على المسيح عيسى عليه السلام ظاهر فيها من أولها إلى آخرها ، إذ لم يأت في زمنه بنو إسرائيل من بابل إلى أرضهم ، وعلى فرض أنه هو المراد بها فليس في هذا الاسم شيء يدل على ألوهيته ، فإذا كان معناه (هو الرب وهو برنا) أي: (هو السيد وهو برنا) فالأمر ظاهر .

وإن كان المعنى أنه يسمى بهذه الجملة (الرب برنا) فمن سمي بالجمل الآتية لم يكن إلهًا ، فمن باب أولى من سمي بهذه.

فمن بني إسرائيل من سمي (يهو صاداق) أي الله يبرر يوئيل (يهوه الله) أليهو (الله هو أي يهوه) يواخ (يهوه أخ) يا هو (هو يهوه) أليشع (الله خلاص) يشوع (الله يعين) يا زيز (من يحركه يهوه) (يهوه شمه) وهو اسم أورشليم ومعناه (يهوه هناك) ويهوه هو اسم الله بالعبرية ، والاسمان الأخيران أدل على الحلول الإلهي من اسم عمانوئيل السابق الذي معناه (الله معنا).

وهذه هي طريقة اليهود في كثير من أسمائهم كما تقدم[1].

---

[1]: يحتمل أن الأصل العبري لعبارة أشعياء المذكورة أن المولود يسمى بهذه الجملة (الله قدير) كما سمي بمثلها غيره هنا ، والتشابه بين هذا الاسم (الله قدير) وبين اسم (حزقيا) ومعناه (قوة الله) (لا يخفى على بصير) ، وهذا مما يؤيد تفسير اليهود لهذه العبارة ، ولعل النصارى حرفت الترجمة أو حصل تحريف في الأصل العبري من الكاتب سهوًا أو قصدًا (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب) .

ويشوع بمعنى (الله يعين) هي (عين يسوع) اليونانية (وعيسى) العربية ، وهو اسم لكثير من اليهود قبل المسيح وبعده كما قلنا ، فهو ليس خاصًّا به ولم يكن من سمي به إلهًا ولا مخلصًا بموته من الآثام ، على أننا لا ننكر أن المسيح عليه السلام كان (منقذًا من الضلالة) (منجيًا من الغواية) (مخلصنا من الشيطان) (مرشدًا للهداية ولعبادة الرحمن) .

هذا، وقد قال أرميا أيضًا في حق أورشليم ما يأتي [1]: (في تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة ، وهذا ما تتسمى به الرب برنا) .

فهنا أيضًا سمى أرمياء أورشليم (الرب برنا) فعلى قول النصارى تكون إلهة ! !

إن أمر النصارى والله لعجيب ! ! فأي شيء من هذه الأسماء يدل على الألوهية، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٩ - قال دانيال (٧: ١٣، ١٤): (كنت أرى في رؤيا الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه، فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض) .

فهذه البشارة لا يوجد فيها شيء يدل على أنها خاصة بالمسيح عليه السلام .

أما قوله فيها: (ابن الإنسان) فكل الناس أبناء الإنسان، راجع مثلاً الترجمة الإنكليزية لسفر أشعيا (٥٢: ١٤) ، وكذلك حزقيال سمي فيها (ابن الإنسان) في كثير من المواضع من كتابه ، وسمي في الترجمة العربية (ابن آدم)، وكذلك قال

وقول أشعياء في آخر نبوءته هذه(٩: ٧): (من الآن إلى الأبد) يشعر بأن هذا الأمر قريب الحصول ، وأنه يقع في زمن أشعياء نفسه ، وقد كان ذلك فقد ولد (حزقيا) لآحاز ملك يهوذا في مدة أشعياء النبي ، وبشر أشعياء حزقيا أيضاً بإطالة الله تعالى لعمره (١٥) سنة كما في (٢ مل ٢٠: ٥ و٦) وإنما لم يبق الملك إلى الأبد في نسله كما أنبأ أشعياء؛ لعصيان اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى ، وكفرهم وعبادتهم الأصنام (راجع إصحاح ٢١ و ٢٣ و٢٤ و ٢٥ من سفر الملوك الثاني) وقد بينا ذلك في صفحة ..... من هذا الكتاب (راجع أيضاً سفر أخبار الأيام الثاني ٧: ١٨ - ٢٢) .

[1]: راجع :(أرميا ٣٣: ١٦) .

أيوب (٢٥: ٦): (فكم بالحري الإنسان الرمة وابن آدم الدود) وفي الإنكليزية: (وابن الإنسان) ، وفي المزمور(٨: ٤): (فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم (الإنسان) حتى تفتقده) ، وفي سفر العدد (٢٣: ١٩) :(ليس الله إنسانًا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم) ، وقال أشعيا (٥١: ١٢): (أنا أنا هو معزيكم ، من أنت حتى تخافي من إنسان يموت ومن ابن الإنسان الذي يجعل كالعشب) ..

وعلى فرض أن هذا اللقب خاص بالمسيح يسوع أفلا يدل على أن المراد باختصاصه به أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس على أنه ليس إلهًا ولا ابن إله (بالمعنى الحقيقي) كما يزعمون ؟!

ومن راجع إنجيل يوحنا (إصحاح ١٠: ٣١ - ٣٨) في محاورة المسيح مع اليهود في إطلاق لفظ (ابن الله) عليه وجد أن المسيح يعترف أنه أُطلق عليه؛ لأنه أولى به ممن أُطلق عليهم اسم آلهة لأنه رسول من الله عظيم مؤيد بالمعجزات الباهرة ، ومنه يفهم أن إطلاقه عليه هو من باب إطلاق اسم آلهة عليهم ، لا أنه حقيقة ابن الله، تعالى عن ذلك وجل شأنه .

ومما يدلك على بطلان قول النصارى بألوهية المسيح ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني [١]، وهو قوله: (لأنه هل يسكن الله حقًا مع الإنسان على الأرض هو ذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت) ثم إن قول دانيال: (وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانًا ومجدًا ... إلخ) يدل على أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذه الأشياء، فهي ليست له من ذاته، وعليه فهو ليس إلهًا حقيقيًّا

أما قوله: (لتتعبد له كل الشعوب) فالمراد به: لتخضع وتطيع وتنقاد، قال في سفر القضاة

(٣: ١٣): (فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة) أي:

---

[١] : (٦: ١٨) .

خضعوا له ، وفي سفر التكوين (٤٤: ١٨-١٩): (ثم تقدم يهوذا وقال: استمع يا سيدي ، ليتكلم عبدك كلمة { إلى قوله} سيدي سأل عبيده) ، وفي سفر القضاة(٨: ١٤): (وكان جميع الأدوميين عبيدًا لداود) أي خاضعين له .

وفي الترجمة الإنكليزية تستعمل كلمة عَبَدَ (Serve) بمعنى (خَدَمَ) أيضًا .

وجاء في سفر أرميا قوله في بختنصر(٢٧: ٧): (فتخدمه كل الشعوب) .

وهي عين الكلمة المترجمة في العربية في بعض المقامات الأخرى (تتعبد)؛ كقول داود في سليمان ابنه (مز ٧٢: ١١): (كل الأمم تتعبد له) أو تخدمه، والمعنى تنقاد وتخضع له .

وفي القرآن الشريف (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الشعراء: ٢٢) .

أي: استعبدتهم .

أما قوله: (إن سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض) .

فالمسلمون يسلمون ذلك ، ويقولون: إن عظمة المسيح - عليه السلام - وسلطانه على النفوس والقلوب لن يزول أبدًا؛ ولذلك قال تعالى في القرآن الشريف: (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) (آل عمران: ٥٥).

كما تقدم فأتباع المسيح من النصارى أو أتباعه الحقيقيين من المسلمين هم فوق الذين كفروا به

(وهم اليهود) إلى يوم القيامة .

هذا إذا سلم أن هذه البشارة هي في حق المسيح ، والصواب أنها في حق محمد صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه كل هذا الإصحاح السابع من سفر دانيال [1]،

---

[1] : راجع: (كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام).

ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا؛ فلذلك سماه (ابـن إنسـان) وليسـت هـذه العبارة خاصة بالمسيح كما تقدم ولذلك قال القرآن له: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) (الكهف: ١١٠).

ويتعبير كتبهم إنسان أو ابن إنسان مثلـهم ، وفي قولـه: (فـى رؤيـا الليـل ومـع سحاب السماء) إشارة صريحة إلى معراجه الروحاني (فإنه كان في رؤيا الليل) [١].

وقد أوتي فيه سلطانًا ومجدًا وشرعًا وملكوتًا تتعبد لـه كـل الشـعوب والأمـم والألسنة ، وسلطانه أبدي لا يزول ولو كره الكافرون، صلى الله عليه وسلم .

١٠ - قال ملاخي في كتابه عن الله (٤: ٥): (هاأنذا أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف) .

والمراد بيوم الرب يوم القيامة ، فإنه هو اليوم العظيم المخيف ، وأما يوم المسيح فلم يكن كذلك، ولم يخف منه أحد ، بل أُخذ علـى قـولهم وقُتـل وصُـلب ، وإذا سلم جدلاً أن المراد به يوم المسيح فلفظ الرب كما قلنا يطلق على السيد .

على أن إيليا لم يأتِ للآن؛ وأما يوحنا الذي يقولون: إنه جـاء بـروح إيليـا (أي على طريقته ومثاله) (لوقا ١: ١٧) فهو ليس إيليا الحقيقي كما قال هو عن نفسـه: (يو ١: ٢١) والظاهر من عبارة ميخا أنه يريد مجيء إيليا الحقيقي قبل يـوم القيامـة. فلننتظر ! !

هذا كل ما يستشهدون به على ألوهية المسيح من العهد القديم ، وقد أريناك مـا فيه ، وقبل ترك هذا الموضوع نسأل النصارى: لماذا لم يشرح المسـيح ولا تلاميـذه في الأناجيل عقائدكم شرحًا مفصلاً وافيًّا كما تفعلون أنتم في كتبكم الآن؟

وما هذا التدرج في نشوئها الذي نراه فيها في العهد الجديد كما سبقت الإشـارة إليه؟

---

١ : في اعتقادنا أن المعراج كان روحياً، لا جسدياً.(صدقي).

وإذا كان المسيح عليه السلام باعتبار ناسوته بشرًا مثلكم ، وكان يعبد الله كثيرًا، ويصوم له طويلاً ، ويدعوه ليلاً ونهارًا فلماذا تعبدون ناسوته مع لاهوته [1]؟

وما الفرق بينكم وبين من عبد غير الله أو عبد عباد الله أو الأصنام أو الآلهة الباطلة المنهي عن عبادتها في كتبكم من أولها إلى آخرها؟

وإذا كانت ذات الأب (أو جوهره كما تعبرون) لم تحل في المسيح ، ولم تتحد به فكيف حل الابن مع أن ذاته هي عين ذات الله التي لا تقبل التفرق ولا الانقسام؟

ولماذا قام جسد المسيح من الأموات؟

ولماذا لم يُرِ نفسه للمكابرين من اليهود وغيرهم؟

وأين هو الآن وماذا يفعل؟

وهل وجود جسده الآن ضروري للعالم أو غير ضروري؟ فإن كان ضروريًّا فما فائدته ؟

ولِمَ لَمْ يكن ضروريًّا منذ الأزل؟ وإن كان غير ضروري فلماذا أقامه الله من الأموات؟ وما حكمة ذلك وهو لم يره إلا المؤمنون به من قبل كما يدعون [2]؟

---

[1] : هذا الكلام موجه للبروتستنت والكاثوليك، الذين يعتقدون أنه إنسان كامل وإله كامل ، ومع ذلك يعبدونه كله لا نصفه .

[2] : حاشية: جاء في إنجيل متى(١٢: ٣٨ - ٤٠) أن اليهود طلبوا من المسيح عليه السلام معجزة (فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق ، يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي؛ لأنه كما كان يونان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) .

وجاء أيضاً في هذا الإنجيل(١٦: ١ - ٤)أن الفريسيين والصدوقيين جاءوا إليه ليجربوه وطلبوا منه آية فأجاب: (جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ، ثم تركهم ومضى) فبقطع النظر عن كون المسيح لم يمكث في بطن الأرض كل هذه المدة المذكورة هنا بل مكث يومًا وليلتين فقط ، تجد أن المسيح لم يظهر لهؤلاء الناس الذين طلبوا منه آية مع أنه أخبرهم أنهم لن يروا منه سوى هذه المعجزة ، وحيث إنهم لم يروها ولم يعطوا غيرها كما قال لهم ، فيستفاد من هذه العبارة أن المسيح ما أتى بمعجزة ما كما هو ظاهر من قوله هذا .

فلولا أن القرآن شهد بمعجزاته لجاز للإنسان أن يقول: إن المسيح باعترافه لم يأت بالمعجزات ، ولا أظهر واحدة منها لخصومة ، فجميع ما ينسبه إليه تلاميذه في الأناجيل بعد ذلك من الآيات هو كذب في كذب على

وهل يبقى لاهوت الابن متحدًا به إلى الأبد أم يفارقه؟ فإن كـان باقيًـا فيـه إلى

أن ظهور هذه الآيات ليست بحسب كتبهم دليلاً على صحة النبوة؛ لأنها قد تظهر على أيدي الكذابين والدجالين ، جاء في سفر التثنية (١٣: ١ - ٥) أنه إذا ادعى شخص النبوة ، ودعا لعبادة غير الله ، وأظهر معجزة أو آية فهو مع ذلك كاذب ويجب قتله ، وقال المسيح كما في إنجيل متى(٧: ٢٢، ٢٣): (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؛ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم) وقال أيضًا كما في متى (٢٤: ٢٤): (لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً).

ومما سبق يتبين لك الأمور الآتية :

١- أن المسيح باعترافه لم يأت إلا بآية واحدة ، لم يرها أحد ممن وعدهم بها ، فكأنه لم يظهر للناس أي معجزة كانت.

٢- لولا القرآن لما صدقنا جميع ما روي عنه من الآيات والمعجزات ، ولقلنا: إنها أكاذيب واختراعات كما يقولون هم فيما يرويه المسلمون من المعجزات لنبيهم .

٣- أن المعجزات كثيرًا ما تظهر على أيدي الأنبياء الكذبة والدجالين لإضلال للناس كما هو نص التوراة والإنجيل.

٤- لو صح قول النصارى لكان عيسى داعياً لعبادة نفسه ، وكل من دعا لعبادة غير الله فهو كنص التوراة كاذب ويجب قتله ولو أتى بالمعجزات والآيات ، فما بالك إذا اعترف أنه لم يأت بها.

٥- إن كثيرين سيقومون بعد المسيح ويتنبأون باسمه ، ويصنعون عجائب وآيات كثيرة ومعجزات باسمه أيضاً ، ومع ذلك هم كما قال عليه السلام: كذبة دجالون ملعونون ، فكيف بعد ذلك يمكننا الإيمان بتلاميذه وبصدق بولس ؟

فيا أيها المبشرون أنتم تدعون المسلمين لترك دينهم والكفر بربهم ونبيهم ، فهل بعد ذلك أعددتم لهم براهين لإقناعهم بصدق مسيحكم فضلاً عن صحة ألوهيته؟

فإذا كذب المسلمون القرآن فبأي شيء تقنعونهم بصدق المسيح وبصدق تلاميذه؟ وهم يروون عن نبيهم وعن أوليائهم أضعاف ما تروون من المعجزات للمسيح وللتلاميذ (الرسل) ! !

على أن المسيح اعترف بأنه لم يأت بالمعجزات ، وإذا سلم أنه أتى بها فهي ليست دليلاً على الصدق كما قال ، ومن ادعى الألوهية وجب قتله كنص التوراة ولو أتى بالمعجزات، فبماذا إذن تقنعون المسلمين إذا هم رفضوا دينهم كما ترجون؟ أبنبوات العهد القديم ، وقد أظهرنا لكم بطلانها وأنها ليست نصًا في المسيح دون غيره؟ ، وبماذا تثبتون لهم صحة هذه الكتب وصدق أنبيائها بعد ما علموا أن المعجزات والنبوات ليست دليلاً على صحة النبوة ، وكثيرًا ما تخترع للناس وتنسب إليهم كذباً فاتقوا الله أيها النصارى في عقولكم وفي دينكم ، فإنكم بمحاربتكم الإسلام تحاربون دينكم أيضًا ، فأنتم ساعون إلى حتفكم بظلفكم ، وذلك جزاء الظالمين .

الأبد فلماذا ذلك؟ وإن فارقه فأين يذهب (الإنسان الكامل)؟

وهل تعبدونه بعد ذلك أم ماذا؟

وما الداعي إلى هذا كله ؟ألأجل آدم وبنيه يبقى رب العالمين مقيدًا في هذا الجسد إلى أبد الآبدين؟ ! مع أن الأرض وما عليها ليست إلا ذرة من ذرات هذا الكون العظيم الكبير (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(الزمر: ٦٧). (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة: ٧٧).

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة: ٧٨) [1].

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٦٤) .

[1]: راجع مثلاً إنجيل متى ٧: ٢٢ و٢٣ .

تذييل لهذا الفصل

يحتج النصارى على المسلمين بقوله تعالى: (وَأَيَّدْنَاهُ {أي المسيح} بِرُوحِ الْقُدُسِ)[1] زاعمين أنها تدل على ألوهيته .

ونقول: قد قال القرآن أيضًا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ذلك ، وهو قوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ) (النحل: ١٠٢) .

وقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤) .

بل قال أيضًا في حق المؤمنين جميعًا: (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) (المجادلة: ٢٢) .

وهو (إذا صح قول النصارى) أدل على الألوهية من قوله: (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)

فإنه لم يقل: إن روح القدس هذه هي من الله .

أما قول القرآن هذا فقد ورد مثله في العهد الجديد ، فقال: إن الروح نزلت على المسيح كالحمامة واستقرت عليه (يو ١: ٣٢) وقيل: إن ملكًا نزل من السماء؛ ليقويه (لو ٢٢: ٤٣) وأن الروح القدس نزل على التلميذ بعده (أ ع ٢: ٣ و٤) .

فإذا كان المسيح عليه السلام إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً كما يقولون ، وأقنوم الابن متحدًا به ، وهو الله عندهم ، فأي حاجة بعد ذلك لنزول روح القدس عليه؟

ولماذا لم يقم الروح بوظيفته فيه بدون حلول كما كان يقوم بها في الأب بعد حلوله في الابن؟

وإذا كان أقنوم الابن وأقنوم روح القدوس متحدين به ولم يكفيا لتقويته ، فهل

---

[1] : (البقرة: ٨٧) .

الملك الذي نزل عليه

كان أقوى من هذين الأقنومين الإلهين المتحدين به؟ وإلا فما معنى قول لوقا: إن الملك نزل عليه لتقويته؟ وهل بعد ذلك يكون المسيح إلهًا وهو محتاج لتقوية هذا الملك؟

وهل لا يدل ذلك على أن كلاًّ من الابن وروح القدس ليسا أقنومين إلهيين؛ ولذلك احتاج ناسوت المسيح مع وجودهما فيه لنزول هذا الملك عليهما مقويًا له؟

أم يقولون: إن هذا الملك كان أقوى من الله تعالى؛ ولذلك نجح في تقوية المسيح دون الأقنومين الإلهيين اللذين احتاجا إليه لتقويته معهم؟ إني والله لا أفهم ولا يمكن لعقلي الضعيف أن يدرك هذه الأقوال المتناقضة المتضاربة ! !

ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم حكمة قول القرآن الشريف: (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) لينبه النصارى إلى هذه المسألة وهي مذكورة في كتبهم كما بيّنا .

فكأنه يقول: (إنكم تسلمون أنه مؤيد بروح القدس كما في كتبكم فكيف بعد ذلك تقولون: إنه إله أو ابن الله مع اعترافكم أن الروح القدس نزلت عليه؟ فهل أقنوم الابن الذي فيه من قبل لم يكن كافيًا؟ وإذا كان المسيح إلهًا بوجود هذين الأقنومين الإلهين فيه ، فكيف بعد ذلك يحتاج لتقوية الملك؟ فهل الله يحتاج لتقوية عبيده له؟ وإذا كان ناسوته محتاجًا ، فهل لم يكفه وجود الأقنومين الإلهيين المتحدين به؟ وإذا كان وجود روح القدس فيه يدل على أنه إله ، فلماذا لم تَصِرْ الحواريون أيضًا آلهة وهم ممتلئون منه (أ ع ٢: ٤)؟ وإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الناس لا يجعلهم آلهة ، فلماذا صار المسيح إلهًا لحلوله فيه؟ ولماذا يعبد ناسوته مع لاهوته ولا تُعبد أيضًا تلاميذه الممتلئون من روح الله؟ الحق أن كلَّ محتاجٍ لا يكون إلهًا فلا الابن إلهًا؛ لأنه احتاج لروح القدس ولا الروح إله؛ لأنه احتاج للملك ليستعين به على تقوية المسيح فالكل ليسوا آلهة) وعليه فقول القرآن الشريف هذا مبطل لقول النصارى من أوله إلى آخره؛ ولذلك تكررت هذه

العبارة فيه في حق عيسى - عليه السلام - ولم تذكر بهذا اللفظ في حق غيره من الأنبياء عليهم السلام [1].

ولتعلم النصارى أن روح القدس المذكور في القرآن المراد به الملك جبريل كما يفهم من مجموع هذه الآيات (مَن كَانَ عَدُواًّ لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)

---

[1] : حاشية: يحتار بعض الناس لعدم ذكر القرآن أسماء الأنبياء فيه مرتبة بحسب أزمنتهم أو درجاتهم أو منازلهم عند الله كما في سورة النساء المدنية (٤: ١٦٣ و١٦٤) وكما في سورة الأنعام المكية (٦: ٨٤ - ٨٦)، والسبب في ذلك والله أعلم :

أن القرآن جاء للقضاء على خصلة سيئة في البشر ، وهي أنهم كثيرًا ما يتشاجرون ويتغاضبون للخلاف في بعض مسائل تافهة وأشياء صغيرة ما كان يليق بالعقلاء أن تكون سببًا للنزاع بينهم ، لأنها ليست من جوهر الأمور بل من عرضها، فمن هذه المسائل تفضيل بعض النبيين على بعض والتنازع في ذلك لدرجة أخرجت الدين عن المراد منه ، فبعد أن كان الدين يراد به التوفيق بين الناس صار أعظم سبب للتفريق بينهم ، فمن الناس من يظن أن السبق في الزمن أو التأخر فيه أو كثرة المعجزات أو كثرة الأتباع أو سعة الملك أو نحو ذلك سبب في إكرام بعض النبيين والحط من قدر البعض الآخر منهم والتفريق بينهم ، فالقرآن الذي علم المؤمنين أن يقولوا: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (البقرة: ١٣٦) لم يرد أن يذكر النبيين بحسب أي ترتيب كان مما قد يتخذه بعض ضعاف العقول سببًا في تفضيل بعضهم على بعض؛ ليرشد المسلمين بذلك إلى أنه لا يليق بهم أن يتنازعوا مع غيرهم أو بعضهم مع بعض في مثل هذه المسائل الصغيرة والمباحث العقيمة ، بل يجب عليهم أن يتركوا إدانة الخلق والحكم عليهم لخالقهم مالك يوم الدين وحده ، فهو أعلم بقدر عباده وبضمائرهم وسرائرهم وأعمالهم ظاهرة وباطنة ، وسيجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، ألا ترى أن يحيى (يوحنا) الذي يظنه الناس نبيًا صغيرًا قال فيه عيسى: إنه لم تلد النساء نبيًا أعظم منه (لوقا ٧: ٢٨) فتأدبًا مع الله ومع أنبيائه ورفعًا لسبب من أسباب الشقاق والتباغض والتنافر بين الناس وترفعًا عن سفاسف الأمور تجد القرآن الشريف يذكر الأنبياء بدون أي ترتيب ، بل إذا كرر ذكرهم قدم وأخر في أسمائهم حتى لا يفهم أحد من ذكرهم أي وجه لتفضيل بعضهم على بعض ، ولو أمكن النطق بأسمائهم جميعًا دفعة واحدة لفعل ذلك بدلاً من ذكر بعضهم معطوفًا على بعض بالواو ، وإن كانت لا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا ، فكان الغرض وضعهم جميعًا في مستوى واحد بلا تفرقة بينهم وقد جرى محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الأدب العالي الذي جاء به القرآن ، فنهى الناس عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض فقال كما رواه القاضي عياض في الشفاء: (لا تفضلوا بين الأنبياء) وروي عنه أنه قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى) نعم قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (البقرة: ٢٥٣) ، ولكن هذا شيء مما اختص بعلمه نفسه تعالى ولم يعلمنا به أو يرشدنا إليه لكي يزول من بيننا سبب من أسباب الشقاق والنزاع ، فإن الدين جاء للتوفيق لا للتفريق بين عباد الله .

(البقرة: ٩٧) .

وقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ) (الشعراء: ١٩٣-١٩٤) .

وقوله: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ) (النحل: ١٠٢) .

ومعنى روح القدُس: الروح الطاهرة وهو جبريل ملك الوحي والإلهام الإلهي (انظر دانيال ٨: ١٦ و١٩: ٢١ ولو: ١٩ و٢٦) وهو عبد من عبيد الله الواحد الأحد تعالى الله عما يشركون .

أما قول النصارى: إن روح القدس هي الأقنوم الثالث أو هي الله ، وأنها تشكلت بصورة حمامة

(متى ٣: ١٦) فلا أدري كيف يتفق ذلك مع قولهم: إن السموات والأرض لا تحصره تعالى ولا تحيط به ، وأنها كلها في قبضة يده ، راجع (سفر أخبار الأيام الثاني ٦: ١٨ وقول سفر التثنية ٤: ١٢ - ١٧): (فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتًا .... فاحتفظوا جدًّا لأنفسكم ، فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب .... لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتًا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى، شبه بهيمة ما مما على الأرض شبه طيرما ذي جناح مما يطير في السماء ... إلخ) .

ومع ذلك فقد عبد النصارى صورة الحمامة وصورة الثالوث كله ، وصور أخرى كثيرة ولا يزالون يعبدونها إلى الآن إلا طائفة منهم ظهرت منذ زمن غير بعيد مستنيرة بنور الإسلام ، فانظر وتعجب لميل هؤلاء الناس إلى الوثنية - كما قلنا - من قديم الأزمان .

الفصل الثالث

في التوراة والإنجيل

التوراة كلمة عبرية معناها: الشريعة ، وتطلق في الأصل على كل ما أوحاه الله تعالى إلى موسى عليه السلام؛ ليبلغه للناس من مواعظ وقصص وشرائع وغير ذلك ، وسميت كل هذه الأشياء بالتوراة؛ لأن أعظم شيء فيها هو الشريعة .

ويرى الناظر في كتب العهد القديم أن موسى عليه السلام اعتنى بشريعته اعتناءً كليًّا وجزئيًّا، حتى إنه أعاد تبليغ هذه الشريعة لبني إسرائيل بعد أن بلغها لهم المرة الأولى ، وكتبها لهم بنفسه وسلمها لهم مكتوبة هي والوصايا العشر التي كانت مكتوبة بقلم القدرة الإلهية على لوحين من الحجر وأمرهم بحفظها ، وشدد عليهم في ذلك تشديدًا عظيمًا ، والشريعة الموسوية هذه مع الوصايا العشر توجد ملخصة في كتاب على حدتها يسمى الآن (سفر التثنية) لأن موسى أعادها فيه كما قلنا بعد أن كان بلغها لهم من قبل ، وهذا السفر يسمى في العهد القديم سفر التوراة وسفر الشريعة [1]. ولا يوجد عند أهل الكتاب دليل على أن موسى كتب الأسفار الأخرى المنسوبة إليه غير سفر التثنية .

وهذا السِّفر حافظت عليه الأمة اليهودية محافظة شديدة (إلا في أوقات ارتدادها وكثيرة هي) لأنه كان مرجع جميع الأنبياء من عهد موسى عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام .

ومن راجع هذا السفر ظهر له أنه لم يدخله شيء يذكر مما دخل غيره من الفساد الكبير ، نعم قد زيد عليه: الإصحاح الأخير منه المتعلق بموت موسى عليه السلام، وغلط في عدّه الأرنب الجبلي من الحيوانات المجترة (١٤: ٧) وربما زيد عليه بعض كلمات قليلة في أوله ، وما عدا ذلك يمكننا أن نقول: إن جل ما جاء فيه هو من التوراة الحقيقية، أو هو ملخص الشريعة الموسوية، التي أوحاها الله تعالى إلى موسى ، وهذا السفر هو الذي كان معروفًا بين بني إسرائيل باسم التوراة، و (سفر الشريعة) كما يظهر من باقي كتب العهد العتيق ، ويعرف أيضًا في العهد الجديد

---

[1]: راجع: (تث ٣٠: ١٠ و٣١: ٩ و١١ و١٢ و٢٤ وتحميا ص ٧: ٨ ودا ٩: ١٣ و٢ أي ٢٥: ٤) .

بالناموس {[1]} (متى ٢٢: ٤٠) .

أما باقي الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام فلم تسم (بالتوراة) ولا (بسفر الشريعة) بين اليهود الأقدمين كما هو ظاهر من كتب العهد القديم ، والغالب أنها ما كانت كثيرة التداول بينهم قبل أسر بابل ، ولا كانت معروفة لجميع الناس اللهم إلا الشرائع التي تتضمنها هذه الكتب ، فالظاهر أن فسادها قليل جدًا كالكلام على اجترار الأرنب الجبلي مع أنه لا يجتر (تث ١٤: ٧ ولا ١١: ٦) ومثل شريعة برص الثياب (لا ١٣: ٤٧ - ٥١) وبرص البيوت (لا ١٤: ٣٣ إلى ٥٥) فإنها كلها شريعة لا فائدة منها ولا يفهم أحد لها معنى للآن .

ولا ننكر أن موسى عليه السلام بلغهم كثيرًا من القصص التي في تلك الكتب ولكنه لم يكتبها لهم ، فهي بمنزلة الأحاديث عندنا ، ويجوز أن يكون بعض الناس كتب شيئًا منها في زمنه عليه السلام ، كما كُتب بعض الأحاديث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهى عن كتابتها ، وكثير مما في هذه الكتب من التواريخ قد حضره بنو إسرائيل بأنفسهم وعلموه ، فهو لا يحتاج لتبليغ موسى بل تناقله اليهود بينهم بالروايات الشفوية أو بكتابة بعضه كما قلنا ، فدخله كثير من التحريف والتبديل والنقص والزيادة .

وقبل سبي بابل لم تجتمع هذه الكتب على هيئتها الحاضرة كما جزم بذلك علماؤهم [2].

ولا يعرف باليقين من كَتب الأسفار الأخرى غير سفر التثنية ، والظاهر أنها كتبت في أوقات مختلفة وتم وجودها بين اليهود قبل سنة ٧٢٠ ق .م. أي قبل وجود

[1] : حاشية: الناموس كلمة يونانية معناها أيضاً (الشريعة) وكانت في الأصل عند اليهود الأقدمين تطلق خاصة على سفر الشريعة أوالتوراة (وهوالمسمى الآن بالتثنية) ولكن توسع فيها اليهود المعاصرون للمسيح والذين بعده ، وصاروا يطلقونها أيضاً على أي كتاب من كتب العهد القديم ولوكان خاليًا من الشريعة كالمزامير (راجع إنجيل يوحنا ١٢: ٣٤) ومن ذلك نشأ عند أهل الكتاب من العرب إطلاق لفظ (التوراة) على كتب العهد القديم كلها سواء كانت لموسى أو لغيره ، وعليه فيجوز في بعض المواضع من القرآن أن يذكر لفظ التوراة بهذا الاصطلاح ويريد بها كتاباً آخر من كتب أنبياء بني إسرائيل ، فإذا قال القرآن الشريف: إن كذا وكذا موجود في التوراة ولم نجده في (سفر التثنية) كان ذلك مما فُقد من كتب موسى كما سيأتي أو كان موجودًا في كتاب آخر من كتب أنبياء بني إسرائيل الموجودة الآن أو المفقودة، فتنبه لذلك تسلم من الخلط والخبط .

[2]: راجع: (قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٥٥٩) .

السامريين ، وكانت جمعت من الرويات الشفوية ومن بعض المخطوطات القديمة المكتوبة ، فهي ككتب السير والتواريخ عند المسلمين ، وليست متواترة عند اليهود بخلاف سفر الشريعة (التوراة) الذي كانت الأنبياء تقيم أحكامه من عهد موسى إلى عيسى عليهما السلام [1].

وقد استدل كثير من العلماء بوجود بعض عبارات من حوادث متأخرة ، ومن وجود بعض أسماء لم تكن معروفة في زمن موسى ، بل حدثت بعده ، أنه عليه السلام لم يكتب كل هذه الأسفار المنسوبة إليه [2].

قال الدكتور بوست (في قاموسه صفحة ٤٣٢ مجلد أول): (إنه من المؤكد أن موسى {عليه السلام } لم يكن يعرف دان (تك ١٤: ١٤) ولا حبرون (٣٧: ١٤) (بهذين الاسمين)) اهـ؛ فهما من الأسماء التي استجدت بعده ووجودهما في هذه الأسفار ، مما يدل على أن واحدًا غيره كتبها بعد وفاته أو غيَّرهما فيها .

ونحن نستدل أيضًا من ذكر لفظ (الله) فيها بالجمع (تك ١: ١) [3].

(وذكر مصارعة الله ليعقوب (تك ٣٢: ٢٤ - ٢٩) وقصة زنا لوط [4] بابنتيه ،

---

[1] : انظر: (متى ٥: ١٧ و١٨) .

[2] : راجع كتاب إظهار الحق تجد من ذلك كثيرًا ، وكتابنا :الدين في نظر العقل الصحيح ، فقد ذكرنا فيه بعض هذه الشواهد .

[3] : حاشية: اعلم أن النصارى تتخذ مثل هذه العبارة (وهي ذكر الله بلفظ الجمع في العبرية) إشارة إلى التثليث مع أنهم يقرون في بعض المواضع الأخرى أن كتابهم المقدس قد يستعمل الجمع بدل المفرد؛ لأجل التعظيم والتفخيم كما هومعروف في كثير من اللغات الأخرى ، مثال ذلك أن المرأة التي كانت تستحضر الأرواح قالت لشاول لما رأت روح صموئيل: (رأيت آلهة يصعدون من الأرض) تريد روح صموئيل؛ فلذا أجابها شاول: ما هي صورته؟ لأنه يعلم أنها تريد بالجمع هنا المفرد لتعظيم صموئيل كما كان معهودًا عندهم؛ فلذا سمته (بالآلهة) راجع سفر صموئيل الأول (٢٨: ١٣ و ١٤) ومثل ذلك قول القرآن في سورة يونس: (عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) (يونس: ٨٣) بدل ملئه فكذلك عبارة سفر التكوين هذه (١: ١) وغيرها إن لم يكن المراد بالجمع فيها التعظيم لكانت إشراكًا بالله تعالى ، وهوما تنزه الديانة الموسوية عنه لمخالفته سائر نصوصها الصريحة في التوحيد والتنزيه .

[4] : حاشية: يكثر في كتب اليهود والنصارى أمثال هذه الحكايات التي تخجل السيدات والعذارى ، ولا يليق أن تنتشر بين الناس ، فلا أدري ما الحكمة من الإكثار من ذكر مثل القصص الآتية:
(١) سكْر نوح وانكشاف عورته (تك ٩: ٢٠ - ٢٧) (٢) سكْر لوط وزناه بابنتيه (٣) خداع أمنون بن داود لأخته العذراء ، وافتضاضه لها (٢ صمو١٣) ، والذي دبر له هذه الخدعة يوناداب ابن عمه وسماه الكتاب المقدس (رجلاً حكيماً جدًا) لأنه دبّر له هذه الحيلة الدنيئة (٢ صمو١٣: ٣) ، ولما قتل أمنون هذا حزن عليه داود وبكاه بكاء مرًا طول حياته مع أنه فسق بابنتيه (٢ صمو١٣: ٣٦ و٣٧) (٤) زنا داود بامرأة أوريا وتعريضه زوجها للقتل في الحرب بكتاب أرسله مع أوريا نفسه ، مع أنه كان جارًا له (٢ صمو١١) (٥)

إحضارهم إلى داود في آخر أيامه فتاة جميلة جدًا عذراء (وهو تعبير كثير الورود في الكتاب المقدس)؛ لتحتضنه ولتضطجع معه ليدفأ (املو١: ١ - ٤) (٦) دخول أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل (٢ صمو١٦: ٢٢) (٧) زنا يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه ، فأتت بفارص أحد أجداد المسيح (تكوين ٣٨ ومتى ١: ٣) فهذا قليل من كثير مما ورد في هذه الكتب المقدسة من الحكايات التي نشرها لا ترتضيه الآداب، وتنفر منه الفضيلة وتشمئز منه أصحاب النفوس العالية ولو ورد أمثالها في جريدة من الجرائد السيارة لنبذها الناس نبذ النواة فما الفائدة من الإطناب والإكثار من حوادث السكر والزنا وفسق الإنسان ببناته وأخته وامرأة جاره ونساء أبيه وامرأة ابنه في كتب مقدسة جاءت لنشر الآداب والفضائل بين الناس؟ مع أن أمثال هذه الحكايات يسهّل على الأشرار ارتكاب مثلها - بعد أن كانوا يظنون أن جرائمهم شاذة لم يسبقهم إليها أحد ، وأنهم بإتيانها صاروا عارًا على المجتمع الإنساني - فكيف بهم إذا وجدوا في كتبهم المقدسة أن أنبياءهم وهم قدوة الناس وأولاد أنبيائهم أتوا بما هو أشنع مما اقترفوا؟ وقد غفر الله تعالى لأكثرهم ما فعلوا ! ! ومع ورود هذه القصص في الكتب المقدسة ترى النصارى يطعنون في الآداب الإسلامية ، ويفضلون المسيحية عليها ويعيبون القرآن ويشنعون عليه لذكره بعض أشياء قليلة - بكل أدب ونزاهة وكمال - تتعلق بنساء النبي في سورة أوسورتين مع أن هذه الأشياء فضلاً عن كونها تمثل الفضيلة تعلم الناس شيئًا من أخلاق النساء وطباعهن وكيف تكون معاملتهن وتأديبهن باللطف واللين والصبر عليهن أو إنذارهن إنذارًا بسيطًا ، وترشد النساء عامةً إلى أنهن مسئولات وحدهن عن أعمالهن أمام الله تعالى ولا ينجيهن من الحساب نسبتهن لأزواجهن مهما كانوا عظامًا وكبارًا ومن العجيب أنك ترى النصارى يعيبون القرآن لإيراد بعض هذه الأشياء القليلة جدًّا المتعلقة بنساء النبي ، والتي يراد بها تعليم الأمة وإرشادها ولا يعيبون رسائل بولس لورود أشياء فيها شخصية خصوصية لا فائدة منها لأي فرد من أفراد البشر مع زعمهم أن هذه الرسائل ليست خصوصية ، بل هي مكتوبة بالوحي والإلهام لمنفعة جميع الأمم ، فما فائدة العالم من ذكر الأشياء الآتية فيها؟ ولِمَ لمْ تذكر في رسائل أخرى خصوصية؟ جاء في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ما يأتي ٤: ١٣ (الرداء الذي تركته في ترواس عند كاريس أحضره متى جئت والكتب أيضًا ولا سيما الرقوق) ١٩ (سلم على فرسكا و أكيلا و بيت أنيسفورس ٢٠ أراستس بقي في كورنثوس ، وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً ٢١ بادر أن تجيء قبل الشتاء) إلخ إلخ ، وفي رسالته إلى فليمون: ٢٢ (ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلا) ، فهذه بعض أمثلة جاءت في كتبهم التي يقولون: إنها لا تتكلم إلا في المسائل الهامة العامة ، والتي (كما يقول صاحب كتاب الهداية) يتعبدون بها في صلواتهم ويرتلونها في كنائسهم أما عناية القرآن بالمرأة وهي الجنس الضعيف المظلوم ، وكثرة نزول آيات في أمورها وأحوالها وكيفية معاملتها وحفظ حقوقها إلخ، فهوعند النصارى مُنتقَد ولا يليق ذكره راجع مثلاً سورة التحريم وهي السورة التي يكثر انتقاد النصارى عليها تجد أنها عامة لا خاصة ، وتعلم الأمة الأدب والكمال واللطف واللين في معاملة النساء ، والصبر على أعمالهن وتخويفهن بالحسنى وزجرهن على إفشاء سر أزواجهن ، ثم بث النصح لهن وأمرهن بالتوبة والتقوى، وضَرْبَ الأمثال الصالحة لهن إلى غير ذلك مما تجده مبسوطاً في تفسير (نظام القرآن) المطبوع بالهند ومنه يتبين نفع هذه السورة لسائر البشر، ثم قارن هذه السورة وسائر القرآن الشريف بكتبهم المقدسة وما ذكر فيها من الحكايات في السكر والفسق والقتل وإهلاك الحرث والنسل ، يتبين لك الفرق بين آداب القرآن وآدابهم ، وأن مبشريهم ودعاتهم متعصبون عليه متحاملون أو جاهلون ، وأنهم كما قال سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام: ينظرون القذى الذي في عين إخوانهم ولا يفطنون للخشبة التي في أعينهم يقولون: إن إله المسلمين ليس إله قداسة وطهارة؛ لأنه

رضي لمحمد تعدد الزوجات ولا ندري لماذا رضي لهم إلههم الطاهر القدوس ولأنبيائهم كل تلك الجرائم والجنايات ، ولم يخسف بهم الأرض كما فعل بقوم لوط؟ وكيف يتعبدون بمزامير داود وهم الذي قصوا علينا من أعماله ما قصوا؟ وكيف محيت ذنوبه وغفرت له ولا يغفر لمحمد ما فعله مما أباحته كتبهم وأتت أنبياؤهم بأضعاف أضعافه؟ وقد بينا حكمة أعمال النبي هذه في كتابنا (الإسلام) فإن قالوا: إن المسيح لم يفعل مثله قلت: يوجد بين الأنبياء مثل يوحنا (يحيى) وغيره كثيرون لم يبلغوا ما بلغه موسى وداود و سليمان ومحمد من الملك وسعة السلطان وطول العمر ، فلم يفعلوا ما فعلوا؟ ولا ندري أن لو طال بهم الزمان وبلغوا ما بلغه هؤلاء من السلطان ماذا كانوا يفعلون؟ فالمقارنة يجب أن تكون بين مثلين متحدين في الأحوال والظروف لا بين مختلفين فيها وإلا كنا جائرين ظالمين ولنذكر هنا شيئاً من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعى النصارى ظلماً وزورًا أنه كان شهوانياً

(١) أما أكله: فقد كان يطوي الليالي وهوجائع ، ويشد الحجر على بطنه من ألم الجوع ، وإذا أكل لا يشبع ولا يأكل إلا أصنافاً تافهة ، ولم يجمع بين أدمين في إناء واحد ، ولا أكل طعامًا ذا نارين، وكان يصوم شهر رمضان من كل سنة وأياماً من كل شهر

(٢) وأما لبسه: فقد كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده ، ولا يلبس حريرًا ولا ثوبًا فاخرًا ، وقد حرم على رجال أمته لبس الحرير

(٣) وأما مسكنه: فقد كان في حجرات حقيرة

(٤) وأما نومه: فقد كان ينام على الأرض أوعلى أحقر الفراش ، ويبيت أكثر الليل قائمًا يصلي كما أمره القرآن ، وإذا نام قليلاً منه اضطر إلى اليقظة قبل طلوع الشمس؛ لأداء فريضة الفجر ولا يخفى ما كان يتكبده من المشاق للتطهر قبل الصلاة: كالاغتسال في ليالي الشتاء ، وكثرة الوضوء (٥) وأما نهاره فيقضيه في الصلوات الخمس في أوقاتها مع النوافل ، وفي قضاء حاجاته وحاجات الناس ، والنظر في مصالحهم وتعليمهم الدين والقرآن ومحاربة الأعداء وغير ذلك

(٦) وأما النساء فقد قضى شبابه مع عجوز واحدة ، ولم يتزوج غيرها إلى ما بعد الخمسين ، ولم يكن بين نسائه بكر غير عائشة ، وكانت في سن لا تُشتهى فيه ، ثم حرم عليه النساء بعد ذلك مطلقاً غير التسع ، وما كان يجوز له أن يبدلهن بغيرهن [لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ] (الأحزاب: ٥٢)

(٧) وأما المال فكان طول حياته فقيرًا يقترض المال من اليهود ، وما اكتنز شيئاً لنفسه قط فهل هذه حياة الشهوانيين؟

وهل لمثل ذلك يتكبد دعوى النبوة وهو لم يحصل على شيء من ملاذّ الحياة يقرب مما كان يحصل عليه مثله بلا تعب ولا نصب وهوهادئ البال مستريح الفؤاد؟ لا تنس انغماس العرب في اللذات والشهوات إذ ذاك وما الذي منعه عن الانغماس مثلهم فيها بعد أن دانت الرقاب له ، وخضعت له العباد ، وأتته الدنيا بخيراتها وهولا يزداد إلا بُعدًا عنها ، فهل هذه حياة الشهوانيين؟ فما الذي منعه عن السكنى في القصور ، وعن التزين بالذهب والحرير ، وكنز القناطير المقنطرة من الأموال ، وملء بيته بألذ المأكولات وأطيبها وأشهاها وبالخدم والحشم والعبيد وبالعذارى الجميلات الصغيرات؟ وقد كان له أن يحتذي بمن سبقه من الأنبياء كداود وسليمان ، ما الذي حمله على إضاعة جميع أوقاته في الكد والتعب والنصب ليلاً ونهارًا في الحروب وفي العبادات وفي إرشاد الناس وتربيتهم؟ وما الذي منعه عن أن يملأ بطنه ويقضي ليله في معانقة الغيد الحسان والكواعب الأبكار بدل قيام الليل في عبادة الرحمن؟ هل هذا شأن الشهوانيين؟ اللهم

وشربه الخمر وسردها بطريقة لا تشعر بشناعتها وبشاعتها (تك ١٩: ٣٠ - ٣٨) وندم الله تعالى على خلقه الإنسان ، وحزنه لذلك (تك ٦: ٦) ، وقصة الحية وأكلها التراب (تك ٣: ١٤) ، والكلام على برص الثياب والبيوت (لا ١٤: ٥٥)، وغير ذلك .

نستدل بهذا أن موسى ما كتب هذه الكتب ، بل كتبها أناس مجهولون في أزمنة مختلفة ، وما ذكرناه من سفر التكوين يدل على أن الذي كتبه رجل لم يقدّر الله تعالى حق قدره ولا أنبياءه ، وربما كان مشركاً به أي من اليهود المرتدين الذين عبدوا الأصنام ، ولا مانع من أن اليهود حوروه بعد ذلك وتوسعوا فيه .

فهذه الكتب الأربعة المنسوبة لموسى عليه السلام تشتمل على تاريخ اليهود منذ الخليقة إلى زمن موسى ، وبعض رواياتها صحيح والبعض الآخر كذب أو خطأ فلذا لا نعول عليها .

وكما نسبوا إليه هذه الكتب نسبوا إليه غيرها ومثل (كتاب المشاهدات وكتاب التكوين الصغير وكتاب المعراج وكتاب الأسرار وكتاب الإقرار) .

وكتاب التكوين الصغير هذا كان باللسان العبري إلى المائة الرابعة بعد المسيح ، واستشهد به بعض النصارى الأولين ، وترجمته كانت موجودة إلى القرن السادس عشر ، ثم رفضوه ففقد ، ويجوز أن هذه الكتب المذكورة هنا كانت تشتمل على بعض روايات صحيحة عن موسى عليه السلام .

ومما فقد أيضًا من الكتب المنسوبة لموسى عليه السلام كتاب يسمى (حروب الرب) ذكر اسمه في سفر العدد(٢١: ١٤) ولا وجود له الآن ، وكذلك ضاع كلامه عن البعث والنشور ، فلا يوجد في هذه الأسفار ذكر لهذه العقيدة الكبرى التي تضارع الإيمان بالله ولا يعقل أن موسى لم يخبرهم بها صراحة .

والخلاصة أن شريعة موسى عليه السلام، التوراة بالمعنى الأصلي، أو ملخصها موجودة مع شيء قليل جدًّا من الغلط كما بينا ، وتكاد تكون متواترة بين اليهود

لا ! وما الذي ناله المسيح - عليه السلام - من الحياة حتى يقارَن بمحمد الذي كان كأعظم الملوك وأكبر القياصرة والسلاطين ، فمن امتنع عن اللذات مع القدرة ليس كمن لم يجد منها شيئاً ، فاتقوا الله أيها السبابون في خير نبي أُخرج للناس .

في سفر التثنية لولا كثرة ارتدادهم ، وأما باقي الكتب فهي تشتمل على روايات منها الصحيح ومنها الكاذب ومنها الغلط .

فتوراة موسى بالمعنى الأعم، أي: كل ما أوحي إليه ويلغه إلى الناس لم تصل إلينا ، بل بعضها فقد وبعضها زيد فيه وبعضها تحرف فهي كالأحاديث عند المسلمين .

وبعد سنة ٧٢١ ق. م، أي بعد انقراض مملكة إسرائيل وجد السامريون ، وكانت الوثنية فاشية في آبائهم وفيهم وما كانوا يهتمون بالتوراة ، ولكنهم بعد ذلك اتخذوا لهم نسخة من هذه الكتب تشتمل على الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى وعلى سفري يشوع والقضاة ، وتختلف نسختهم عن نسخة اليهود العبرية في كثير من المواضع: كأعمار القدماء وكجبلي جرزيم وعيبال ، ويوجد في السامرية وصية زيادة عن الوصايا العشر [1] .

---

[1] : في سِفْرِ التثنية أن الوصايا العشر كانت مكتوبة على لوحين كسرهما موسى حينما رأى قومه يعبدون العجل (تث ٩: ١٧) والقرآن الشريف يذكر هذه الألواح بالجمع ، فالمراد بالجمع هنا ما زاد عن الواحد وهو معروف في اللغة العربية ، وقوله تعالى: [وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ] (الأعراف: ١٤٥) معناها كل شيء من أصول الدين وأسسه التي يُبنى عليها ، والوصايا العشر هي كذلك ففيها تفصيل جميع أصول الدين الموسوي ، وقد قال المسيح في وصيتين اثنتين فقط (متى ٢٢: ٤٠) (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء) وورد في القرآن في قصة ملكة سبأ قوله تعالى: (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ) (النمل: ٢٣) أي من لوازم الملك في ذلك الزمن ، فهو مثل قوله: (وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ) (الأنعام: ١٥٤) ويجوز أيضاً أن هذه الألواح المذكورة في القرآن الشريف كانت عديدة ، وكان منها لوحان فيهما الوصايا العشر المشهورة وكتبها الله تعالى بنفسه عليهما ، وكان لهما المقام الأول عندهم ، وأما الألواح الأخرى فكانت تشتمل على الشريعة (التوراة) ، والذي كتبها هو موسى بعد أن سمعها من الله تعالى بأمره (خر ٢٤: ٤ و٣٤: ٢٧ و٢٨) فكانت منزلة هذه الألواح أقل من منزلة اللوحين الأولين المشتملين على أصول الدين وأساس الشريعة؛ فلذا اقتصرت كتب اليهود على ذكر هذين اللوحين العظيمين اللذين كتبهما الله

تعالى؛ لأن كرهما أمر كبير ، ولم تذكر الألواح التي كتبها موسى عند الكلام على قصة العجل؛ لأن قيمتها أقل من قيمة لوحي العهد الربانيين ، ولا يخفى أن عدم ذكرها في هذه القصة لا يدل على عدم وجودها

وفي آخر حياة موسى - عليه السلام - نسخ من هذه الألواح الحجرية كتاباً سلمه للاويين؛ ليضعوه بجانب تابوت عهد الرب المشتمل على لوحي الشهادة (تث ٣١: ٢٤ - ٢٦) وإنما فعل موسى ذلك ليكون حجم التوراة أصغر وحملها أيسر من حمل تلك الألواح الحجرية الثقيلة وقول القرآن: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ) (الأعراف: ١٤٥) لا يستلزم أن الله تعالى هو الذي كتبها كلها بنفسه ، بل منها ما كتبه هو ومنها ما أملاه على موسى ، وأمره بكتابتها وكل عمل للعبد تصح نسبته للمولى تعالى .

وفي سنة ٢٨٥ ق. م اجتمعت لجنة من اليهود بأمر بطليموس فيلادلفوس ، وترجموا ما عندهم من الكتب العبرية إلى اللغة اليونانية ، وكان عددهم ٧٢ نفرًا وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية أواليونانية ، وكانت تشتمل على كثير من الكتب الأبوكريفية (أي غير القانونية) وهذه الترجمة كانت مستعملة بين النصارى من عهد وجودهم إلى القرن الخامس عشر وهي الآن مستعملة في الكنيسة الشرقية ، وبينها وبين العبرية اختلافات كثيرة في كثير من العبارات والفقرات والألفاظ . ومع ذلك لم يقتبس مؤلفو العهد الجديد إلا منها وكانت أيضًا محترمة عند اليهود .

أما هذه الكتب الأبوكريفية (أي المكذوبة الموضوعة) بحسب اعتقاد البروتستنت فهي أربعة عشر :

(اسدراس الأول - اسدراس الثاني - طوبيت - يهوديت - بقية إصحاحات سفر استير غير الموجودة في العبراني والكلداني - حكمة سليمان - حكمة يشوع بن سيراخ - باروخ - نشيد الثلاية الفتية المقدسين والإصحاح الثالث عشر والرابع عشر من سفر دانيال - تاريخ سوسنة - تاريخ انقلاب بيل والتنين - صلاة منسى ملك يهوذا - مكابيين١ و - مكابيين ٢) .

وهذه الكتب موجودة في الترجمة السبعينية، كما قلنا وفى الترجمة اللاتينية وفي التوراة الكاثوليكية الرومانية، وكانت مسلمة عند جميع فرق النصارى قبل وجود البروتستنت، ما عدا كتابي اسدراس وصلاة منسى ، ولا تزال كذلك إلى اليوم عند الأرثوذكس والكاثوليك .

وأما أبوكريفا العهد الجديد فتحتوى على كثير من الأناجيل والرسائل وعددها ٧٤ كتابًا ، ولا يعتقد فيها النصارى الآن وكانت قديمًا منسوبة إلى المسيح عليه السلام وإلى تلاميذه وإلى بولس ، فانظر كيف كان هؤلاء الناس يدسون الكتب الكثيرة بين كتب الله !

أما كلمة (الإنجيل) فهي يونانية ومعناها البشارة ، وسمي الوحي إلى عيسى

بذلك؛ لأنه جاء مبشرًا بـمُحَمّد صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى عن لسانه: (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف: ٦) .

فعيسى عليه السلام بَشَّرَ الناس بقرب مجيء خاتم النبيين لهم، بأكمل شريعة وأرقى دين لأرقى أطوار البشر وأنسب شريعة لطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان، والتي ترفع ما وضع على الأمم السابقة من الإصر والأغلال ، وأجمع دين لمصالح الدنيا والآخرة ولحاجات الروح والجسد ، فقال عليه السلام: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) [1].

وكان عيسى عليه السلام وتلاميذه يبشرون دائمًا بمملكة محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك المملكة المجيدة الجليلة التي زانها الحق وعبادة الله تعالى وحده؛ فلذا سماها المسيح (ملكوت السماوات) .

و (ملكوت الله) لأنها مملكته تعالى في الأرض وقانونها هو كتابه ورؤساؤها هم خلفاؤه [2]

وهم الصديقون الذين يرِثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد (مزمور ٣٧: ٢٩) ويدخلون باب الرب (مز ١١٨: ٢٠) ومملكتهم هي المملكة التي لا تنقرض أبدًا كما قال دانيال (٢: ٤٤) وتفنى مملكتي الفرس والرومان [3].

فلذلك سمي الوحي إلى عيسى عليه السلام بالبشارة؛ لأن أعجب شيء فيه وأعظمه إنما هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقرب مجيئه .

وهو الذي كانت تنتظره الأمم من قديم الزمان ، وهو مشتهى كل الأمم (حجي

---

[1] : راجع: (يوحنا١٦: ١٢ - ١٤) .

[2]: راجع: (إنجيل متى ٣: ٢ و٤: ١٧ و٢٣ و٦: ١٥ و١٣: ٣١ و٣٢ و٢٠: ١ - ١٦ و٢١: ٣٣ - ٤٤، ولوقا ١٠: ٩ و١١) .

[3] : راجع: (فصل البشائر) .

٢: ٧) الذي به مُلئ بيت أورشليم مجدًا وعمرانًا ، وعادت إليه عبادة الله بدون شرك ولا تشبه ، وبمجيئه يعلم قرب مجيء يوم الدين ، يوم القصاص العادل بين عباد الله أجمعين وإنصاف المظلومين ، ورحمة المتقين الصابرين وخلاص المؤمنين .

هذا والإنجيل لم يكتب في زمن عيسى عليه السلام ، وبعد زمنه بقليل وجدت أناجيل عديدة [١]. تشمل كثيرًا من أقواله وأفعاله مع زيادة ونقصان وتحريف وتبديل وكذب ، فاختارت النصارى منها أربعة لا يعرف باليقين من كتبها، ومتى كتبت؟!

وهي منسوبة لمتى ومرقص ولوقا ويوحنا ، واثنان من هؤلاء من الحواريين كما يقولون ، واثنان ليسا منهم وهما مرقص ولوقا ، وهذه الأناجيل مختلفة اختلافًا عظيمًا ، ومشتملة على كثير من الخطأ والغلط والوهم، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) واستقصى هذه المسألة كتاب إظهار الحق فليراجعه من شاء .

وهذه الأناجيل الحالية كتب أصلها باللغة اليونانية ما عدا إنجيل متى فإنه كان بالعبرية كما اتفقت على ذلك شهادة جميع الآباء من النصارى الأقدمين ، ولكنه فقد وبقيت ترجمته اليونانية ، ولا يعرف من ترجمها؟ ولا متى ترجمت؟ وقولهم: إن متى كتبه أيضًا باليونانية، لا يوجد عليه دليل عندهم ، وإنما هو ظن لا يوثق به ولم يقل بذلك أحد من قدمائهم .

واعلم أنه لا يوجد عند أهل الكتاب نسخة عبرية من كتبهم قبل القرن العاشر، وأهم ما عندهم من النسخ اليونانية القديمة ثلاث :

(١) النسخة السينائية ، ويظنون أنها كتبت في القرن الرابع .

(٢) والنسخة الفاتيكانية ، ويقال: إنها كتبت في القرن الرابع أيضًا .

(٣) والنسخة الإسكندرية ، ويظنون أنها كتبت في الخامس .

ولا دليل لهم قاطعًا على شيء من هذه الظنون ، واختلف علماؤهم في ذلك اختلافًا كبيرًا .

---

[١] : راجع: (لوقا ١: ١-٣) .

أما السينائية: فوجدت في دير طور سيناء ، وتشتمل على كتب العهد الجديد وجزء من العهد القديم ، وهي توجد الآن في بطرسبورج .

وأما الفاتيكانية: فوجدت في مكتبة البابا بالفاتيكان بروما ، وفيها العهد القديم والجديد ولا تزال بروما .

وأما الثالثة: فوجدت في الإسكندرية ، وتشتمل على العهدين مع كتب أخرى غير قانونية ، وتوجد الآن في لندن .

ولما قابلوا الكتب التي في أيديهم على هذه النسخ القديمة وُجِدَ بينها ألوف من الاختلافات بالزيادة والنقص والتبديل ، وهم يقولون: إنها اختلافات طفيفة وليست جوهرية ، ولكنا نورد هنا شيئًا من هذه الاختلافات، التي نقول إنها هامة:

١- ما في مرقص(١٦: ٩ - ٢٠) وهذه العبارات تتضمن ظهور المسيح بعد قيامته لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية وغير ذلك ، وهي غير موجودة في النسخة السينائية ولا في الفاتيكانية ، وعليها علامات الريب في نسخ أخرى قديمة، وأنكرها في القرن الرابع كل من أوسابيوس وأبرونيموس .

٢- ما في يوحنا(٧: ٥٣ - ٨: ١١) وهو قصة عدم رجم المسيح للزانية وهي غير موجودة في أكثر النسخ القديمة ولا في السينائية والإسكندرية والفاتيكانية .

٣- ما في رسالة يوحنا الأولى(٥: ٧) وهي العبارة الصريحة الوحيدة في عقيدة التثليث وهي غير موجودة في النسخ القديمة ولا بمعتبرة، وعند أكثر المحققين منهم أنها زائدة؛ ولذا يضعونها في نسخهم بين قوسين إشارة لذلك .

فهذا شيء من الاختلافات التي يقولون عنها إنها طفيفة .

قال صاحب كتاب (الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية): إن من هذه الاختلافات:

ما نتج من فقد جملة صحيحة من النسخة .

ما نتج من مخالفة ترتيب الكلمات .

ما نتج من وضع الكُتَّاب خطأ كلمة عوضًا عن أخرى، إذ لا

تختلفان إلا في حرف أواثنين .

ما نتج من إدخال عبارات أوجمل كاملة من (بشارة) أو اثنتين إلى الثالثة لجعل الأناجيل متشابهة .

ما نتج من قصد النساخ أن يجعلوا الاقتباسات من العهد القديم في الجديد مضبوطة .

ما نتج من استبدال بعض جمل بأخرى كانت في الحاشية .

ما نتج من استبدال بعض الألفاظ القديمة بغيرها من الحديثة .

ما نتج من تبديل أوحذف كلمات تحدث تغييرًا طفيفًا في المعنى .

ما نتج من إهمال بعض النساخ في وضع أو ترك أداة التعريف .

انتهى باختصار[1].

وقال (في ص ١٠١ و١٠٢)، عن قول متى (٢٣: ٣٥): أن زكريا بن برخيا (إن المذكور في كتاب أخبار الأيام الثاني (٢٤: ٢٠ و٢١) أن زكريا بن يهوداع هو الذي قتل ، وأما ابن برخيا فلا يعرف أنه قتل ، فالأرجح أن ذكر اسم الأب هنا من خطأ الكاتب). ا.هـ باختصار .

فأي برهان يا قوم على تلاعب النصارى بكتبهم أصرح مما ذكر؟

وهل بعد ذلك نثق بأي شيء فيها مع أنها مملوءة بخطأ الكُتّاب باعترافهم؟

أضف إلى ذلك أن هذه الكتب ما كانت محفوظة في الصدور ، وقل منهم من كان يعرف كل ما فيها وما كانت نسخها كثيرة؛ لجهلهم في الأزمنة القديمة ، وما كانت نسخها بأيدي العامة من الناس؛ فلذا كان مجال التحريف والتبديل واسعًا ، ولذلك نرى أن غلط النساخ وتحريفهم انتشر فيما بعد في جميع نسخهم ، ولولا وجود تلك النسخ القديمة لما عرفوا ذلك .

فما يُدرينا أن النسخ التي كانت قبل التي وجدوها وقع فيها مثل هذه

---

[1] : راجع: (ص ٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩) من الكتاب المذكور .

التحريفات أيضًا؟

ومن يضمن صحة نسبة هذه الكتب إلى أربابها مع أنه كان لهم كتب مثلها كثيرة ، وقالوا إنها غير قانونية ورفضوها؟

ومن يثبت لنا صدق كَتَبَتها وعصمتهم من الخطأ والغلط؟

كيف وإننا نرى فيها كثيرًا من الغلط كما تقدمت الإشارة إلى بعضه ، ويظهر من بعض عبارات كتبهم كمقدمة إنجيل لوقا(١: ١ -٤) أنها لم تكتب بالإلهام بل بالاجتهاد .

والخلاصة: أن هذه الأناجيل لا يثق المسلمون بشيء منها الآن، وهم لا يعتدُّون إلا بما قاله المسيح نفسه ، وثبت لهم أنه وصل إليهم بدون تحريف ولا تبديل وهيهات أن يثبت ذلك .

وكما حرفت النصارى الأناجيل وغيرها، كذلك دست على يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير في (التاريخ القديم) (كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣) عبارة مقتضاها: (أنه يجوز أن عيسى لم يكن إنسانًا وأنه صلب ، وقام من الموت في اليوم الثالث) .

وقد جزم المحققون منهم بأن هذه العبارة مدسوسة عليه وأنه لم يكتبها ، بل إن يوسيفوس سكت عن سيرة المسيح بأكملها ، ولم يشر إليه إشارة تذكر[١].

وللعلماء الذين أنكروا صحة عبارة يوسيفوس هذه أدلة كثيرة يطول بنا شرحها في مثل هذا الكتاب ، وأهمها: أنها لم تكن معروفة لأوريجانوس المتوفى سنة ٢٥٤ بعد الميلاد ، وهوالذي كان صارفًا همه كله إلى جمع كل ما جاء في تاريخ يوسيفوس عن المسيح عليه السلام ، ومع ذلك لم يذكر هذه العبارة، فإذا كانت موجودة في أيامه في التاريخ المذكور فلمَ تركها وهي من الأهمية بمكان عظيم؟

فترى النصارى كما حرفوا كتب قدمائهم، كما اعترف بذلك لاردنر في تفسيره، وآدم كلارك ويوسى بيس في تاريخه وغيرهم كثيرون، كذلك حرفوا كتب

---

[١] : راجع أيضاً: ما قالته دائرة المعارف الإنكليزية في هذا الموضوع.

اليهود، فزادوا في تاريخ يوسيفوس ما رأوه يؤيد دعاويهم ، ومن ذلك يظهر لنا أن اليهود كانوا في غاية الجهل والضعف والتفرق والذل والبعد عن البحث والقدرة على المعارضة لدرجة جعلت النصارى تلعب بكتبهم كما شاءوا ، فلا يبعد أنهم حرفوا أيضًا أشياء في كتبهم المقدسة من غير أن يعرفوها أو يجرؤوا على المعارضة .

وإذا كان هذا حالهم باعتراف علمائهم ، فهل بعد ذلك نثق بأي شيء نقلوه في دينهم وهم يحرفون فيه ما أرادوا أن يحرفوه، ولو كان موجودًا عند اليهود أيضًا؟

وقد بين هورن (في الباب الثامن من المجلد الثاني من تفسيره) أسباب اختلافات نسخهم بمثل ما نقلناه هنا عن (كتاب الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) ومما زاده أنهم كانوا أحيانًا يحرفون قصدًا؛ لأجل تأييد مسألة أو دفع اعتراض .

وقال: (إنهم كانوا تركوا قصدًا العدد ٤٣ من الإصحاح ٢٢ من إنجيل لوقا) ، وهو قوله:

(وظهر له ملاك من السماء يقويه) لأن بعضهم خشي أن تكون تقوية الملك للمسيح منافية لألوهيته. انتهى باختصار[١] .

---

[١] : حاشية: يظهر من هذه العبارة التي كانوا حاولوا حذفها من الإنجيل أن المسيح كان منساقًا إلى الصلب رغم إرادته ، وأنه كان يدعو الله بإلحاح شديد؛ ليصرف عنه كأس المنون حتى صار يتصبب عرقًا ، فظهر له الملك؛ ليقويه ويشجعه (لوقا ٢٢: ٤٢ - ٤٥) فأين إذًا شجاعته ورغبته في تقديم نفسه كفارة عن بني الإنسان؟ وهل يكون بعد ذلك قبوله للموت برغبته وإرادته وهو كان يتمنى النجاة منه لولا إرادة الله التي أكرهته عليه إكراهًا؟ وهل بهذا الخَوَر والضعف يتعلم النصارى كيف يضحون حياتهم في سبيل نفع الناس؟ وأين عمل المسيح هذا من عمل محمد وأصحابه الذين كانوا يستبشرون بالموت ويلاقونه بصدر رحيب غير هيابين ولا وَجِلين ، وكل ذلك كان منهم في سبيل الله ، وبقصد هداية الناس وإصلاح أحوالهم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؟ فمن منهما (محمد أم المسيح) كان أقدر على تعليم الناس تضحية نفوسهم في سبيل الله؟ انظر أصحاب عيسى كيف فروا من حوله ، وحزنوا وأنكروه حتى كبيرهم بطرس (لوقا ٢٢: ٤٥ و٥٧ - ٦١) نعم إن المسيح زجر بطرس ووبخه حينما أراد تثبيط همته (متى ١٦: ٢١ - ٢٣) ولكن ذلك كان قبل دنو ساعة الصلب فلما اقتربت خاف وضجر وصار يستغيث بالله؛ لينجيه منه؛ لشدة فزعه ورعبه (مز ٢٢: ١٤ ومتى ٢٦: ٣٦ - ٤٥) ولذا جاء الملك وقواه أما محمد وأصحابه فكانوا يرجون من الله الموت والشهادة في سبيله وهم في ميدان القتال كما هو معروف متواتر عنهم ، فأين هذا من ذاك؟ ؟ كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء انظر إلى الخنساء إحدى نساء ذلك العصر كيف شجعت بنيها

فإن قيل: إذا كانت كتب اليهود الأخرى المنسوبة لموسى غير سفر التثنية ليست صحيحة ، فلماذا لم يوبخ المسيح عليه السلام اليهود عليها ؟

قلت:

ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتّاب الأناجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله؛ فقال يوحنا: إنه لم يكتب كل ما فعله المسيح ، وأن أعماله كثيرة جدًّا لا يسعها العالم ، فلا بد أن كثيرًا من أقواله التي قالها حين فعل هذه الأعمال لم تكتب أيضًا [1].

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط، كما في إنجيل متى (٥: ١٧ و١٨) ، ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء. كهذا الذي في إنجيل متى ، فإن كثيرًا من هذا التاريخ غير صحيح وبعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح، كقصة شمشون ودليلة (قض ١٦: ٤ - ٢٢) ووقوف الشمس ليشوع (يش ١٠: ١٣) وغير ذلك كثير .

* لماذا لم يوبخ المسيح اليهود على الكتب الأبوكريفية (الكاذبة) التي كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ ، وكانت مسلَّمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلَّمة عند الكاثوليك والأرثوذكس إلى اليوم؟

فإن قيل: إنهم ربما لم يكونوا يعتقدون أنها ملهمة من الله في ذلك الوقت .

قلت: وربما أنهم أيضًا لم يعتقدوا صحة نسبة هذه الكتب إلى موسى عليه السلام وإذا كانوا يسمونها (كتب موسى) فذلك لأن أهم ما فيها هو تاريخه

الأربعة ، وحرضتهم على الجهاد في سبيل الله حتى قتلوا جميعًا يوم القادسية فقالت: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) ولا أريد أن أستشهد هنا بأقوال الرجال من أصحاب رسول الله ؛ فإنما شهيرة عديدة وكلها مثال الصبر والشجاعة وقوة الإيمان والثقة بوعد الله وتضحية النفس في سبيله؛ فلذا دوخوا العالم في سنين قليلة وهو الأمر العجيب الذي لم يُعهد له مثيل في تاريخ البشر أجمعين ، وكل ذلك كان بسبب تأثير روح رسول الله فيهم وفي أخلاقهم .

[1]: راجع: (يو٢٥:٢١) .

وتاريخ أمته عليه السلام، كما يسمى تاريخ المسيح وتعاليمه إنجيله (غل ١:٧) مع أنه لم يكتبه بنفسه ، فيجوز أنهم ما كانوا يعتقدون أنها إلهامية ، ويجوز أنهم ما كانوا يضمونها إلى سفر التثنية في مجلد واحد ، وقد يكون هذا الضم وهذا الاعتقاد في إلهامها وصحتها إنما نشأ بعد المسيح عليه السلام في أواخر القرن الأول ، فبدأوا حينئذ يعتقدون أن موسى هو كاتبها لا غيره ، ثم تبعهم النصارى في ذلك وجاروهم ليستميلوهم لدينهم ولأنهم كانوا منهم .

* لماذا لم يبين المسيح للمرأة السامرية التي سألته عن اختلاف اليهود والسامريين في جبلي عيبال و جرزيم لم يبين لها بيانًا صريحًا الحق من المبطل؟ ولِمَ لَمْ يذم المحرف منهما ويشهّر به [1]؟ (يو٤: ٢١) .

---

[1]: حاشية: مما قاله عيسى عليه السلام لهذه المرأة السامرية كما في إنجيل يوحنا ٤: ٢١ (يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب) ، وهذه العبارة تتضمن الإشارة إلى الديانة الإسلامية التي تجيز السجود لله في كل مكان ، والقبلة فيها إلى مكة لا إلى أورشليم ولا إلى غيرها ، واليهود والسامريون الذين أسلموا صاروا يعبدون الله متجهين إلى الكعبة ، وهذه القصة السامرية تدلنا على السبب الحقيقي الذي جعل عيسى لا يبالي بالتصريح ببيان المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه؛ لأنه علم أن الشريعة الموسوية في هذه المسألة زائلة ، والشريعة الباقية التي ستأتي يسجد بحسبها الناس في كل مكان وإلى غير أورشليم ولغير جبل السامريين ، وهذا السبب بعينه هو الذي حمل عيسى على عدم بيان الكتب الأبوكريفية وغيرها التي يتخبط في شأنها النصارى إلى الآن؛ لأنه علم أن جميع هذه الكتب ستستبدل بكتاب (الفارقليط) الذي قال فيه يو١٦: ١٢ و١٣: (إن لى أمورًا كثيرة أيضاً لا قول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) ولا يصح حمل هذه العبارة على (روح القدس) كما تدعي النصارى؛ لأنه هو عين الله تعالى كما يزعمون ولا معنى حينئذ لقول المسيح: (لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) ولم يأتهم روح القدس بشيء لم يكن في زمن عيسى أو كان حمله شاقاً عليهم ، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله إليه (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: ٣-٤) وهو الذي بين للناس الحق من الباطل في أمر هذه الكتب وقال قرآنه: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: ٧٩) وقال: (يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة: ١٥) وشرع للناس شرائع كثيرة فكأن عيسى - عليه السلام - لما علم أن هذه الكتب سيحل محلها القرآن الذي قرب مجيئه وجاء هو مبشرًا به ، وأنها ليست باقية إلى الأبد بل سيستعاض عنها قريباً بالقرآن الذي سيبين

أمرها ، لم يهتم كثيرًا بتبيين صحيحها من فاسدها بل أفرغ جهده كله في تبيين حقيقة الدين وروحه وجوهره ، وفي أن الله لا يبالي بالصور والظواهر بل بالقلوب والنفوس ، وبالغ في إيضاح هذه المسائل حتى يردّ اليهود عن غلوهم في اعتبار ظواهر الدين وقشوره (أو طقوسه ورسومه كما يعبرون) ليعد النفوس لقبول الشريعة الإسلامية المتوسطة بين الإفراط والتفريط ، والتي جمعت بين مطالب الروح والجسد وبين الظواهر والبواطن كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣) وقد ترك عيسى - عليه السلام - بيان ما حل بهذه الكتب من الفساد لعلمه أنها كادت تنتهي وظيفتها، وأنها زائلة قريباً ، وأن العبرة بجوهر الدين لا بقشوره كما ترك الإفصاح عن الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه واختلف فيه اليهود والسامريون؛ لكونه يعلم أن الشريعة الآتية الباقية ستعين موضعاً آخر غير موضع اليهود والسامريين ، وأن أمثال هذه الاختلافات الجزئية ستزول بطبيعة الحال ، ويكفي أن يأخذ أتباعه بلب الدين وجوهره ولا يضيعوا أوقاتهم في الخلاف في جزئياته وقشوره حتى تنطبع نفوسهم على الأخذ بالروح والحقيقة ، لا بالظواهر التي كانوا قد أهملوا كل شيء في سبيل العمل بها، ومتى استعدت النفوس لقبول الحق وإيفاء الروح والجسد مطالبهما من غير إفراط ولا تفريط جاء محمد - عليه السلام - بالشريعة الوسطى ، وأرشد الخلق لجميع الحق ، كما بشرهم عيسى - عليه السلام - من قبل فتختم به حينئذ النبوة (دا ٩: ٢٤) ، ويحفظ الله دينه إلى الأبد (دا ٢: ٤٤) ولو كان عيسى- عليه السلام - يعلم أن كتب اليهود ستبقى إلى الأبد لما ترك الناس حيارى في شأنها ، ولوجب عليه تبيين صحيحها من فاسدها حتى لا يبقى أتباعه في أمرها إلى الآن ضالين ، فيرفض بعضهم ما يأخذ به الآخرون ويعتقدون اليوم بكتاب منها أو بإصحاح ، فيظهر لهم غدًا أنهم كانوا مخطئين ، فهم يتلمسون الحقيقة ولا يجدونها إلا بالأخذ بالإسلام، وحينئذ يستريحون من عنائهم في هذه الكتب المجهول أصلها ، هداهم الله إلى سواء السبيل .

هذا ولما كان مجيء الساعة التي يسجد فيها الناس لغير قبلة أورشليم وقبلة جبل السامريين محققاً وأمرًا مقضياً من الله ولا بد من وقوعه قال المسيح(يو٤: ٢٣): (ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب) فكأن الساعة موجودة بالفعل وقت الكلام لتحقق إتيانها ، ولذلك قال: (وهي الآن) وهذا يشبه قوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ) (النحل: ١) ، وورد أيضاً في كتاب حزقيال مثل هذا فقال(٣٩: ١-٨): (وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب - إلى قوله - ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه) ، مع أن هذا اليوم لم يكن وقتئذ أتى ولا صار فيه شيء مما أنبأ به ، وإنما قال ذلك لتحقق حصوله فكذلك قول المسيح عليه السلام السابق ، وقد قال مثل ذلك أيضاً في يوم القيامة كما في إنجيل يوحنا هذا (٥: ٢٥ و٢٨) فورد فيه ما يأتي: (الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) ، إلى قوله: فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته؛ فقوله (وهي الآن) لتحقق إتيانها ولقربه بالنسبة لما مضى من الأزمان ، وكذلك قول متى (٢٦: ٦٤): (وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا على يمين القوة وآتياً على سحاب السماء) ، مع أنه إلى زمننا هذا لم يأتِ المسيح على سحاب السماء .

يعلمون تعاليم ليست من الله بل من الناس ، وأنهم يفعلون أمورًا كثيرة مثل هذه[1].

فما المانع من أنه يريد بقوله: (أمورًا كثيرة مثل هذه) وقوله: (تعاليم هي وصايا الناس) أنهم يكتبون أشياء وينسبونها إلى موسى عليه السلام مدعين أنها من الله وهي ليست منه ، بل هي من اختراعاتهم .

وقد سبق أننا قلنا: إن ما عدا سفر التثنية من أسفار موسى الأخرى لم يكتبه هو بل تعتبر من التقاليد (الأحاديث) المروية بالرواية الشفوية ، ثم كتبت بعد، فلعل ذلك هو المراد بقول المسيح (وأمورًا كثيرة مثل هذه تفعلون) [2].

على أن المسيح عليه السلام لم ينبههم إلى ما وقع في نفس سفر الشريعة (التثنية) من الخطأ العلمي الصريح كالقول باجترار الأرنب الجبلي (تث ١٤: ٧) لما ذكرناه هنا في الحاشية من أن هذه الشرائع كانت مؤقتة وأنها زائلة بالإسلام [3] ، وأن محمدًا سيبين لهم كل شيء كما قال عيسى عليه السلام (يو١٦: ١٢ ،١٣) لعدم استعدادهم في زمن المسيح لقبول ذلك .

هذا وقد اعترف بطرس في رسالته الثانية بأن الناس كانوا يحرفون الرسائل والكتب ،

فقال (٣: ١٦): (كما في الرسائل كلها أيضًا متكلمًا فيها عن هذه الأمور ، التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضًا لهلاك أنفسهم) .

والتحريف هنا يشمل المعنوي واللفظي أيضًا ، وتخصيصه بالمعنوي لا دليل

---

[1] : راجع: (مرقص ٧: ٦-١٣).

[2] : راجع: (مر ٧: ١٣).

[3] : حاشية: جاء الأمر بالإسلام لله في أقدم كتبهم فقال في سفر أيوب: (ويظن أنه كان قبل إبراهيم) (٢٢: ٢١) (تعرف به وأسلم) ، وفي العبري وشلام أي كن مسلماً وهذا مصدق لقوله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٢) .

عليه ، فإذا كانوا يحرفون الأشياء العسرة الفهم في كتبهم في زمن الرسل أنفسهم، كما يدل عليه هذا القول فما بالك بغير زمنهم بعد أن ماتوا وذهبوا؟

وقال بولس أيضًا (غل ١: ٧): (إنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا {يحرفوا} إنجيل المسيح) ، وهو يدل على أن رغبة الناس في تحريف الإنجيل كانت قديمة منذ نشوء المسيحية ، ولا ندري أي إنجيل من الأناجيل الكثيرة كان محبوبًا عند بولس ويسميه(إنجيل المسيح) ولعله كان أحد الأناجيل التي رفضوها وسموها بالأناجيل الكاذبة .

وجملة القول في هذه المسألة:

أن المسلم لا يمكنه أن يثق بشيء مما يسمونه الآن التوراة والإنجيل، اللهم إلا جل الشريعة الموسوية كما في سفر التثنية، وبعض أقوال المسيح ومواعظه، كالتي في الإصحاح (٥ و٦ و٧ من إنجيل متى) ، فإننا نرجح أنها صحيحة غير محرفة ، والقرآن الذي ثبتت صحته بالبراهين القاطعة هو الميزان الذي توزن به هذه الكتب ، فما صدقه منها كان حقًّا وما كذبه كان باطلاً (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة: ٤٨) [1].

[1] : حاشية: المهيمن هوالرقيب والشاهد ، فالقرآن المنزل من عند الله الرقيب على كل شيء يشهد على هذه الكتب بما فيها من الحق والباطل ، وبما يدخلها من الفساد ، فيقرر ذلك لنا ويعترف به اعتراف الشاهد الذي رأى وعلم بما يقرره فهو عليها رقيب شهيد ، يحق حقها ويبطل باطلها ، وكذلك الأمة الإسلامية تشهد وستشهد على من سبقها من الأمم الأخرى في الدنيا والآخرة بما أخبرنا الله تعالى من أحوالهم مع أنبيائهم ، فالمسلمون وكتابهم رقباء شهداء على غيرهم وعلى كتبهم بما أعلمهم الله تعالى كالشهيد الذي يرى ، فيقرر ويعترف بما يوقن به ، ولذلك قال تعالى: (لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة: ١٤٣) ، فالشهادة هي الإقرار والاعتراف بما يرى أو يعلم باليقين كأنه مشاهد ومن ذلك قول المسلم: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) .

تذييل لهذا الفصل الثالث

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:

في كلمات الله ، وفي تسمية المسيح بالكلمة .

يزعم بعض النصارى أن كتبهم المقدسة لا يمكن تحريفها ولا تبديلها لقوله تعالى: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(الأنعام: ١١٤-١١٥) .

أما كون كتب النصارى واليهود محرفة فهذا لا شك فيه كما سبق بيانه ، وأما كون التوراة والإنجيل منزلين من عند الله لهداية الناس فهذا أيضًا لا شك فيه ، وأما زعم أن القرآن لم يقُل بتحريفهما اعتمادًا على مثل الآيتين السابقتين فهو قول باطل، لأن القرآن نص على تحريفهما في عدة آيات، منها:

قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ٧٥) .

وقوله: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: ٧٩) .

وقوله: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)(المائدة: ٤١) .

وقوله: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظاًّ مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ) (المائدة: ١٣) .

وقوله: (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ) (المائدة: ١٥) .

وغير ذلك كثير وهو دالٌّ على وقوع التحريف والتبديل في هذه الكتب والزيادة عليها والنقص منها ، وقد أثبتنا ذلك كله في هذا الفصل ولا يزال الإنسان يطلع،كما قال تعالى: على خائنة منهم إلى اليوم .

أما الآية السابقة التي تمسكوا بها في عدم تبديل كلمات الله فهاك معناها:

قال تعالى :(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) (الأنعام: ١١٤) .

فهم يعلمون ذلك لكثرة ما في كتبهم من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأمته ، ووضوح ذلك فيه بحيث لا يمكن انطباقه على أحد سواه ، وسيأتي بيان ذلك في فصل البشائر ، ثم قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ)(الأنعام: ١١٥) .

أي تحقق وعده بمجيء محمد عليه السلام، وقد ورد هذا اللفظ (تمت) بهذا المعنى أيضًا في قوله تعالى في آخر سورة هود: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود: ١١٩)، وقوله بعد ذلك: (صِدْقاً وَعَدْلاً) (الأنعام: ١١٥).

أي: تحقق هذا الوعد وظهر صدقه وكان ما حدث من مجيء محمد وشريعته مطابقًا لما أخبر به من قبل تمامًا بلا زيادة ولا نقصان ، فإن معنى (العدل) المساواة كما في قوله تعالى: (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً) (المائدة: ٩٥) .

أي: ما يساويه من الصوم ، فوعْد الله بمحمد تحقق بغاية الدقة والضبط ، وقد حدث كل ما أخبر به عنه في الكتب السابقة ولم يتخلف منه شيء ، فإن وعد الله

لا يمكن أن يتبدل أو يتغير وليس لأحد أدنى قدرة على إخلاف ما أنبأ به تعالى ، ومصادمة الحوادث وتغييرها حتى لا توافق وعده فإن كل ما قضاه تعالى لا بد أن يكون ولو حالت السموات والأرض والجبال دونه؛ ولذلك قال تعالى: (لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) (الأنعام: ١١٥) .

أي لا مغير لقضائه ولا مخلف لوعده ، فليس المراد بالكلمات هنا نفس الألفاظ والعبارات ، بل كل ما قضاه الله تعالى وحكم به وقدَّره فلا يمكن لأحد أن يمنعه من تنفيذه ، وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى: (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ) (الفتح: ١٥) .

فالمخلفون لم يريدوا قط أن يبدلوا نفس ألفاظ قول الله ، وإنما أرادوا أن يعملوا بخلاف ما أمر به وقضاه ، فسمى ذلك تبديلاً لكلام الله أي تبديلاً لأمره وقضائه، بأن لا يخرجوا للقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكلمات الله تطلق على عدة معان ، فقد ترد بمعنى كتبه وشرائعه، وقد ترد بمعنى قضائه وقدره كما بينا هنا ، وقد ترد أيضًا بمعنى مخلوقاته تعالى؛ لأنها خلقت بكلمة (كن فكانت) ، فهي توجد بمجرد صدور هذا الأمر منه بلا تباطؤ ولا تأخير.

قال تعالى لمريم: (كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران: ٤٧) ، فبكلمته تعالى خلقت السموات والأرض ، كما قال داود في أحد مزاميره [1].

ومن ذلك تسمية المسيح بكلمة الله ، فإنه خُلق بدون أب؛ ليكون آية للعالمين دالة على كمال قدرة الله تعالى على سائر الممكنات ، ولتنبيه البشر إلى عدم الاغترار بمعلوماتهم وأفكارهم ، وإظهار أنهم لا يزالون عاجزين عن الإحاطة بأسرار

---

[1]: راجع: (مز ٣٣: ٦).

نواميس هذا الكون العظيم وسنن الله فيه ، وأنه تعالى قادر على خرق العادات ونقض ما يتوهمونه ناموسًا لا يمكن نقضه لقصر عقولهم ونقص معلوماتهم التي اغترّوا بها ، وظنوا أن الخالق تعالى مقيد بها ، وخصوصًا في ذلك الزمن زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائلة -مثلاً- باستحالة الخرق على الأجرام السماوية، ......، وغير ذلك من أوهامهم الباطلة ، التي كانت عقبة في سبيل العقل البشري تحول دون ارتقائه وتوسعه في العلم والعرفان والإبداع والاختراع .

فمما كان الناس يعدونه من المستحيلات خلق الحيوان بدون أب ، فأظهر الله تعالى لهم بمسألة المسيح أن الأمر ليس كذلك ، فاستعدت العقول للبحث والتنقيب حتى هدى الله الباحثين في المخلوقات إلى أمثال لذلك كثيرة ؛

فشاهدوا في بعض أنواع الحيوانات الصغيرة: كقمل النبات مثلاً (Aphides) ما يسمونه بالتولد البكري (Parthenogenesis) وذلك أن الأنثى تلد بدون تلقيح الذكر ، ويتكرر ذلك في عدة أجيال من نوعها ، وبعد ذلك يحتاج الجيل الأخير للتلقيح، ومن العلماء المتأخرين من يقول الآن بجواز حصول ذلك في الإنسان أيضًا وغيره من الحيوانات الراقية قياسًا على ما شهدوه من أن ما يحصل في بعض أنواع الحيوانات على سبيل القاعدة ، قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في غيرها[1].

ومن الجنون أن يتخذ مثل هذا الشذوذ في المخلوقات دليلاً على ألوهيتها كمن يتخذ المرأة التي لها أكثر من ثديين إلهة ، ويعبدها لأنه لم يَرَ امرأة أخرى مثلها أو لم يسمع بذلك.

وكمن يعبد امرأة أحصنت فرجها عن الزنا ولكنها حملت وهي عذراء من زوج لها عنِّين لم يمسسها بالجماع المعتاد بين صحيحين ، بل بالاحتكاك الخارجي فقط مع الإنزال ، فظن العابد لها أن ذلك مستحيل مع أن الأمر ليس كذلك بل

---

[1] : هنا يصدق قول القائل: المعجزة طبيعية، فالطبيعة ذاتها معجزة (خ) .

هو واقع مشاهد.

فليس المسيح عليه السلام وحده آية دون سائر المخلوقات ، بل هو فقط من أعجب العجائب وأكبر الآيات (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية: ٤) .

وكما أنه سُمي (بكلمة الله) كذلك سائر المخلوقات سميت بكلمات الله قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ، لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

(لقمان: ٢٥-٢٨) الآيات .

وقال أيضًا للدلالة على عظم نعيم الجنة وسعته وبقائه: (قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (الكهف: ١٠٩) .

فالمراد بكلمات الله في هذه الآيات مخلوقاته تعالى، كما يدل على ذلك السياق فيها ، وسمي

(المخلوق) بالكلمة من باب تسمية الشيء بسببه على سبيل المجاز المرسل: كإطلاق اليد على النّعمة في قول القائل: (عظمت يد فلان عندي) أي نعمته التي سببها اليد ، فكذلك مخلوقات الله لما كونت بكلمات الله سميت (بالكلمات) .

فآدم والمسيح وسائر البشر هم كلمات الله ، وإنما اشتهر المسيح بين المسلمين بالكلمة دون آدم مثلاً؛ لإيضاح كيفية خلقه لينفي عنه اعتقاد النصارى بألوهيته واعتقاد اليهود بأنه ابن زنا [١]. ولأنه أحدث من آدم عهدًا بالنسبة إلينا ، ونعلم من

[١] : راجع: كتابنا (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية) المطبوع لأول مرة سنة ١٣١٦ هجرية .

أخباره وأحواله ما لا نعلمه عن آدم ، فهو آية لنا قريبة وله من المعجزات العظيمة ما يجعله أولى بهذا الاسم من سواه ، فإنه فضلاً عن كونه خلق بدون أب، تكلم في المهد، وخَلق من الطين طيرًا، وأحيا الموتى، وأبرأ الأكْمه والأبرص بإذن الله ، فلاجتماع هذه الأشياء كلها فيه كانت تسميته بالكلمة أظهر من تسمية غيره ، وإن كان الناس كلهم كلمات الله كما تقدم .

انظر مثلاً خالد بن الوليد فإنه سُمي (سيف الله) لشجاعته العظيمة ولإهلاكه أعداء الله ، فهل اشتهاره بهذا الاسم يدل على أن غيره غير جدير به ؟

وكما أن الله أباد بخالد كثيرًا من أعدائه فسمي (سيفه) كذلك المسيح خلقه الله خلقًا عجيبًا وأجرى على يديه معجزات عظيمة وآيات كبيرة ، وبه ظهرت قدرة الله تعالى للناس فسماه لذلك كلمته مبالغة وإكرامًا له ، كأنه هو نفس الكلمة التي فعل الله بها هذه الأشياء على يديه ، كما أن خالدًا شبه بالسيف الذي يقطع الله به الأشرار ، وفي الحقيقة ليس لله كلمة ملفوظة عند إرادة الخلق ولا له سيف محسوس ، وإنما هي مجازات معهودة في اللغات كلها ، ولمثل ذلك سمي المسيح أيضًا روح الله؛ لأنه يحيي النفوس والجماد والموتى .

ومن هذه المجازات نشأ غلط النصارى لظنهم أن (الكلمة) شيء موجود ممتاز عن الله امتياز الأشخاص بعضها عن بعض ، وأن هذه الكلمة هي التي أوجدت جميع المخلوقات ، فزعموا أن المسيح هو الخالق لكل شيء غلوًّا منهم وإفراطًا ، مع أن الكلمة ليست شيئًا ممتازًا ، بل لا وجود لها في الحقيقة إلا إذا أريد بها القدرة ، وهي إحدى صفات الله تعالى وليس من المعقول أن الصفات تكون أشخاصًا (أو أقانيم) ممتازة بعضها عن بعض قائمة بذاتها ، بل هي صفات لا تقوم إلا بالذات العلية ، والفرق بينها وبين الذات الإلهية في الكنه والماهية كالفرق بين الجوهر والعرض والصفة والموصوف ، فكيف إذًا يكون الآب (وهو الله) مثل الكلمة والروح؟

ولماذا لم تجعل الصفات الأخرى لله تعالى (وهي أكثر من ثلاثة) أقانيم أيضًا:

كالعلم والإرادة والسمع والبصر وغيرها؟

وإذا كان الابن خالقًا لكل شيء فما وظيفة الأب إذًا؟

وأي شيء خلقته روح القدس إذا كانت هي المرادة بقول(داود ٣٣: ٦): (بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) كما يزعمون؟

فما هي الجنود التي صنعتها الروح، إذا صح أن كل شيء بالابن كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، كما قال يوحنا(١: ٣)؟ !

ومن المجاز أيضًا إطلاق كلمة (وحي) على (المُوحى) كما في أشعياء (١٣ :١) وإطلاق كلمة (الخلق) على (المخلوق) والإرادة على الشيء المراد كما في قول المسيح :(إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك)[1] أي ليكن الشيء الذي تريده أنت لا ما أريده أنا ، وبمثل تعبيرنا نقل هذا القول مرقص في إنجيله (١٤: ٣٦) .

ومن المبالغة المعتادة تسمية الشيء الجميل بالجمال والحَسَن بالحُسْن ونحو ذلك كثير ، ومن الناس من سُمي (رحمة الله) و(نعمته) و(حزيئيل) أي بصرُ الله و (عزري) أي عون الله ، وقد سمي أحد أنبياء بني إسرائيل (بحزقيال) ، ومعناه (قوة الله) وهو أبلغ في الدلالة على القدرة على الخلق من تسمية المسيح (بكلمة الله) فإن الكلمة تطلق على معانٍ أخرى، منها

كما قلنا: أحكام الله وشريعته؛ ولذلك سميت الوصايا العشر بالكلمات العشر (تث ١٠: ٤). فهل يصح أن يقال من أجل ذلك إن قوة الله، أو قدرته تجسمت حقيقة ، ونزلت إلى الأرض ، وظهرت للناس، كما قال يوحنا في حق المسيح؛ لأنه سمي بكلمة الله [2]؟

ولماذا اختص حزقيال بهذا الاسم دون سائر الأنبياء ؟

---

[1] : (لو٢٢: ٤٢).

[2] : (يوا ١٤: ١).

وأي فرق بينه وبين تسمية المسيح بالكلمة؟ !

الحق: أن النصارى أخذت مذهبها في (الكلمة) من مذهب الرواقيين فيها فإن مذهبهما واحد ، والرواقيون هم أتباع الفيلسوف (زينون) اليوناني الذي عاش من سنة ٣٤٠ إلى ٢٦٠ قبل الميلاد ، وكان يعلِّم فلسفته في رواق شهير بأثينا ، وكان يعتقد أن الكلمة (Logos) هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه .

ومن ذلك نشأ مذهب النصارى في القرون الأولى ، فقالوا: إن الكلمة صارت جسدًا وحلت بين الناس ، وكانت موجودة في الأزل ، وهي التي خلقت كل شيء !! وبذلك تقربوا من الرومانيين حتى دخلوا في دينهم أفواجًا أفواجًا؛ لأن الفلسفة اليونانية كانت هي السائدة على عقولهم ومعتقداتهم؛ ولذلك ترى أن المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى أن تعظيم يوم الأحد بدل السبت مأخوذ عنهم كما ستعلم .

ويجوز أن المسيح ما كان يسمى بالكلمة في عصره ، وإنما سمي بذلك فيما بعد في إنجيل يوحنا أخذًا عن الفلسفة اليونانية ، ولما جاء القرآن أخذ هذا الاسم عن النصارى وأراهم كيف يمكن تحويل المراد منه عندهم إلى معنى صحيح غير ما يفهمونه ، يناسب عقيدة القرآن في المسيح عليه السلام من أنه عبد الله ورسوله المخلوق بكلمة الله وقدرته ، فيكون ذلك من ضمن أسباب تسميته على انفراد بالكلمة في القرآن .

هذا واعلم أن امتياز المسيح أو غيره ببعض الأشياء أو اختصاصه بها لا يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء ، كما أن امتياز إبراهيم بكونه خليل الله وموسى بكونه كليم الله وبكثرة الآيات والمعجزات وعظمها ووضوحها لا يدل على أنه أفضل من المسيح مثلاً ، بل إن اشتهار الخليل بهذا الاسم لا يدل على أن ليس هناك لله خليلاً مثل إبراهيم ، أرأيت إذا فاق أحد التلاميذ في علم ما من العلوم جميع أقرانه فهل يستلزم ذلك أنه أعلمهم في كل شيء وأولهم وأرقاهم؟ كلا!!

المسألة الثانية :

في نقض النصارى ناموس الله :

من العجيب أن النصارى تركوا قول المسيح بعدم نقضه الناموس [1]، واتبعوا أهواءهم وأقوال بولس وأضرابه حتى أبطلوا لأجلها جميع شرائع التوراة ، ولم يعملوا بواحدة منها كما أمروا في أسفار موسى .

فتراهم مثلاً تركوا تعظيم اليوم السابع الذي باركه الله وقدسه (تك ٢: ٣) وأمرهم بحفظه (تث ٥: ١٤ وخر ١٣: ١٥ و٣٥: ٢ و٣) وجعله فرضًا أبديًّا عليهم (خر ٣١: ١٥ - ١٧) وأوجب عليهم أن لا يعملوا أي عمل فيه وأن لا يشعلوا نارًا في مساكنهم ، وأن يقتلوا كل من خالف هذه الأوامر (خر ٣٥: ٢ و٣) فاستبدلوا اليوم الأول (الأحد) باليوم السابع ، ومع ذلك لم يحفظوه أيضًا كما كان يحفظ السبت موسى وعيسى والأنبياء .

ففي أى موضع من الأناجيل أبدل المسيح، أو تلاميذه يوم السبت بالأحد وأجاز لهم العمل فيه ومخالفة أوامر التوراة ؟

ولماذا لم يقم عليه السلام من الموت في اليوم السابع (السبت) حتى يتفق سبت النصارى مع سبت اليهود الذي قدسه الرب قديمًا؟

أو لماذا لم يقدس الله يوم الأحد منذ البدء ويجعله هو يوم الراحة للأمم ليكون ذلك إشارة إلى قيامة المسيح المزعومة في ذلك اليوم؟ الذي لم يعرف تعظيمه في الكتب الإلهية القديمة ، بل كان يعظمه بعض الوثنيين الذين خصصوه لعبادة الشمس(أعظم آلهتهم) ولذلك سموه ، ويسمى عند بعض الأمم للآن (يوم الشمس) (Sunday) فالنصارى تركوا أوامر الله التي في التوراة واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم !!

---

[1] : (متى ١٧:٥).

وكذلك تركوا الختان وهو فرض عليهم في الشريعة الموسوية (لاويين ١٢: ٣) وجعله الله علامة عهد أبدي بينه وبينهم ، وأوجب قتل كل من نكث هذا العهد ولم يختن في لحم غُرلته (تك ١٧: ٩-١٤)؛ وقد ختن عيسى عليه السلام نفسه (لو٢: ٢١) ولكن بولس وهو لم ير المسيح في حياته قال لهم :(إن إختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا) (غلا ٥: ٢) .

وقال: فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت (كو٢: ١٦).

فهم لذلك تركوا جميع أحكام الناموس ولم يبالوا بها ، مع أن المسيح لم يأت لينقضها، كما قال؛ ولكنهم رجحوا أقوال بولس هذه على أقوال الله ورسله، وتمسكوا بتأويلات ضعيفة ركيكة مضحكة؛ ليعتذروا بها عن إبطال تعظيم اليوم السابع والختان في لحم الغرلة وغيرهما من أحكام الله ، مع أن حكمهما كان عليه فرضًا أبديًّا كما بينا ، فلا أدري كيف إذًا أبطلوه وإذا كانوا هم أنفسهم لا يعملون بأحكام هذه الكتب فما فائدة إيمانهم بها ؟

ولماذا يريدون أن يعمل المسلمون بهذه الشرائع التي هجروها وأبطلوها ؟!

وما الداعي إلى المناقشة بيننا وبينهم في هذه الكتب والحال أنهم قد نقضوها ولم يعبأوا بها؟ ومن أغرب أمورهم أن كل كلام لم يوافق أهواءهم لجأوا إلى تأويله، وباب التأويل عندهم واسع جدًّا ، يدخل فيه كل مكابرة وتحريف للأصل ، ولا أدري أي كلام كان يمكن لموسى أو غيره أن يقوله لهم حتى يوقف سير تأويلاتهم هذه، الفاضحة المخزية ، وحتى يعترفوا بأنهم مكابرون معاندون لله ولشرائعه؟

فانظر مثلاً إلى تأويلهم في مسألة حفظ اليوم السابع (السبت) ومسألة الختان الجسداني تَرَ العجب العُجاب الذي تضحك منه الثكلى ، فما أعجب عقولهم وما أغرب أفهامهم ، والله لولا أننا نراهم بأعيننا ما صدقنا بوجود أمثالهم بين البشر .

وقد غرَّ طائفة المبشرين ما وصلت إليه أوربة من العلم والمدنية، مع أنها ما

وصلت إلى ذلك بمثل هذه الأفكار القسيسية ولا بعقائدهم الدينية المصادمة للبداهة العقلية، بل وصلت إلى ذلك باتباع أحكام العقل والحس والوجود والدرس والبحث ، وبعد أن نبذت الخزعبلات والجمود وهذا الدين وراءها ظِهْرِيًّا .

وإلا فقل لي- بأبيك - في أي شيء يتفق الدين الذي يأمر بالابتعاد عن الدنيا وزخرفها مع تلك المدنية الأوربية المادية؟

وأي شيء تعمله دول أوربة اليوم وفق تعاليم الدين المسيحي؟

الحق: أنه لا يوجد بينهم وبين المسيحية علاقة تذكر إلا بالاسم فقط، كما لا يخفى على أهل البحث والنظر ، ولا تنس أن أكثر أهل العلم في أوربة ماديون ملحدون ، فكان الواجب على جماعة المبشرين أن يهدوهم إلى دينهم ويحثوا أممهم على العمل به قبل أن يأتوا إلى المسلمين ، وبعد ذلك يعمل هؤلاء المبشرون أنفسهم بناموس موسى ثم يدعون المسلمين للأخذ بهذه الكتب المهجورة من جميع أصناف الناس حتى أتباعها .

فإن قيل: إذا كان بعض الشرائع حكمها أبديًّا في شريعة موسى فكيف إذا نسخ في شريعتنا الإسلامية؟

فالجواب:

١- نحن لا نسلم بجميع ألفاظ هذه الكتب؛ إذ يجوز عندنا أن بعضها زيد أو تحرَّف سهوًا أو قصدًا، كما بيَّنا ولا يخفى أن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم شعب الله الخاص ، وأن دينهم وملكهم باقٍ إلى الأبد ، فلا عجب إذا دخل في كتبهم شيء من هذه الأفكار المتعلقة بدوام ملكهم ودينهم ومدينتهم (أورشليم) إلى الأبد كما قيل عنها في كتاب أرمياء: (لا تقلع ولا تهدم إلى الأبد) (٣١: ٣٨ - ٤٠) ، وليلاحظ القارئ أن لفظ الأبد بالنسبة للأحكام يندر وجوده في سفر التثنية وهو السفر الذي نرجح سلامته من الفساد الكبير كما سبق .

٢- لعل دوام دينهم كان مشروطًا باستقامتهم وحفظهم له ولعهد الله ، فإذا

نقضوا عهد الله نقض الله أيضًا عهدهم وأبطل دينهم كما فعل بملكهم الذي علق دوامه على صلاحهم وتقواهم،كما بيناه سابقاً. ولذلك قال في أرميا (إن نقضتم عهدي ...... فإن عهدي أيضًا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكًا على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي) (٣٣: ٢٠ و٢١) . أي يبطل ملكهم وشريعتهم[١].

أما إذا استقاموا وكان الله حقيقة وَعَدَهم ببقاء بعض أحكام شريعتهم إلى الأبد، فمن الجائز أن الله تعالى ما كان لينسخ هذه الأحكام ، ويبقيها في الشريعة الإسلامية كما هي أو مع بعض تحوير فيها لا يغير جوهرها ويزيد عليها ما شاء ويُنقص منها ما لم يكن حكمه أبديًّا .

لكن الله تعالى علم أنهم لن يستقيموا ولا بد أن ينقضوا عهده ، فقضى في علمه الأزلي أن يبعث رسولاً من إخوتهم: بني إسماعيل، بشريعة غير شريعتهم ، وأخبرهم بذلك وأوجب عليهم اتباعه حينما يبعث (تث ١٨: ١٥ - ٢١) وقد ظهر تمردهم وعصيانهم في زمن موسى نفسه حتى سماهم (شعبًا صلب الرقبة) لشدة عنادهم (تث ٦: ٦) وأنذرهم بالإبادة إذا عبدوا غير الله وعصوا أوامره (تث ٨: ١٩ و٢٠) وقد كان ذلك كله فعصوا الله فأبادهم ونسخ دينهم بدين الإسلام ، وأعطى أرضهم التي كانوا وعدوا بها إلى الأبد (تث ٤: ٤٠) للمسلمين الذين قال فيهم المسيح لليهود :(إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) (متى ٢١: ٤٣). ولا يصح أن يراد بذلك أمة الرومان؛ فإن الأرض المقدسة كانت إذ ذاك خاضعة لهم ، ولم تكسبهم المسيحية شيئًا جديدًا في تلك الأرض التي بقيت في أيديهم مؤقتًا حتى أخذها الإسلام منهم ولا تزال تابعة له إلى اليوم .

فكأن الرومانيين أخذوها من اليهود ونزعوها منهم، لا لأنفسهم بل ليسلموها للمسلمين (العرب) أصحاب الحق فيها بعد اليهود ، فإن الله تعالى وعد إبراهيم بأن تكون هذه الأرض له ولنسله ملكًا أبديًّا (تك ١٧: ٨) فوهبها أولاً لإسحاق(تك

---

[١] : راجع أيضاً:(٢ أي ٧: ١٩ - ٢٢، ولا ٢٦، وتث ٢٨، وغير ذلك).

١٧: ٢١ وخر ٦: ٤، ومز ١٠٥: ٩ - ١١) ولما نزعها من يد نسله لعدم وفائهم بعهد الله أعطاها لبني إسماعيل (العرب) الذين جعلهم الله أمة كبيرة (تك ١٧: ٢٠) وصارت يدهم على الكل (تك ١٦: ١٢) وبذلك أبقى أرض الموعد في نسل إبراهيم إلى الأبد كما وعد تعالى .

أما الرومانيون فهم ليسوا من نسله وليسوا أهلها ، بل كانوا كالمحتلين لها مؤقتًا إلى زمن العرب أربابها بوعد الله ، فامتلأت بهم للآن وستبقى كذلك إلى الأبد كما وعد الرحمن [١] وهم قديسو العلي كما سماهم دانيال .

٣- لعل المراد (بالأبد) الأبد النسبي كقولك لشخص: (افعل ما أمرتك به دائمًا أبدًا) فالمراد أنه يفعله ما دام حيًّا ، فإذا مات فلا معنى لامتثال هذا الأمر ، فكذلك قول الله لهم :(افعلوا كذا وكذا إلى الأبد): معناه أن يستمروا على فعله ما داموا أمة حية قوية ذات وجود ممتاز ، فإذا ضعفت أمتهم وتبددت وماتت فلا يمكنهم أن يمتثلوا هذه الأوامر بعد أن يتلاشى وجودهم المستقل.

فاتباع الشريعة الموسوية كان واجبًا على اليهود إلى أن تلاشى استقلالهم ومُحيت مدينتهم وهيكلهم بعد المسيح ، وتبددوا في الأرض واندمجوا في الأمم الأخرى ، ولم يبق لهم وجود ممتاز حتى صاروا كالشخص الذي مات وتفرقت أجزاؤه، ولذلك قال المسيح قبل أن يحصل ذلك: إنه ما جاء لينقض شريعتهم بل ليكملها ، وأنه لا يزول حرف واحد منها حتى يكون أو يكمل الكل

(متى ٥: ١٧ و ١٨) أما إذا أُكملت هذه الشريعة وتبددت الأمة اليهودية وزالت دولتهم ولم يبق من مدينتهم حجر على حجر (مت ٢٤: ٢) فحينئذ يكون تكليفهم بهذه الشريعة كتكليف الميت بأي عمل بعد موته .

فالإسلام لم يأت إلا بعد أن أكمل الناموس وبعد أن ماتت الأمة اليهودية موتًا تامًّا ، حتى لم تتم شريعة القرآن إلا بعد أن محي كل أثر من القوة كان لليهود في بلاد العرب التي تحصَّن فيها بعضهم بعد تشتتهم .

---

[١] : انظر أيضاً: (دا ٢: ٤٤ و٧: ١٨ و٢٧) .

فمجيء مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بالإسلام كان إذًا: دليلاً على فناء الأمة اليهودية وانمحاء شريعتها وناموسها، ولذلك قال يعقوب لبنيه إنباءً عما سيحدث في آخر الزمان: (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب) [١].

فإذا جاء (شيلون [٢]) وهو الإسلام (أو السلام كما قالوا) زال ملكهم وشرعهم أما المسيح فما جاء ليزيل شريعتهم ولا علماءها .

ومما يدلك على أن (الأبد) في التشريع هو الأبد النسبي قول الناس: (فلان حكم عليه بالسجن المؤبد) ، ويريدون السجن مدة الحياة .

على أن الأبد المطلق لا يمكن أن يكون مرادًا في الشريعة الموسوية بأي حال من الأحوال؛ لأنه من المعلوم لجميع الأنبياء أن الوجود في هذه الأرض ليس مستمرًّا إلى الأبد ، بل سينقطع بقيام الساعة ، فلا يمكن أن يكلفوا البشر بشيء إلى الأبد المطلق ، لأن يوم القيامة سيزيل كل ذلك ، وعليه فالأبد هو قطعًا الأبد النسبي [٣]، ولا فرق بين حمله على يوم القيامة (الساعة العامة) أوعلى موت الأمة وفنائها وانمحاء كل مشخصاتها ومميزاتها (في الساعة الخاصة) فإن من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الأثر .

هذا هو جوابنا على هذا الإشكال ، أما النصارى فلا يمكن أن يجيبوا عن هذه الأحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية بمثل هذا الجواب؛ لأنهم:

أولاً: لا يسلمون بتحريف هذه الكتب ولا بدخول بعض الأفكار الشائعة بين

---

[١]: (تك ٢٩: ١ و١٠) .

[٢]: راجع بحث لفظ (شيلون) في فصل البشائر الآتى .

[٣] : مما يدل على أن (المؤبد) قد يكون مؤقتاً قوله تعالى في القرآن الشريف :(وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) (الممتحنة: ٤) وعليه فجميع الأحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية هي مؤقتة بمجيء مُحمد صلى الله عليه وسلم ، كأن الله قال لهم: (افعلوا كذا وكذا أبدًا حتى يأتيكم رسولي الذي أخبرتكم به فأطيعوه) أعني أن المراد بالأبد الدهر الطويل أو الأبد النسبي كما في المتن .

اليهود فيها ، كما دخل في العهد الجديد بعض خرافات ذلك العصر المنتشرة بين الناس، مثل مسألة دخول الشياطين في الإنسان [1] وخروجهم منه إلى غيره وإلى الحيوانات الأخرى وتكلمهم فيه وتسببهم في بعض أمراضه الجسدية والعقلية .

ثانيًا: أنهم لا يقولون بجواز نسخ الشرائع الإلهية عمومًا .

ثالثًا: أن المسيح لم يأت لينقض الناموس خصوصًا بل ليكمله ، فيجب عليهم إذًا اتباع كافة أحكام الشريعة الموسوية وعدم تبديل حرف واحد من حروفها ، وأن يتركوا آراء بولس وفلسفته العجيبة التي تركوا لأجلها حكم الله !!

أما المسلمون فإنهم يقولون بتحريف هذه الكتب وعدم التعويل على كل لفظ من ألفاظها كما بيناه وبنسخ بعض أحكامها ، كما قال تعالى :(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: ٧٩) .

وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف: ١٥٧) .

وقال: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) (المائدة: ٤٨) .

(إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) (النحل: ١٢٤) .

---

[1]: حاشية: قول القرآن الشريف :(لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة: ٢٧٥) لا يقتضي وجود ذلك بالفعل في الخارج فإن من المشبه به ما لا وجود له إلا في الذهن والخيال ، كقوله تعالى: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (الصافات: ٦٥) وكقول الشاعر:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي *** ومسنونة زرق كأنياب أغوال.

فكذلك قول القرآن هذا فإن المشبه به فيه هو من متخيلات العرب وسائر الأمم ، ويراد به التشنيع والتقبيح ، ومثله يوجد في أعظم الكتب العلمية في أية لغة كانت ، ولا يستفاد منه أن الشيطان له هذا التأثير في الإنسان ولذلك قال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) (الحجر: ٤٢) ونحوه كثير في القرآن ، ومن العجيب أن القرآن يذكر معجزات المسيح مرارًا وتفصيلاً ومع ذلك لم يذكر منها (إخراج الشياطين) وجميع الأناجيل مفعمة بها حتى الأبوكريفية وأذهان الأمم ممتلئة بها فكيف سلم القرآن من هذه الخرافات الشائعة بين جميع الناس حتى أهل الكتاب لولا أنه وحي الله ؟

وقال: (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الأنعام: ١٤٥ - ١٤٦) [1].

---

[1]: حاشية: يفهم من هذه الآية الشريفة حِلّ بعض أجزاء من الشحم لليهود ، ولكن الذي يفهم من سفر اللاويين (٣: ١٦ و١٧ و٧: ٢٣ - ٢٥) هو تحريم كل جزء من أجزاء الشحم فلا بد أن يكون هذا من تحريف الكهنة ليأخذوا كل الشحم من الناس بدعوى إيقاده على المذبح (كما في لا ٣: ١١) ثم يبقوا منه شيئاً لأنفسهم ، أو يكون هذا الحكم نسخ فيما بعد في زمن موسى أو غيره من أنبياء بني إسرائيل (انظر نحميا ٨: ١٠) كما حرموا استرقاق العبراني مطلقاً بعد موسى بسنين عديدة وكان مباحًا لهم في زمنه (تث ١٥: ١٢ - ١٨) أو أنه حصل خطأ في هذه الشريعة أثناء نقلهم لها في تلك العصور المظلمة الطويلة ، أو أثناء ارتدادهم عنها لعبادة الأصنام مرات عديدة في سنين كثيرة ، ولو أراد أنبياؤهم إصلاح ذلك حينما يرجعون إليها لعارضهم الكهنة وغيرهم لمصلحتهم الشخصية ولسفكوا دماءهم فإنهم كثيرًا ما قتلوا الأنبياء والمرسلين (انظر متى ٢٣: ٣٠ - ٣٧) كلما أرادوا إصلاح أحوالهم وأمورهم ولا يستبعدنّ القارئ وقوع مثل هذا الخطأ في هذه الكتب مع كثرة الأنبياء فيهم ، فقد وقع فيها غيره سهوًا أو قصدًا مما بيناه ومما لم نبينه كمسألة اجترار الأرنب الجبلي (لا ١١: ٦) ومسألة برص الثياب وبرص البيوت (لا ١٣ و١٤) ولعل هذه المسألة الأخيرة هي أيضاً من وضع الكهنة لمصلحة لهم فيها ، ولم يتمكن الأنبياء من إزالتها كما لم يمكنهم منعهم عن عصيان الرحمن وعبادة الأوثان والذي يدلك على أن بعض الشحم أحل لهم كما قال القرآن ، وأن النص على تحريم الكل إما أنه محرف أو منسوخ قول سفر التثنية :(وهو أصح هذه الأسفار على مذهبنا) في نعم الله على بني إسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر ما يأتي تث ٣٢: ١٠ (وجده) أي إسرائيل والمراد بنيه) في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب - ١٢ هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي ١٣ أركبه على مرتفعات الأرض ، فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر ١٤ وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش وتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمرًا) ، فإذا كان كل الشحم محرماً عليهم كما في سفر اللاويين فكيف إذًا يمن الله عليهم في سفر التثنية وهو آخر الأسفار الموسوية وأصحها بإطعامهم وهم في البرية شحم الخراف والكباش والتيوس؟ ألا يدل ذلك على صحة قول القرآن الشريف في هذه المسألة وخطأ كتبهم الأخرى فيها؟ وإلا فكيف يمكنهم التوفيق بينها لإزالة هذا التناقض؟ والعبارة الأخيرة من سفر التثنية وكذا غيرها (تث ١٨: ٤) تدل على حل الخمر لهم ، وإن كان شربها حرّم على الكهنة فقط عند دخولهم خيمة الاجتماع (لا ١٠: ٨ - ١١) وكذلك المسيحية فيها ما يدل على حلها للناس (راجع يو٢: ١ - ١١ ولو٢٢: ١٤ - ٢٣) ولذلك فإنا نفخر بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي حرم الخمر تحريماً باتاً ، وكذلك سائر الخبائث ، وأحل الطيبات جميعًا ولولا النصارى لما انتشر شربها بين المسلمين

فالمسلمون إنما تركوا شريعة الله الموسوية لأوامر صريحة في كتابهم الإلهي وأما النصارى فتركوها لغير أقوال المسيح نفسه القائل: إنه لم يأت لينقضها بل ليكملها.

ومما يزيدك يقينًا بأن قول المسلمين بالتحريف في نفس مسألة الأبد [1] هذه وفي غيرها ليس أمرًا نظريًّا ظنيًّا بل هو حقيقة واقعية ، ما جاء في رسالة بطرس الأولى قال فيها

(١: ٢٣): (مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد) ، فقوله: (إلى الأبد) لا يوجد باعترافهم في أقدم النسخ وأصحها التي عثروا عليها[2] ، تجد أن هذه العبارة موضوعة فيها بين قوسين للدلالة على ما قلنا كما ذكروا في مقدمة هذه النسخة ، وهذه إحدى التحريفات التي يزعمون أنها لا تتعلق بمسائل هامة فما أكبرهم من مكابرين !!

وكيف بعد ذلك يمكننا أن نثق بأي شيء من نقلهم أو من كتبهم إذا كان التحريف فيها من العادات الملازمة لقدمائهم؟

وكيف نأمن عليها من تلاعبهم وإفسادهم لها في غير هذه المواضع التي ظهرت

فإنهم هم الذين حملوها إلينا مع ما حملوه من موبقات مدنيتهم الأخرى: كالانتحار والقمار والربا والرقص والخلاعة والفسق والفجور أما لفظ السَّكر (بفتح السين) الوارد في القرآن في سورة النحل (١٦: ٦٧) فالأصح أنه سُكر الفاكهة (بضم السين) المسمى عند الإفرنج (Laevulose) ، أوهو لغة في السكر (بضم السين) مطلقاً ، فإن كلا اللفظين معرب من كلمة (شكر) الفارسية بإبدال الشين سيناً كما هو المعتاد في تعريب بعض اللغات الأخرى الشرقية: كموشى العبرية وموسى العربية وغير ذلك ، وقيل: السكر الخل ، وإذا سلّم أن السكر (بفتح السين) هنا هو السكر فقوله تعالى بعده: (وَرِزْقاً حَسَنًا) (النحل: ٦٧) يدل على أن السكر ليس رزقاً حسناً لأن الأصل في العطف أن يفيد المغايرة ، وهذه الآية المشار إليها هنا نزلت قبل التحريم البات ، فإن الخمر حرمت تدريجياً لحكمة لا تخفى على المفكر، والتحريم التدريجي شيء والنسخ شيء آخر فلا منافاة بين ذلك وبين مذهبنا في (الناسخ والمنسوخ) .

[1] : حاشية: جاء في سفر الخروج(٢: ٦): (ويثقب سيده أذنه بالمثقب، فيخدمه إلى الأبد) والمراد أن العبد يخدم سيده إلى الممات ، وهو عين ما قلناه آنفاً في معنى الأبد وبهذا المعنى أيضًا ورد في سِفر صموئيل الأول ١: ٢٢ .

[2]: راجع: الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٠٩ ميلادية في المطبعة الأمريكانية في بيروت .

لنا؟

وهل لا يدل انتشار مثل هذه التحريفات في نسخها على صحة قولنا: إن هذه الكتب في الأزمنة القديمة كان يسهل على أصحابها تبديلها وتحريفها؟

ومن العجيب أنك ترى النصارى بعد ذلك يدعون المسلمين لترك دينهم واتباع آرائهم وأهوائهم المخالفة لما جاء به موسى وعيسى وسائر أنبياء بني إسرائيل!!

فأي محاربة لله ولرسله ولكتبه أكبر من ذلك؟

وهل بعد ذلك يعقل أنهم به مؤمنون ؟

وقد بينا لك فيما سبق أن عقائدهم لم يأت بها النبيون وأنهم فيها لأحكام العقل هادمون، وقد أريناك هنا أنهم لشريعة الله محاربون ولكتبه محرفون! !

فبأي شيء من دين الله بعد ذلك يتمسكون وإليه يدعون؟ وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!

(الفصل الرابع)

في بشائر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته

تمهيد:

اعلم أن تغيير حال أمة كالأمة العربية وإحياءها وإحياء أمم الأرض بها وقلب نظاماتها وصبغاتها وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد صلى الله عليه وسلم في حاله ونشأته وفقره ويتمه وأميته، وبتلك السرعة العجيبة في ذلك الزمن القصير أمر لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر وليس له نظير، فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق .

رجل فقير يتيم أُمِّيٌّ بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الأرض بعيدة عن كل نظام ومدنية، ناشئ في الهمجية وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علمًا، ومن الفساد نظامًا، ومن الكفر إيمانًا، ومن الشرك توحيدًا، ومن التشبيه تنزيهًا، ومن التفرق اتحادًا، ومن التخاذل ائتلافًا، ومن الضعف قوةً، ومن الهمجية مدنية، وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك، والخطيب المصقع، والبليغ المعجز، والسياسي الحاذق، والمنبئ الصادق، والشارع الحكيم، والمعلم الماهر، المخبر لقومه بما لم يعلموه وما لم يتلفتوا إليه، والتقي الورع، والزاهد الناسك العابد، والمتمتع بالحلال، والمتلذذ بالطيبات، والرءوف الرحيم، والقاسي على الظالمين، ومثال الأدب والتهذيب، والرقة والكمال، والجمال والنظافة، والأعمال الصالحة، والإيمان الصادق الصحيح، والمصلح الأكبر لأمته ولسائر العالم؛ إني والله لا أدري ماذا أقول، وكيف أصفه، وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه؛ فهو الإنسان الكامل الجامع للأضداد والمتناقضات، والذي يجد فيه كل

طالب ما يشتهيه، والقدوة الحسنة في كل شيء، والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١) .

ألا ترى أنه أوجد من العدم أمّة حملت لواء العلم والعز، والمجد والمدنية الصحيحة، والحرية والإخاء والمساواة إلى أمم الأرض قاطبة؟

مع شدة الحاجة إلى بعثته في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والكفر والظلم والاستبداد وسوء الحال والجهل؛ فغيرت وجهَ الأرض، وقلبت نظامات الأمم، وصبغتها بصبغتها في اللغة والدين والأخلاق في سنين قليلة، وبسرعة خارقة للعادة .

انظر إلى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها، كيف عجزت عن صبغ محكوميها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والأخلاق، مع صرف كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك؛ فلم تزد الناس منها إلا نفورًا وسخطًا وبغضًا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة تلك الأمم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في السنين القليلة ؟

فمحمد صلى الله عليه وسلم الذي أوجد تلك الأمة، وذاك الدين، وتلك الدول الآخذة بتعاليمه المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم، والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من البشر، أيكون له كل هذا الاقتدار وذاك السلطان مع مرور الأعوام والدهور، ودينُهُ لا يزداد إلا انتشارًا، أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني؟

نَبِّئُوني بعلم إن كنتم صادقين. أي نظير له بين البشر؟ أي مثال له بين الناس؟ ولماذا كان متفردًا وخارقًا للعادة في كل شيء ؟

أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته، وكانت أمته كأمته العربية البدوية الأمية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم وبسرعة عجيبة كهذه أو دام عمله في الأرض إلى اليوم؟

ولماذا خاب كل مُدَّعٍ للنبوة مِن بَعْدِهِ وفشل؛ تصديقًا لقوله عن نفسه: إنه خاتم النبيين؟

فيا أيها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر:

لماذا كان محمد شاذًّا فذًّا في جميع أعماله دون سائر البشر ؟

ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة، والسلطان السريع، والتأثير المدهش في أمم الأرض قاطبةً من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة ؟

وكيف نعلل ذلك تعليلاً معقولاً صحيحًا بغير الاعتقاد بصدقه ؟!

أليس عمله في قلب الأمة العربية وبعثها من الموت إلى الحياة بسرعة مَن يقول للشيء كن؛ فيكون أبلغ مِن قلب موسى العصا حيةً، ومن إحياء عيسى ثلاثةَ أموات ؟!

وأيهما أدل وأليق بالنبوة؟

انظر إلى رجلين ادَّعَيَا علم الطب، فأثبت أولهما علمه به بتأليفه فيه وبحسن علاجه ونجاحه وشفائه للمرضى في أقرب وقت، وأثبت الثاني دعواه علم الطب بألعوبة كألاعيب المشعوذين بأن رمى بحبل إلى السماء، ثم تعلق به وصعد عليه؛ فأيهما أتى بما يناسب دعواه، وما العلاقة بين الطب وبين تلك الألاعيب ؟

نعم، قد يندهش البسطاء ويصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بألاعيبه وعجائبه، ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيًّا على برهان عقلي منطقي صحيح .

كذلك الفرق بين محمد والأنبياء قبله، فـمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والأنبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم، ولكنه يدهش الناس ويحيرهم حتى يذعنوا لهم ويهابوهم فيخضعوا (وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً) (الإسراء: ٥٩) .

هذا؛ ولما كانت الأمم القديمة كالأطفال جاءهم الأنبياء بما يناسب عقولهم ودرجة سذاجتهم، ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية، ثم

ارتقى بعده واستوى؛ فلذا جاءه بما يليق بعقول راقية، وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح؛ ولذلك تجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات الغابرة، وقل في علمائهم من يود سماع أقاصيصها .

ولا ينكر الترقي التدريجي للبشر إلا المكابر المعاند، ويغنينا عن إثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة، نعم كان لتلك الأمم درجات من المدنية، ولكنها دون مدنية العرب ومدنية الإفرنج بمراحل .

خذ مقياسًا لعقول أمة موسى، كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون، ويعبدون الأصنام، ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح، دين التوحيد والتنزيه، من قديم الزمان إلى وثنية لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء. تلك الوثنية المُشَاهَدَة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها؛ حتى نفرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالإسلام، فظنوا أن جميع الأديان كالنصرانية، فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالإلحاد وما هو إلا ميل الفطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير وبُغْض الشر، فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون، ولكن بعقائد غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح .

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الأولى تَرَ الناس تضاربت عقائدهم وأفكارهم في كافة أصول الدين الأساسية، وكثرت مذاهبُهم فيها، وتعددت ومزجت النصرانية بالفلسفات القديمة مزجًا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها، ولم يرق للناس في تلك الأزمان، لقصر عقولهم، إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل .

وكلما قام فيهم موحد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه، حتى أُريقت دماء العالمين بسبب ذلك ظلمًا وعدوانًا، وتبدل دين المحبة والوفاق إلى بغض وشقاق، وانصدع بنيان الكنيسة المسيحية من قديم الأزمان .

قام أريوس بالتوحيد، ووافقه على ذلك بعض الأساقفة والإمبراطور قسطنطين نفسه، كما قلنا، ثم وجد له من أمم الجرمانيين أتباع عديدون، ولكن ميل جمهور

الناس في ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية حمل أكثر أعضاء مجمع نيقية سنة ٣٢٥م على الحكم عليه بالزندقة والمروق، وتأصلت العداوة بين أتباعه وبين سائر المسيحيين منذ ذلك الحين .

ولما فشت في الناس عبادة الصور والتماثيل، واشتدت حتى صارت جزءًا من الدين قام بعض الناس، ومنهم القياصرة، كليون الثالث لمحقها وسموا إذ ذاك (كاسري التماثيل)

(Iconociasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع؛ فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بحرمانهم ومروقهم .

ولَمَّا اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضًا مضادًّا لهم، وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والإشراك بالله تعالى نهيًا صريحًا لا يقبل التأويل [١] فكان ذلك سببًا آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين .

ولما قام لوثر بالإصلاح البروتستنتي في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين، وخضبت الأرض بدماء الألوف من الأبرياء المصلحين في مثل مذبحة اليهود غينوز (Huguenots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية، ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التثليث منتشرًا بين جميع فرق المسيحيين إلا قليلاً من الموحدين

(Unitanians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية كما أقرتها مجامعهم القديمة التي عليها التعويل في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم .

ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريميين، ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية، وكان الثالوث عندهم مركبًا من الآب والمسيح ومريم على

---

[١]: انظر: (تث ٤: ١٥ - ١٩ و٦: ٤ و١٣: ١ - ٥) .

أنهم ثلاثة آلهة ولا تزال صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يُسجد لها ويتقرب ويصلى لها، ويطلب منها النصارى ما يشتهون، وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن اتخاذها آلهة مع الله تعالى عما يشركون[1]؛ لأن نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله .

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الإسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتعظيم القبور. وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الإصلاح العظيم الذي جاء به الإسلام .

راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية[2]، يتضح لك منه أن الإسلام سابق لكل إصلاح عملي ناجح، فأنَّى لمحمد ذلك لولا وحي الله؟ ولماذا شذ عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الأمم غارقة في عبادة الصور والتماثيل؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب، خصوصًا الذين يزعم المبشرون أنهم معلموه مع أنه هو الذي جاءهم بالإصلاح قبل أن يعرفوه، ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان .

فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لِمَا كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادًا قليلين؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والأكثرين من قومه؟ وذلك منذ طفوليته قبل أن يكون للعقل مجال في

---

[1] : انظر: (سورة المائدة : ٧٣ - ٧٥ و١١٦) .

[2]: يضرب صدقي بكتاب ابن تيمية مثلا، على تخلي الإسلام عن مسألة الوسائطية في التقرب إلى الله، ولم ينفرد ابن تيمية بإبرازها، بل تفرد في غلقها تماما، معتمدا على كثير من الأصول الإسلامية، أما مسألة التقرب بفلان الصالح، أو التوسل، فقد غالى ابن تيمية فيها، وخالف فيها من ينتسب إلى مذهبه، سيدنا الإمام ابن حنبل، فقد ورد عنه ما يخالف ذلك، وقضية التوسل مثار جدل كبير بين التيارين الوهابي السلفي، والصوفي، وكلاهما يستند إلى أدلة، لكن الكفة الراجحة كفة الأدلة الصوفية، لأنها تستند على نصوص صريحة من الكتاب والسنة وأفعال الصحابة والأئمة الذين وصلوا الدين إلى الأمة، كما ترجح كفتهم، لأثر ما يرونه على قلوب المؤمنين وعواطفهم، التي تجد لها مرتعا خصبا في رحابهم، على عكس دعاة التيار السلفي، يصيبونهم بالجفاء والفقر المشاعري؛ ولا يعني هذا تجريح في حقيقة دعوة الوهابيين، بل في مسلكهم لتوصيل مبادئ محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه، فقد كان يحمل همّ أمة كابن تيمية الذي جاهد من أجل نصرة الحق (خ) .

البحث والتفكير .

ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في إصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينيةً كانت أو دنيويةً إصلاحًا عمليًّا وناجحًا؟

فممن تعلم هذه الطرق العملية الناجعة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوع إشارته في كل شيء، فملك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزًا مبينًا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبيين ؟

فإذا كان لوثر وغيره يعد الآن من كبار المصلحين، ألا يُعَدُّ محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطًا بها من جميع الجهات، وأصلح كافة أمور الناس وأحوالهم وأتى بالدين الحق والتوحيد الخالص، ألا يعد هذا أكبر مصلح ظهر على الأرض؟ !

لذلك قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا [1] بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)(الجمعة: ٢-٣) .

وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء: ١٠٧) .

لله الحمد ! قد ظهر في الإفرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به مُحمد عليه السلام، ومنهم من أسلم ظاهرًا وباطنًا بعد أن كانوا يعدونه من أكبر الكذابين والدجالين لكثرة ما افتراه عليه قسيسوهم في تلك العصور المظلمة؛ حتى إنهم ادعوا أن لمحمد صنمًا من ذهب يعبده المسلمون، وهم الذين لا يعبدون

---

[1]: حاشية: قوله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)(الجمعة: ٣) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الأمم الأخرى، فإنهم صاروا من العرب لأن بلادهم صارت بلاد العرب ولغتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم، وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء فهي بشارة بدخول الأمم الأخرى في الإسلام وامتلاك العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنساً وديناً ولغة وعادة .. إلخ، حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الأجناس لأنهم أمة واحدة(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (المؤمنون: ٥٢) صدق الله العظيم .

إلا الله وحده، ويصلون له خمس مرات في كل يوم، ويصيحون باسمه تعالى في كل وادٍ وفي كل مرتفع، ويصومون له شهر رمضان في كل سنة .

الأنبياء الكذبة يُعرفون من ثمرة عملهم، كما قال المسيح عليه السلام [1]، ولا يأتي الشرير بالخير والإصلاح للناس كافة، والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس [2].

فكيف إذًا أيَّد محمدًا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر العجيب السريع الذي لم يعهد له مثيل في التاريخ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه، وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب إليه تعالى كل عمل من أعماله، ولم يكذبه الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين، بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده، وصدقه في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره، وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على ألسنة الملايين من البشر في كل بقعة من الأرض؛ فهل يكون هذا من الكذابين؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدًا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه.

أحصوا الملوك العظماء، والساسة الماهرين، والقواد المحنكين، والخطباء البلغاء، والمنشئين المجيدين، والكتاب المتفننين، والشارعين الحكماء، والوعاظ المؤثرين، والأنبياء، والمصلحين، ومؤسسي الممالك والدول العظام، وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها، مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا .

من منهم كان بعيدًا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئًا بين الواهمين والجهلة المنحرفين والمشركين والوثنيين؟

من منهم كان فقيرًا يتيمًا أميًّا إذا أراد أن يتعلم شيئًا لا يمكنه إلا إذا اختطفه

---

[1]: (متى ٧: ١٦ - ٢٠).

[2] : راجع: (مزمور ١: ٦ و٥: ٦ ، ٣٤: ١٦ ومز ٣٧).

من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسًا دون أن يشعر به أحـد، وإذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولما عرف فيه شيئًا ولما وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس؟ من منهم كان في هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط، ثم أصلح أمة كالأمة العربية وأوجد أمة كالأمة الإسلامية وأسس دولاً كدولها، وأوجد كتابًا كالقرآن وشرعًا ودينًا كالإسلام، وأعجز الناس جميعًا عن القيام بعمل واحد كأعماله، والإتيان بسورة كسور قرآنه، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوًا لا يصل إليه أحد؛ فكان أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشئ وواعظ وأحكم شارع وأشجع قائد وأعظم غازٍ وفاتح وأورع متدين، وأنصح ناصح، وأكبر مرشد للناس في كافة شئونهم الدينية والدنيوية، وأعظم مصلح للأفكار والأخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات وأوسع مؤسس، وأدوم منشئ للدول والممالك .

وهو في كل ذلك لم يتعلم شيئًا يكفي لإزالة جزء من ألف مما حوله من الأوهام والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتمرن قبل النبوة على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل نبغ في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما لزمه شيء من أعبائها وجد نفسه أنه أكبر نابغ فيه، فما هذا العلم في تلك الأمية؟

وما هذا الإصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدًا عن كل نظام ومدنية؟ !

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

تباركت يا الله إنْ هو إلا   وحيك إليه وعونك وتأييدك له

ولولاك يا الله ما قدر على فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد ! !

فإننا نرى الدول الأوربية بخيلها ورَجْلها وعلمها وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدرعاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدعها و .. .. و .. إلخ.

عاجزة كل العجز عن مناوأة دينك، أو صدّ تياره الجارف، أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المترامين في أحضانه من كافة الملل والنحل والأجناس في سائر بقاع الأرض حتى ضج المبشرون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨-٩) .

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني إسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث التي تهم أمتهم، وقلما تجد في كتبهم غير الأنباء عن مستقبلهم إلى يوم القيامة؛ فأنبأوا بحادثة بُخْتَنَصَّرَ وكورش والإسكندر وخلفائه وحوادث أرض أدوم ونينوى وبابل والرومان، وغير ذلك مما تراه مالئًا صفحات العهد العتيق، ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم، وقد أخبر المسيح عليه السلام تفصيلاً عن خراب أورشليم، وما سيحدث لليهود، فيبعد كل البعد أن يخبر هؤلاء الأنبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم، ولها أكبر علاقة باليهود والنصارى وهي: ظهور مُحمد صلى الله عليه وسلم .

الذي زلزل أمم الأرض زلزالاً، وأوجد أمة ملأت العالم علمًا وحكمة وعدلاً ودينًا، وعمرت أورشليم وأعادت إليها عبادة الله تعالى بدون شرك أو تشبيه، وأتى بدين لا يزال مالكًا قلوب الملايين من بني البشر، وهو الدين الوحيد الذي ناهض ويناهض المسيحية في جميع البلاد إلى اليوم، وآوى اليهود وحماهم واكتسح الوثنية أمامه، وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ يعمل عمله في العالم الجديد، وحارب النصرانية وغلبها قرونًا طويلة، ونشر العلم والفلسفة بينهم، ونبههم إلى إصلاح دينهم بعد أن كانوا غارقين في الأوهام والخرافات أجيالاً عديدة، فهل يعقل أن يترك الأنبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لا يكاد يذكر بجانبها؟

الحق نقول: إن الأنبياء ما تركوا ذلك بل أخبروا به إجمالاً وتفصيلاً، كما ستعلم، منذ الأزمنة القديمة، ولكن أهل الكتاب يكابرون .

ومع أن كتبهم محرفة وفاسدة كما بينا لكنها لا تزال تشتمل على كثير من بشائر

محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أننا بينا هنا أن كثيرًا مما يدعونه في حق المسيح إنما هو في حق محمد صلى الله عليهما وسلم، وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بختم الرؤيا والنبوة هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون .

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لإخبار أهل الكتاب إياهم بذلك، وإخبار زعمائهم وأساقفتهم وكهنتهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسَطيح وبحيرا وورقة بن نوفل، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب، ولولا ذلك ما قال القرآن: (وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) (البقرة: ٨٩) .

وإلا لكذبه الناس في هذه الآية، ولقالوا له: ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يعرفك أحد .

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود: (لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ....، الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) (متى ٢٣: ٣٤ - ٣٦) .

أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤، ٢٩، ٣٤) (وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه { إلى قوله } لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) .

فكيف إذًا يقولون: إن الرؤيا والنبوة ختمت به؛ وهو يقول: إنها لم تختم بعد، وإنه سيرسل إليهم أنبياء؟

وكيف يدعون أن الحواريين أنبياء نزل عليهم الروح القدس، وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم: إن الرؤيا والنبوة ختمت به؟

فما هذا التناقض يا قوم وأين عقولكم؟

هذا؛ واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير

القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لا يسلمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحًا في عدة مواضع، وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقًا عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح، لابن تيمية) الذي نقل عن أشعيا و حبقوق التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنَّ ذلك غير موجود الآن فيها، فيحتمل أنهم محوه منها ، ومن تذكر قلة النسخ في تلك الأزمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل كما يظهر ذلك من الفصل السابق، وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع، لا يستبعد أنهم محوه من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج .

وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذي أسلموا قديمًا، وكانوا قد عثروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الإسلامية القديمة، وعثورهم على هذا التحريف كان اتفاقًا؛ لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب العهدين، وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي كان محفوظًا في الصدور، ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رئاسة دينية عندنا، ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الأزمنة، بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين .

ولذلك كان عند المسلمين علم النقد العالي (في الحديث) الذي لم يُعرف بين الأوروبيين وغيرهم إلا اليوم، والذي أصبحوا يفخرون به علينا، ونسوا ماضيهم المظلم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأنا في هذا الفصل لا أريد أن أستشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحةً، بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جَلِيٌّ من كتبهم الحالية .

البشارة الأولى:

جاء في سفر التثنية ما يأتي: (يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من

إخوتك مثلي له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى؛ فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه)[1].

فهذه البشارة صريحة جدًّا في مُحمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يقم نبي مثل موسى ومن وسط اليهود ومن إخوتهم (بني إسماعيل)[2] غيره وكان أُمِّيًّا يُوحَى إليه القرآنُ، فيحفظه ويبلغه للناس مصداقًا لقوله: (أجعل كلامي في فمه) وكان مأمورًا بجهاد أعدائه، فانتقم الله له ممن لم يسمع كلامه منهم وحفظه الله تعالى، فلم يقتله أحد، وصدقه فيما أخبر به عنه بوقوعه وحدوثه، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الشريف كانتصار الروم على الفرس، ونصر المؤمنين على الكفار في نفس ذلك اليوم (سورة ٣٠: ١-٦) ودخول المسلمين مكة بعدما طردوا منها (٤٨: ٢٧) وارتداد بعض الناس بعد النبي (٥: ٥٤) وانغلاب المشركين وانهزامهم (٥٤: ٤٤ و٤٥) وحفظ النبي وعصمته من أعدائه وإهلاك المستهزئين به (٢: ١٣٧ و١٥: ٩٤-٩٦ و٥: ٦٧) واستخلاف المؤمنين في الأرض

---

[1]: انظر: (١٨: ١٥-٢٢).

[2] : لأن العم كالأب تماماً فأبناؤه يسمون بلا شك أخوة لهم { راجع شواهد ذلك فيما سبق } ومن ذلك تسمية أبناء عمهم عيسو إخوة لهم كما في (تث ٢: ٤ و٨) ولو كان المراد بهذه البشارة المسيح لقال: أقيمه منكم أو من نسلكم أو من بينكم لا من إخوتكم .

(أي جعلهم خلفاءَ) وتمكين الدين لهم ، وإسكانهم فيها آمنين مطمئنين بعد الضعف والخوف الشديد (٢٤: ٥٥) وإخباره بحفظ القرآن من الضياع ومن التحريف والتبديل

(١٥: ٩) وبعجز العرب وغيرهم عن الإتيان بسورة واحدة مثل سوره (٢: ٢٣ و٢٤ و١٧: ٨٨) وبتمام دينه قبل موته ، وظهوره على غيره وبقائه إلى يوم القيامة (٩: ٣٢ و٣٣) وبظهور الدلائل الكونية في العلوم الحديثة، وغيرها التي تؤيّد نصوص دينه (٤١: ٥٣) وإخباره بدعوة المخلفين من الأعراب إلى حرب بعد وفاته (٩: ٨٣ قارنها بسورة ٤٨: ١٦) وتبشيره المؤمنين بالنصر في واقعة معينة عندهم (هي خيبر) وأخذهم الغنائم الكثيرة منها ، فكان ذلك مع أنهم سبق لهم الانكسار في بعض وقائع سابقة غير هذه (٤٨: ١٨-٢٢) والإخبار بأن النبي سيبقى نسله، وأما مُبغضه (وهو شخص معين: اسمه العاص بن وائل) فسيكون أبتر (سورة ١٠٨) وإخباره بتجنس الأمم بالجنسية العربية كما سبق: ٦٢: ٣ .

(إلى غير ذلك مما أنبأ به قبل وقوعه وصدقه الله فيه هذا عدا ما في أحاديثه من المغيبات العجيبة العديدة (ما مر من الأرقام هو لسور وآيات قرآنية).

ومن كان محبًّا للبحث والاطلاع فعليه بكتاب (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين) يجد من ذلك شيئًا كثيرًا .

والأحاديث الإسلامية هي أصح من غيرها لقرب عهدها ، وكثرة رواتها ، وعدم انقطاع سندها بحوادث جارفة ، أو ارتداد عام كما حصل لليهود والنصارى في أزمنة اضطهاداتهما ، ولكون المسلمين في تلك الأزمنة كانوا ممتازين عن غيرهم بالعلم والعرفان والقوة والحياة حتى وجد بينهم علم النقد العالي في الحديث والتمحيص الدقيق فيه قبل أن تعرف ذلك أمة من أمم العالم قاطبة .

وكان فيهم ألوف من العلماء المحققين منذ نشأتهم، وكان العلم والكتب منتشرة بين عامتهم، ولم توجد عندهم رئاسة دينية تحظر عليهم الاطلاع بأنفسهم على كتبهم الدينية كما كان عند النصارى قبل الإصلاح البروتستنتي؛ ولذلك قال

بعض علماء الإفرنج:

إن الإسلام هو الدين التاريخي الوحيد يعني: أصح الأديان من الوجهة التاريخية.

وإنما قلنا: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قام من وسط اليهود؛ لأن المدينة التي فيها عظُم أمره وكمُل شأنه وتم دينه كانت محاطة بأراضي اليهود كأهل خيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم، وهي التي تحصن فيها كثير منهم بعد حادث طيطس الروماني .

وكان اليهود في زمن المسيح عليه السلام ينتظرون نبيًّا آخر غير المسيح، بشرهم موسى عليه السلام به كما يدل على ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا (١: ١٩-٢٥) (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؛ فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا .

النبي أنت؟ فأجاب لا { إلى قوله }: فسألوه، وقالوا له: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي) .

فمرادهم بالنبي هنا هو المذكور في سِفر التثنية وهم كانوا يفهمون من كتبهم أنه غير المسيح فلذا سألوا ما سألوا .

وجاء في سفر الأعمال أن بطرس قال: (فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرَج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم من قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر، فإن موسى قال للآباء: إن نبيًّا مثلي يقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به) [1].

فأزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم الأنبياء جميعًا هي أزمنة مُحمد صلى الله عليه وسلم التي فيها يبقى المسيح في السماء على قولهم حتى تنتهي .

---

[1] : (أعمال ٣: ١٩ -٢٢).

ولا يصح أن تكون عبارة موسى هذه بُشرى بمجيء المسيح الأخير، فإن هذا المجيء هو الدينونة والجزاء كما يزعمون .

وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم تشبه شريعة موسى؛ فلذا سمى أزمنته: أزمنة رد كل شيء .

فكأن الشريعة العيسوية كانت تمهيدًا لإتيان الشريعة المحمدية الكاملة التي تشمل العدل والفضل وردَّت الدين إلى رونقه القديم رونق التوحيد والتنزيه والأحكام الإلهية بعد أن شوهوه بالشرك والتشبيه والإباحة ونقضهم ناموس موسى كما بيَّنَّا .

البشارة الثانية:

بشارة عيسى عليه السلام بالفارقليط، وهي مشهورة في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، ومن شاء زيادة إيضاح فعليه بكتاب (إظهار الحق) (١ يو ١٤: ١٥ - ١٨ و١٥: ٢٦ و ٢٧ و١٦: ١٢ - ١٦) .

وإنما لنا هنا كلمة عن الفارقليط وهي:

هذا اللفظ يوناني، ويكتب بالإنكليزية هكذا (Paraclete) بارَقليط أي (المُعزِّي) ويتضمن أيضًا معنى المحاجّ كما قال بوست في قاموسه، وهناك لفظ آخر يكتب هكذا

(Periclyte) ومعناه رفيع المقام .

سام. جليل. مجيد. شهير .

وهي كلها معان تقرب من معنى محمد وأحمد ومحمود .

ولا يخفى أن المسيح كان يتكلم بالعبرية فلا ندري ماذا كان اللفظ الذي نطق به عليه السلام، ولا ندري إن كانت ترجمة مؤلف هذا الإنجيل له بلفظ (Paraclete) صحيحة أو خطأ، ولا ندري إن كان هذا اللفظ (Paraclete) هو الذي ترجم به من قبل أم لا؟ ؟

لأننا نعلم أن كثيرًا من الألفاظ والعبارات وقع فيها التحريف من الكتّاب سهوًا أو قصدًا كما اعترفوا به [1] ،

في جميع كتب العهدين فإذا كان اللفظ الأصلي (Periclyte) بيرقليط فلا يبعد أنه تحرف عمدًا أو سهوًا إلى (Paraclete) بارقليط حتى يُبعدوه عن معنى اسم النبي صلى الله عليه وسلم مما يسهل عليهم ذلك تشابه أحرف هذه الكلمة في اللغة اليونانية .

وعلى كل حال فسواء كان هو (Paraclete) بارقليط أو (Periclyte) فمعنى كل منهما ينطبق على مُحمد صلى الله عليه وسلم فهو مُعزٍّ للمؤمنين على عدم إيمان الكافرين وعلى وجود الشر في هذا العالم بإيضاح أن هذه هي إرادة الله لحكمة يعلمها هو، ومُعزٍّ أيضًا للمصابين والمرضى والفقراء وغيرهم بعقيدة البعث والقيامة.

وهو صلى الله عليه وسلم كان يُحاجج الكفار والمشركين وغيرهم، إذا كان معناه المحاجّ، كما قال بوست .

وهو شهير سامٍ جليل مجيد إذا كان اللفظ الأصلي بيرقليط والعبارات الواردة في إنجيل يوحنا في هذه المسألة لا تنطبق إلا على محمد عليه السلام كما بين ذلك صاحب كتاب إظهار الحق ومؤلف كتاب (فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام) وكما أشرنا إلى ذلك .

ومملكة محمد هي مملكة الله في الأرض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله وبملكوت السماوات، وكان المسيح عليه السلام وتلاميذه يبشرون الناس دائمًا بقرب مجيئها وأمر عليه السلام النصارى أن يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم [2].

وهذه المملكة هي التي بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم؛

---

[1]: راجع: (الفصل الثالث من الكتاب) .

[2]: انظر: (متّى ٣: ٢ و٤: ١٧ و٢٣ و٢٣ و٦: ٣١ و٣٢ و٢٠: ١ - ١٦ و٢١: ٣٣ - ٤٤ لوقا ١٠: ٩ و١١).

ولذلك شبهها عيسى عليه السلام بالزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل التي تصير أكبر البقول؛ حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها (متَّى ١٣: ٢٤ - ٣٥)

ولذلك قال القرآن الشريف في محمد وأتباعه: (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ...) الآية [١].

وهم الآخرون الذين صاروا أولين، كما قال المسيح (متى ٢٠: ١٦) .

وقال مُحمد صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون السابقون) .

وهم الأمة التي أعطي لها (ملكوت الله) ورئيسهم محمد هو (رأس الزاوية والحجر الذي من سقط عليه سُحق) (متى ٢١: ٤٢ ومز ١١٨: ٢٣) .

لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا من بني إسماعيل، وهم نسل الجارية (تك ٢١: ١٣) المحتقرون عند اليهود، ولكن الله باركهم وكثرهم جدًّا حتى ملأوا الأرض وفتحوها وصاروا لا يُعَدون من الكثرة كما قال ملاك الرب لهاجر (تك ١٦: ١٠) .

ولم يجعل الله لأولاد الحرة (سارة) فضلاً عليهم، وأما العهد الذي جعله تعالى لأولادها (تك ١٧: ٢١) [٢] فهو: إعطاؤهم أرض كنعان؛ فإنه تعالى كتبها لهم، كما قال القرآن الشريف (٥: ٢١) راجع أيضًا (تك ١٧: ٨) .

وقال في سِفر الخروج(٦: ٤): (وأيضًا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها) .

وقال في مزمور(١٠٥: ٨ - ١١): (ذكر إلى الدهر عهده .. .. الذي عاهد به إبراهيم وقسمه لإسحاق فثبته ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهدًا أبديًّا قائلاً: لك

---

[١]: راجع: (سورة الفتح ٤٨: ٢٩).

[٢]: حاشية: الأصل العبري لعبارة التكوين (١٧: ٢١) وعهدي أقيمه مع إسحاق، فزاد النصارى في تراجمهم لفظ (لكن) تحريفاً منهم .

أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم) .

فلولا محمد صلى الله وسلم لما كان لبني إسماعيل (العرب) شأن يذكر في العالم مع أن الله وعد أن يجعلهم أمة كبيرة عظيمة (تك ١٧: ٢٠ و٢١: ١٧) فبمُحمد وحده تحقق هذا الوعد وصاروا أمة أخضعت العالم كله لها ونشرت فيه الدين الحق والعلم والمدنية الصحيحة، ولا يزالون إلى الآن من أكثر أمم الأرض حتى صاروا بعد الإسلام لا يعدون من الكثرة كما بشر الملاك هاجر بذلك (تك ١٦: ١٠) على ما تقدم .

وبذلك ظهر صدق هذا الوعد الإلهي بأكمل مظاهره، وأما قبله عليه السلام فلم يكن أحد يسمع عن العرب (بني إسماعيل) شيئًا يُعبأ به أو عملاً يُلتفت إليه .

فقارن حالتهم قبل الإسلام وبعده تتضح لك صحة هذه الأقوال الواردة عنهم في سفر التكوين من قديم الزمان، فقد باركهم الله تعالى بمحمد وكثَّرهم وجعلهم أمة كبيرة كما وعد

(تك ١٧: ٢٠) وكان لهم مُلك جليل واسع كما في الإنجيل يزينه ذكر الله تعالى وحده، ومن أنكر تفسيرنا هذا فليأتنا بغيره بحيث يكون شافيًا لعلّته راويًا لغلته، كهذا التفسير الصحيح الذي ذكرناه هنا، وإلا فليترك المكابرة وليعترف بالحق فإن الحق خير وأبقى .

البشارة الثالثة:

قال حجي(٢: ٦ -٩):(لأنه هكذا قال رب الجنود. هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي (مشتهى) كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود، لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام بقول رب الجنود) .

وسبق أننا قلنا: إن كلمة (مشتهى) هنا بالعبرية (حمدوت) [1]

أي: محمود كل الأمم، وهذا صريح في محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ينطبق على أحد سواه، وفي قوله: أعطي السلام إشارة لتحية المسلمين، وهي: (السلام عليكم) التي كانوا يقولونها للناس بعد أن عمروا بيت أورشليم في زمن عمر رضي الله عنه وأعادوا إليه مجدًا أعظم من مجده الأول، حتى صار يعظمه اليهود والنصارى والمسلمون الذين عاشوا حوله معًا في أمنٍ وسلام في حِمَى الإسلام ويفِدون عليه من جميع الجهات مع اختلافهم في الدين والمعتقدات لزيارته وتكريمه إلى اليوم.

فلا شك أن هذا البيت الأخير صار منذ أن أحياه المسلمون وعمّروه أعظم من البيت الأول وخصوصًا في زمن عظمة الدول الإسلامية .

أما في زمن المسيح عليه السلام فلم يزدد قدره عما كان عليه قبل مجيئه عليه السلام بل كان يقينًا أقل من البيت الأول ثم خرب بعده بقليل ودُمِّر حتى لم يبق فيه حجر على حجر ثم جاء النصارى فزادوا في إهانته وتحقيره بإلقاء القاذروات فيه وتنجيسه عنادًا لليهود حتى طهره المسلمون وبنوه وزينوه فصار في عهدهم كعبة يقصده الناس من جميع أقطار الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم

---

[1]: حاشية: في النسخ العبرية الحالية المشكولة تجد الترجمة الحرفية لهذا النص هكذا :
(وأحمد كل الأمم يأتون) بالجمع في فعل يأتون، وبتأنيث كلمة أحمد أو محمود، ولكن النصارى فهموا أن المراد بهذه العبارة المفرد المذكر كما فهمنا، ولذلك ترجموها (ويأتي مشتهى كل الأمم) والفرق بين لفظ (حمد-وت) المذكر، ولفظ (حمدات) المؤنث ليس في الحروف، وإنما هو في الحركات (أي الشكل) فقط والحروف في الكلمتين واحدة، وهذا الشكل ليس قديماً بل وضعته لجنة من اليهود في طبرية وفي سورة في وادي الفرات وهي التي جمعت النسخ العبرانية للعهد القديم من القرن السادس إلى الثاني عشر للميلاد فيحتمل أنهم حرفوا هذا النص بالشكل حينما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم لكيلا ينطبق عليه ومع ذلك إذا سلم النص العبري كما شكلته اليهود كان المراد به الأمة المحمدية وهي الأمة المحمودة عند جميع الأمم والملل والنحل الذين دانوا لها واعتنقوا دينها واهتدوا بهديها حتى فاقوا العالمين في كل شيء وسواء عندنا أينطبق هذا النص على محمد أم على أمته كما لا يخفى .

ومذاهبهم مع الأمن والسلام كما قال (حجي) .

فهل رأى البيت مجدًا وإجماعًا على تعظيمه كالذي رآه في زمن الإسلام؟

وقول حجي: (أزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم) إشارة إلى حروب المسلمين وانتصاراتهم السريعة الباهرة على الظالمين وإنقاذهم اليهود من ظلم المسيحيين وتأمينهم لهم في أورشليم، ثم بعد ذلك أعطوا السلام للناس جميعًا الذين يقصدون البيت من جميع الأمم ومن سائر البقاع .

أما المسيح فلم يزلزل السماوات والأرض والبحار والأمم بل أُهين وصُلب وقُتل، على زعمهم، ولم يعط السلام في البيت بل أعطى بعده الحرب والطعان والتخريب وإهراق الدماء، وهو الذي بشَّر اليهود بذلك كله (مت ٢٤: ٢) .

فكيف تصح هذه العبارات في المسيح مع أن ظهورها وصراحتها في محمد (أو محمود) صلى الله عليه وسلم، وأمته كالشمس في رابعة النهار ؟!

فهم الذين أحيوا البيت وعمروه ومجدوه إلى اليوم .

وقوله(٢: ٩): (وفي هذا المكان أعطي السلام) قد تحقق تحققًا تامًّا بمجيء عمر رضي الله عنه بنفسه إلى أورشليم بعد الحصار وتأمين أهلها وعقده شروط الصلح معهم، وبذلك خضعوا وسلموا بدون سفك دم وأعطاهم عمر السلَم والأمان وفُتحت المدينة بالصلح لا بالحرب، كما قال رب الجنود، مع أن المسلمين زلزلوا الأمم الأخرى والأرض والجبال .

فإن قالوا: إن قول حجي(٢: ٩)(مجد هذا البيت الأخير) يشعر بأن مراده الكلام على البيت الذي كان في عصره وهو كان قد تخرَّب قبل مجيء الإسلام .

قلت: وهو أيضًا كان تخرب قبل مجيء عيسى عليه السلام فرمّمه هيرودس الأكبر، بل قال يوسيفوس: (إن هيرودس نقضه وبنى هيكلاً أجمل وأكبر منه) .

فمراد حجي أن المجد الذي سيكون لهذا البيت في أيامه الأخيرة سيكون أعظم من مجد البيت الأول الذي بناه سليمان؛ ولذلك تُرجمت هذه العبارة في النسخة السبعينية هكذا :

(المجد الأخير لهذا البيت يكون أعظم من مجد الأول) فمجده الأخير هو هذا الذي كان في زمن المسلمين وهو آخر الزمان .

ويمكن أيضًا اعتبار البيت بيتين:

١ - البيت الأول من زمن سليمان إلى أن خرَّبه بُخْتنصر أي البيت الذي كان موجودًا في زمن دولة اليهود وعظمتها واستقلالها، وزمن عزهم الذي ذهب به بختنصر ومحاه محوًا تامًّا .

٢ - البيت الثاني الذي وجد بعد السَّبْي وبعد زوال دولة اليهود وعزهم واستقلالهم إلى اليوم .

فالأول بيت العز والقوة، والثاني بيت الذل والضعف، وهذا البيت الأخير قد طرأت عليه عدة تغيرات كبيرة فأصلحه هيرودس (أو بناه بعد أن نقضه) ثم خربه الرومان ودمروه، ثم بناه المسلمون وعمروه وأحيوه إلى اليوم .

فمراد حجي بالبيت الأخير هو غير بيت سليمان، وهو الذي كان لهم في زمن ضعفهم وزوال عزهم وذهاب استقلالهم ثم تشتتهم .

وهذا البيت الأخير قد صار مع ذلك في زمن عظمة الإسلام ودوله أعظم من بيت سليمان، فإن ملك المسلمين كان أكبر وأفخم وأبهى وأمجد وأعم من ملك اليهود، وكان الناس في زمنهم ولا يزالون يقصدون هذا البيت من جميع أقطار الأرض على اختلاف مللهم ولغاتهم ونحلهم كما قلنا .

البشارة الرابعة :

قال حبقوق(٣: ٣-٧) (الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه .

جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور .

له من يده شعاع وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم .

مسالك الأزل له، رأيت خيام كوشان تحت بلية رجفت شقق أرض مديان ..

إلخ).

فتيمان هي بلاد العرب، ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية؛ لأنها جنوب بلاد الشام ولا يزال إلى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء) ومعنى هذه الكلمة أيضًا الصحراء الجنوبية .

وتيماء أيضًا اسم قبيلة إسماعيلية تسلسلت من تيماء وكانت تقطن بلاد العرب (تك ٢٥: ١٥ و١ أي ١: ٣٠) كما في قاموس الكتاب المقدس العربي .

أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها إسماعيل أبو العرب (٢١: ٢١) فكأن حبقوق أشار بعبارته هذه إلى مسكن رسول الله وهو بلاد العرب (أو التيمان) وإلى مسكن أصله أوجده إسماعيل وهو برية فاران، وهي في شمال برية سيناء على ما يقولون .

هذا واعلم أنه لا يوجد في القرآن الشريف ما يدل على أن إسماعيل أقام بمكة بل الظاهر منه أنه ذهب إلى هناك مع أبيه لبناء الكعبة، وأما الذين سكنوا حولها فهم بعض أولاده؛ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِيتي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ربنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (إبراهيم: ٣٧) .

فولد الإنسان لا يسمى عادة ذريته وجمعهم هنا أيضًا يدل على أنهم كانوا أكثر من واحد فهم أولاد إسماعيل .. أما عدم ذكر بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة في تواريخ اليهود :

(سفر التكوين) فهو إما لأنهم نسوا تاريخ إسماعيل لعدم اهتمامهم به وبأولاده، ولذلك لم يذكروا عنهم شيئًا في كتبهم إلا قليلاً .

وإما لأنهم لا يريدون أن يعترفوا بأي فضل أو مزية لغيرهم عليهم لاعتقادهم أنهم وحدهم شعب الله المكرمين وأنه لم يعتن بأحد سواهم ولنرجع لما كنا فيه: أما كوشان فهو ملك كوش وهي بلاد السودان والحبشة .

ومديان هي الأرض التي تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى الفرات والمعنى أن سكان

هذه الجهات المشهورين بالقوة والشجاعة ترتجف أمام النبي وتخضع له .

ولفظ كوش كان يطلق أيضًا أحيانًا على جميع أفريقية الواقعة جنوبي مصر .

وقد انتشر الإسلام في أفريقية أكثر من انتشاره في القارات الأخرى وبسرعة عجيبة، فهذه البشارة لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي ملأ الأرض بحمد الله وتسبيحه والصلوات له كثيرًا ودانت له ملوك أفريقية وغيرها وخرج من بلاد العرب، وكان من نسل إسماعيل .

ولعل في قوله (٣: ٥) : (قدامه ذهب الوباء وعند رجليه قد خرجت الحمى) إشارة إلى الطاعون الذي ظهر في بلاد الشام في زمن عمر رضي الله عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه به كما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل .

البشارة الخامسة:

قال أشعياء (٤٢: ١-١٣): (هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمَع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته .. ... إلى قوله .. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقاصي الأرض .

أيها المنحدرون في البحر وماؤه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه) .

وهذه العبارات تشير صريحًا إلى الحج والتلبية من فوق جبل عرفات .

وقوله: (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب) إشارة إلى غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

---

[1]: حاشية: يشمئز النصارى من ذِكر القتال في القرآن ولا يشمئزون من قول الله تعالى لموسى: (تث ٢٠: ١٠-١٦) (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا

دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبْقِ منها نسمة ما) وقد عمل بنو إسرائيل بهذه الأوامر كما يتضح لك من سفر يشوع خليفة موسى وغيره (إصحاح ١٠ و١١) فمثلاً ورد في هذا السفر قوله (١٠: ٢٦) :(وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء) وقوله (١١: ١١) (وضربوا كل نفس بها بحد السيف حرقوهم ولم تَبْقَ نسمة وأحرق خاصور بالنار ١٢ فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملكهم وضربهم بحد السيف حرقهم كما أمر موسى عبد الرب إلى قوله ١٤ وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم وأما الرجال فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أبادوهم ولم يبقوا نسمة) وجاء أيضًا في سفر صموئيل الثاني(١٢: ٣١)أن داود النبي (أخرج الشعب ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمرَّهم (أي: سيرهم) في أتون الآجرّ وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون وكذلك قال في سفر أخبار الآباء الأول: إنه نشر أسرى بني عمون هؤلاء بمناشير ونوارج حديد وفئوس كما في الإصحاح العشرين منه (عدد ٣) ولم يرد في كتابهم المقدس أن الله تعالى أنكر عليه ذلك أو زجره عن فعله هذا الفظيع وعاقبه عليه بل الكتاب كله مملوء بالثناء على داود وعده من الأبرار الأطهار، نعم ورد فيه شيء من اللوم لداود، ولكنه بسيط وعاد في سفكه الدماء، وليس خاصًا بهذه الحادثه القاسية كما في سفر أخبار الأيام الأول (٢٠: ٨) ولو جاز قول النصارى: إن ما ذكر كناية عن إذلال داود لهم وتعذيبهم بالأشغال الشاقة لجاز لقائل أن يقول: إن قصة صلب عيسى وقيامته من الموت كناية أيضًا عن إيذاء اليهود واضطهادهم له ورفضه ثم نجاته من كيدهم وانتصاره عليهم وارتفاع شأنه وعظم أمره فهل يسلّم النصارى بهذا التأويل وهو مثل تأويلهم لقصة داود هذه من كل وجه؟ ولم لا يقبلون من الناس ما يقبله الناس منهم؟ فانظر إلى مقدار تعسفهم وتكلفهم في التأويلات كما هو شأنهم في أكثر مسائل دينهم ولكنهم لا يبالون ! ! وكذلك ذبح إيليا أنبياء البعل وهم ٤٥٠ رجلاً (١ مل ١٨: ٢٢ و٤٠) وأما كون المسيح عليه السلام لم يعمل شيئاً فهو لاختلاف الأحوال والظروف في زمنه؛ إذ لم يكن له من القوة الحربية ما يكفي للتغلب على أعدائه من اليهود والرومان فلذا كان طريق المسالمة خيرًا له ولأتباعه فاختلفت الأحكام في زمنه عما كان في زمن موسى وخلفائه لاختلاف الأحوال ومع ضعفه هذا وكثرة دعوته للسلم والصفح والعفو قال كما في إنجيل متى ١٠: ٣٤ (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥ فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته) ولا ندري لو كان بلغ من القوة والسلطان ما بلغه موسى وداود ومحمد عليهم السلام، ماذا تكون أقواله وأفعاله ! ! ومع تأويل النصارى لهذه العبارة وقت الجدل الديني وقولهم لمحاجيهم: إن دينهم لم يأمرهم إلا بالعفو والصفح ومحبة الأعداء - لا تجد أمة من أمم الأرض ارتكبت مثل ما ارتكبوه من المظالم والحروب وسفك الدماء وقتل الأبرياء واضطهاد الناس في دينهم وإكراههم على المسيحية وإحراقهم بالنيران وتمزيق أجسامهم وغير ذلك من الفظائع التي تشيب لها الولدان ولا ينكرها تاريخ من تواريخهم، فمنذ زمن قسطنطين حيث صارت لهم دولة وقوة إلى اليوم، لا تجد في الغالب زمناً خالياً من تعديهم على

والبرية التي سكنها قيدار هي بلاد العرب فإن قيدار هو ابن إسماعيل (تك ٢٥: ١٣) وكانت مساكن أولاد إسماعيل من حويلة إلى شور التي أمام مصر (تك ٢٥: ١٨) وحويلة هي اليمن كما في قواميسهم .

وسالع معناها الصخرة، ولذلك ترجمت الكاثوليك العبارة هكذا (ولتترنم سكان الصخرة) ومثلها في الترجمة الإنكليزية .

وفي المدينة المنورة جبل يسمى (سلع) أما سالع المسماة (بطرة) وهي التي بين خليج العقبة والبحر الميت فكانت تعرف في زمن أشعياء النبي (بيقتئيل) الذي سماها به (أمصيا) ملك يهوذا (٢ مل ١٤: ٧) وإذا كان المراد بسالع هنا (جبل المدينة) أو (بطرة) فعلى حد سواء لأن بطرة هذه أخذها المسلمون، وكانت تأتي منها الناس للحج أيضًا مع المنحدرين في البحر، ومع سكان الجزائر وغيرها .

فأي وصف لحج المسلمين بيت الله (الكعبة) أصرح من هذا؟

ومن راجع الإصحاح الرابع والخمسين وجد أن أشعياء يخاطب به مكة المكرمة خطابًا ظاهرًا لا ينطبق إلا عليها [1].

البشارة السادسة :

جاء في سِفر التكوين أن يعقوب جمع بنيه وأخبرهم بما سيحدث لهم في آخر الزمان

(٤٩: ١) ثم قال في شأن يهوذا (٤٩: ١٠) (لا يزول قضيب) أي صولجان الملك (من يهوذا ومشترع) أي شارع (من بين رجليه حتى يأتي (شيلون) [2]وله يكون

الضعفاء وظلمهم وخضبهم الأرض بالدماء الطاهرة وتفننهم في اختراع الآلات المدمرة، وكان ذلك في أكثر الأوقات برضا رؤساء الدين وإقرارهم بل وأمرهم به أحياناً ولا تسمع منهم التحدث بحلم المسيحية وسماحتها في وقت ضعفهم أو في وقت المجادلات الدينية فقط فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[1]: راجع: (كتاب إظهار الحق لتوضيح هذه البشارات) .

[2]: أجيز لنفسي هنا أن أقتبس نص المحاولة الجديدة لدراسة هذا النص التوراتي، والتي قام بها العلامة سامي البدري، ليتمكن القارئ من متابعة القضية، ولكي يقف على ما ذكرته في مقدمتي لكتابنا هذا، يقول العلامة سامي البدري:

المحاولة التي نقدمها هنا ونبدأ فيها من الاحتمال الثالث الذي اثاره العلامة عبد الاحد وهو ان تكون لفظة (שילוה) (شيلوه) محرفة من (שלוח) (شلوح).

ثم من اللفظة (יקהת) (يقهت) التي تعني (يطيع)، وكونها محرفة عن كلمة (יקוה) (يقوه) التي تعني (يتوقع وينتظر) واختار العلامة عبد الاحد القراءة الاولى السائدة للنص فعلا وهي (يقهت) بمعنى يطيع ولم يعر اهمية للقراءة الثانية المحتملة ومعناها وهي (يقوه) التي تعني ينتظر.

الترجمة العربية للأصل اللاتيني : هناك ترجمة عربية للعهد القديم (١) طبعت سنة ١٧٥٣ م في مطبعة (ملاك روتيلي)، وقد جاء فيها النص متطابقا مع الاحتمال الثالث الذي احتمله العلامة عبد الأحد في لفظة (شيلوه) أي كونها محرفة عن لفظة (الرسول) وايضا متطابقا مع القراءة الثانية المحتملة للفظة أي (يقوه) التي تعني (الانتظار) والتي اغفلها في دراسته .

ففي الصفحة ٦٦-٦٧ نجد النص كما يلي: (لا يزول القضيب من يهوذا ولا القائد من فخذه، حتى يأتي المُزمَعْ ان يرسل، وهو يكون انتظار الامم).

ومراده بـ(المزمع ان يرسل): الرسول الذي يراد ارساله، او الرسول الموعود (٢) .

وهذه الترجمة العربية المهملة والمنسية هي ترجمة حرفية للترجمة اللاتينية المنتشرة الى اليوم عند اتباع الكنيسة الكاثوليكية وهي الترجمة المعروفة بـ(الفولكات The Latin Vulgate)، وقد قام بها (اوسيبيوس ايرونيموس) (Eusebis Hieronymus) الذي عرف باسم (جيروم) (Jerome) (٣٤٠-٤٢٠ م) وكان البابا (دماسيوس) (Damasus) قد كلفه بتنقيح الكتاب المقدس .

وكان (جيروم) اعظم علماء المسيحيين في عصره، اتم مراجعته للترجمة اللاتينية للإنجيلِ حوالي ٣٨٣، و بعدها قدّم ترجمات لاتينية جديدة من (المزامير) وكتاب (ايوبِ)، وبعض الكتبِ الأخرىِ معتمدا على الترجمة الاغريقية المعروفة بالـ(سبتوجنتا)(٣) ثم لاحظ ان الترجمة الاغريقية غير مقنعة/ لأنها كانت ترجمة بالمعنى في كثير من الموارد؛ لذلك اتجه الى الاصل العبري لتكون الترجمة منه مباشرة واستعان ببعض الاساتذة اليهود في تلك المهمة (٤)، وكان قد بدأ عمله في فلسطين سنة ٣٩٠ م وانتهى منه سنة ٤٠٥ م (٥)، اي قبل بعثة النبي محمد (ص) بقرنين من الزمن تقريبا وبعد اربعة قرون من بعثة عيسى (ع) تقريبا.

والنص اللاتيني في الفولكاتا هو :

Non aufertum sceptrum de Juda ,
et dux de femore ejus
donec veniat qui mittendus est ,
erit expectatio gentium , et ipce (٦) .

ومن الغريب ان لا يلتفت العلامة عبد الاحد الى ذلك وبخاصة وهو مطلع على نسخة (الفولكاتا) وقد ذكرها في كتابه في اكثر من مورد.

وعلى كل حال تسهيلا للبحث في النص نقسمه الى فقرتين:

الفقرة (أ) :

لا يزول القضيب من يهوذا ولا مشترع من فخذه.

Non auferturn sceptrum de Juda .
dux de femore ejus ,

الفقرة (ب) :

حتى يأتي المُزمَع ان يرسل.

donec veniat qui mittendus est .

وهو يكون انتظار الامم.

et ipce erit expectatio gentium .

ونحن نفضل البدء بدراسة الفقرة (ب) ثم نتحدث بعد ذلك عن الفقرة (أ) .

الفقرة (ب) من النص

(حتى يأتي المُزمَع ان يرسل وهو يكون انتظار الامم)

ذكروا: ان جيروم صاحب ترجمة (الفولكات) اعتمد الاصل العبري في ترجمته ومعنى ذلك ينبغي (٧) ان يكون النص العبري الذي ترجمه في ذلك الوقت :

עד כי	יבא	שלוח	ו לו	יקוה	עמים
عد كي	يابوء	شلوح	ولو	يقوه	عميم
حتى	يأتي	الرسول (الموعود)	وله	تنتظر	الأمم

ولكن الذي نجده في نسخ التوراة العبرانية المتداولة اليوم هو:

עד כי	יבא	שילוה	ו לו	יקהת	עמים
عد كي	يابوء	شيلوه	ولو	يقهت	عميم
حتى	يأتي	شيلوه	وله	تطيع	الأمم

والكلمات التي هي موضع الشاهد هي كلمة (شلوح) (שלוח) التي حرّفت الى كلمة(شلوه) (שלה) في التوراة السامرية و(شيلوه) (שילוה) في التوراة العبرانية وكلمة (يقوه) (יקוה) التي حرفت الى كلمة (يقهت) (יקהת) كما هو مبين في الجدول اعلاه .

فهل ان (جيروم) :

- ترجم لقراءة محتملة ترجحت لديه (٨) ؟

- او كانت نسخته شاذة ؟

- ام ان القراءة السائدة للاصل العبري في زمانه كانت كذلك ثم حرفت بعده ؟

احتمالات ثلاثة نبحثها كما يلي :

بطلان الاحتمال الاول والثاني :

ان كلا من الاحتمالين الاول والثاني لا بد من استبعادهما وذلك اذا اخذنا بعين الاعتبار المهمة التي كان يضطلع بها (جيروم) وهي تقديم ترجمة حرفية معتمدة للكتاب المقدس عن الاصل العبري مباشرة دون توسط الترجمة اليونانية (السبتوجنتا) التي كانت ترجمة بالمعنى، ان هذه المهمة تفرض عليه ان لا يعتمد على نسخة شاذة او خاصة بفرقة يهودية صغيرة، ولا على قراءة محتملة، واذا كانت بين يديه نسخ مختلفة فان خطورة المهمة تفرض عليه ان يشير الى اختلاف النسخ وهو امر متعارف عليه عند النساخ فضلا عن المترجمين وليس من المتوقع ان يجهله من مثل (جيروم) الذي وصف انه من اعظم علماء عصره، ولم يؤثر عنه شئ من ذلك .

رجحان الاحتمال الثالث :

ولم يبق لدينا الا الاحتمال الثالث وهو أن جيروم كان يترجم لقراءة سائدة ونسخة عامة معتمدة وليس لقراءة شاذة او نسخة خاصة بفرقة يهودية خاصة .

هذا مضافا الى ان التوراة العبرية التي ترجمها (جيروم) لم تكن مجرد نسخة حصل عليها خفية من مدرسة يهودية في فلسطين بل تسلمها من كهنة اليهود الذين تعلم على يدهم اللغة العبرية وقراءة النص التوراتي نفسه.

لقد اثيرت على ترجمة (جيروم) اشكالات في وقته بسبب الاختلافات بين النص الذي قدمه والنص اللاتيني المترجم عن النص الاغريقي الذي كان سائدا في زمانه .

فلو كانت هذه الاختلافات ناشئة من اعتماده على نسخة من التوراة ذات قراءة شاذة او كونها من فرقة خاصة لسجلت عليه ولكانت عقبة كؤودا امام انتشار ترجمته، غير انها كانت اختلافات ناشئة من تجاوزه للـ(سبتوجنتا) التي كانت ترجمة بالمعنى في كثير من الموارد، ومن هنا شقت ترجمتة طريقها في العالم المسيحي في الغرب واختفت الاعتراضات عليها، حتى اصبحت في فترة قصيرة الترجمة المعتمدة عند الكنيسة الرومانية (٩)، واستمرت كذلك عند الكنيسة الكاثوليكية الى اليوم نعم ظهرت في القرون المتاخرة ترجمات اخرى تستمد من الأصل الاغريقي والأصل العبري مباشرة (١٠).

وفي ضوء ذلك يمكننا القول:

بان النسخة العبرية التي بين ايدينا هي المحرفة في قبال النسخة العبرية التي ترجمها جيروم، وان التحريف قد حصل بعد عهد (جيروم) أي بعد القرن الخامس للميلاد .

<u>وهنا سؤالان امام الباحث:</u>

السؤال الأول: هل يوجد في الترجمات الاخرى ما يؤيد (الفولكاتا) ؟

السؤال الثاني: ما هو الحادث الجديد الذي دفع باليهود ككل الى تبني عملية التحريف ونشر النسخة المحرفة واخفاء او اتلاف النسخ الصحيحة نسبيا ؟

الإجابة على السؤال الاول:

اما بالنسبة للسؤال الاول فجوابه بالايجاب .

إذ أن كلا من (السبتوجنتا) و(البشيطتا) تتطابقان تماما مع ترجمة جيروم في النصف الثاني من الفقرة موضع البحث .

اما (السبتوجنتا) فإن النص فيها بحرفه اليوناني كما يلي:

ewz an elo ta apokeimna autw,
kai autoz prosdokia e tnon .

وترجمته بالانكليزية :

Until there come the things stored up for him ,
and he is the expectation of the nations .

وترجمته بالعربية:

(حتى يأتي الذي حُفِظَت الاشياء له ،
وهو يكون انتظار الامم غير اليهود) .

وهذا معناه ان التوراة العبرية التي كانت منتشرة في القرن الثالث قبل الميلاد التي ترجمت عنها (السبتوجنتا) في ذلك الوقت كانت فيها كلمة (يقوه) (يقوه) التي تعني (ينتظر) وليس كلمة (يقهت) (يقهت) التي تعني (يجتمع).

اما نص (البشيطتا) فحرفه السرياني كما يلي :

10 ܠܐ ܢܥܒܪ ܫܒܛܐ ܡܢ ܝܗܘܕܐ.
ܘܡܒܩܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܪ̈ܓܠܘܗܝ.
ܥܕܡܐ ܕܢܐܬܐ ܡܢ ܕܕܝܠܗ ܗܘ.
ܘܠܗ ܢܣܟܘܢ ܥܡ̈ܡܐ.

وترجمته بالانجليزية:

Until the coming of the one to whom the sceptre belong , the Gentiles shall look forword (١١).

وترجمته بالعربية:

(حتى مجيء الشخص الذي يعود لـه القضيب،
والذي ينتظره الامم غير اليهود)

ومما لا خلاف فيه ان (البشيطتا) أقدم من (الفولكاتا) فهي اذن لم تترجم عنها . وقد ذكروا ان (البشيطتا) مترجمة عن أصل عبري (١٢) او عن أصل يوناني و النتيجة لكلا الاحتمالين واحدة وهي ان التوراة العبرية التي ترجمت عنها (البشيطتا) كانت تحتوي علي كلمة (يقوه) (יקוה) التي تعني (ينتظر) وليس كلمة (يقهت) (יקהת) التي تعني (يجتمع) .

وبالتالي فان تحريفها في النسخة العبرية الى (يقهت) (יקהת) قد حصل بعد عهد (جيروم) ايضا.

الإجابة على السؤال الثاني:

ان اهم حادثة تعرض لها المجتمع اليهودي وكذلك المجتمع المسيحي بعد عهد (جيروم) هي بعثة النبي محمد (ص)، وقد ثبت تاريخيا ان يهود المدينة كانوا في اوائل البعثة وقبل تغيير القبلة مؤيدين للنبي وكانوا يذكرون ما لديهم من البشارات في حقه (ص) وقد احتج القرآن بموقفهم هذا على قريش تأييدا لنبيه المرسل محمد (ص) فقال:

(أَوَلَمْ يكُنْ لهمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الشعراء/١٩٧ .

ثم انقلب موقف اليهود بعد الهجرة وتغيير القبلة وصاروا يؤيدون قريشا في حربهم مع النبي .

وتصدى لهم القرآن وعرض لكثير من فضائحهم التاريخية وكشف عن اهم صفاتهم مع التوراة وهي تحريفهم لها في العهود التاريخية السابقة وفي عهد النبي الموعود الذين كانوا ينتظرونه ويبشرون به :

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) البقرة/١٤٦.(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) المائدة/١٣.

ثم حاربهم النبي (ص) لما عاونوا قريشا المشركة المحاربة له وخانوا عهودهم معه وبفعل ذلك هرب بعضهم واجلي البعض الآخر عن المدينة (وساروا باتجاه الشام (١٣)).

وفي ظل هذا الظرف الفكري والسياسي فان من الطبيعي جدا هو ان تتجه ظنون الباحث المحايد فضلا عن الباحث المسلم الى هؤلاء اليهود النازحين الى طبرية الذين يحملون تجربة حية في تأييد نبوة محمد (ص) ثم محاربتها بالسيف والقلم. النص التوراتي المتداول فعلا:

ومما يؤيد الباحث كباحث في هذا الصدد هو ما يذكره الباحثون بخصوص تاريخ النص التوراتي المتداول المضبوط بالحركات انما هو ناشئ بعد بعثة النبي لا قبلها.

جاء في مقدمة الترجمة الفرنسية للكتاب المقدس:

تطلق عبارة (النص المسوري) على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائيا في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح حين ازدهر في طبرية اشهر المسوريين وكانوا ينتمون إلى عائلة ابن اشير.

واقدم مخطوط (مسوري) بين أيدينا نسخ فيما بين ٨٢٠-٨٥٠ بعد المسيح (١٤) وهو لا يحتوي إلا على التوراة.

واقدم مخطوط كامل، وهو مخطوط حلب، قد نسخ في السنوات الأولى من القرن العاشر بعد المسيح.

أما نسخ الكتاب المقدس العبري الحالية، فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في (البندقية) في السنة ١٥٢٤ عن يد يعقوب بن حاييم.

كثيرا ما وقع التباس في النصوص الكتابية، لان الكتابة العبرية غالبا ما تهمل فيها الحركات، وفي القرن السابع (١٥) اهتدى الباحثون إلى وسيلة واضحة لكتابة الحركات، وللإشارة إلى علامات الفصل في الجمل، عن طريق النقاط والخطوط.

وهكذا دُوِّن خطيا تقليد حي للقراءة والتفسير كان قد انتشر في الدين اليهودي خلال الألف الأول من عصرنا، ويشهد له (الترجوم)، أي التفسيرات الآرامية التابعة للكتاب المقدس العبري (١٦).

خلاصة البحث في الفقرة (ب):

ان احتمال العلامة عبد الاحد في تحريف كلمة (شلوح) (شلوح) (الرسول) في الفقرة ١٠ من الاصحاح ٤٩ من سفر التكوين الى كلمة (شيلوه) (شيله) (الذي بخصه) قد حصل اشتباها وسهوا من قبل احد الناسخين ليس صحيحا، بل القرائن تؤكد عمدية التحريف من قبل علماء اليهود المعاصرين لبعثة النبي محمد (ص) بغيا وحسدا، و نص الفولكات اللاتينية المترجمة عن العبرية قبل البعثة من اهم هذه القرائن، ومن هذه القرائن ايضا تحريف كلمة (يقوا) في النص نفسه(التي تعني ينتظر) الى كلمة يقهت (التي تعني يجتمع) كما في الفولكات والسبتوجنت اليونانية والبشيطتا السريانية، ومنها ايضا ان النص المسوري مستحدث بعد بعثة النبي محمد (ص). ان الذي اوقع العلامة عبد الاحد في هذا الخطأ هو عدم اطلاعه على النص في الفولكات وعدم التفاته الى تلك القرائن، كما ان الذي دعا النصارى الى عدم متابعة اليهود في تحريف النص اعتقادهم ان النص يتحدث عن رسالة المسيح (ع) .

وفيما يلي جدول توضيحي بذلك :

الفقرة (ب) ومقارنتها بالنص اللاتيني، اليوناني، السرياني، العبري		
Vulgate الفولكات	Donec veniat qui mittendus est حتى يأتي المُزمَع أن يرسل،	et ipce erit expectatio gentium وهو يكون انتظار الأمم.
Septuagint السبتوجنت	ewz an elo ta apokeimna autw حتى يأتي الذي حفظت الأشياء له،	kai autoz prosdokia e tnon وهو يكون انتظار الأمم.
Peschitta البشيتطا	ܥܕܡܐ ܕܢܐܬܐ ܗܘ ܕܕܝܠܗ ܗܝ حتى ياتي الذي هي له،	خطأ! ܘܠܗ ܢܣܟܘܢ ܥܡܡܐ. وهو يكون انتظار الأمم.

Massoretic text النص العبري	עד כי יבא שילה الى أن يجيء الذي هو له،	ולו יקהת עמים واليه تجتمع الشعوب.

الفقرة (أ) من النص

לא יסור	שבט	מיהודא	ומחקק	מבין	רגליו
لا يسور	شبط	مي يهودا	ومحقق	مبين	رجليو
لا يزول	قضيب	من يهوذا	ولا مشترع	من بين	رجليه

قال بعض مفسري اليهود: ان قوله (ولا مشترع من بين رجليه): لا يريد به: مشرع من صلب يهوذا وانما يريد المشرع المطيع ليهوذا.

ومن هنا جاء في ترجمة اخرى :

لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا القيادة من بين رجليه.

والخلاف حول كلمة (ומחקק) (مْحَقّق) الواردة في الاصل العبري.

فقد ترجمتها (البشيطتا) الى مشرع ومشترع (lawgiver)

وترجمها علماء اليهود الى عالم (scholar) ـ(١٧) والى(legislation) (التشريع)(١٨).

وترجمها جيروم الى (dux) اي (ruler) (قائد، موجه).

وترجمتها السبتوجنتا الى (leader).

واصل الكلمة من (حاقَق) (חאקק): سنّ قانونا، ومنه كلمة (حوق) (חק) قانون، شريعة، و(حَقّا) (חק) دستور قانون و(حقيقا) (חקקא) (سن القوانين، تشريع).

وفي ضوء ذلك فان الحق مع من ترجمها الى (مشرع).

اما عبارة (من بين رجليه) فأصلها العبري كذلك ولفظه العبري (مبين رجلايو) (מבין רגליו) فقد ترجمها الاكثر من علماء اليهود بـ(النسل والذرية) (١٩).

تحريف آخر في النص :

الذي تحتمله جدا ان كلمة (يهوذا) في النص محرفة عمدا عن كلمة(يعقوب) (٢٠) .

وذلك :

لان عقيدة اليهود تقتضي ان يُحصرَ علماء الشريعة ومبيِّنوها بذرية هارون فهم مكرّسون لذلك ومن هنا حاول بعض (٢١) مفسري التوراة توجيه عبارة (مبين رجلايو) (מבין רגליו) وجهة اخرى فقال ان

هذه العبارة تعني (المشرعين المطيعين لـه)أي للملك من يهوذا أو(من تحت امره) أي من تحت امر الملك من يهوذا، وفي ضوئه يكون النص (لا يزول الصولجان من يهوذا، ولا مشرع جالس عند قدميه) أو (من تحت امره) وهذا التعبير لا يفرض ان يكون المشرع الوارد في النص من ذرية يهوذا.

غير ان هذا التوجيه خلاف ظاهر العبارة تماما، وخلاف الاستعمال التوراتي لـها إذ ورد نظيرها في سفر التثنية ٢٨:٥٨ (مبِين رجليها) (מבין רגליה) واراد به العضو التناسلي للمرأة، وفي قباله فان تعبير (مبين رجلايو) (מבין רגליו) اراد به العضو التناسلي للرجل وكنى به عن الذرية.

والى هذا المعنى الاخير ترجمها اونقيلوس في ترجومه وكذلك يوناثان في ترجومه وعبارتهما: (من ابناء ابنائه) (٢٢).

وإذا كان الامر كذلك فان النص الاصلي يفيد: ان الملك وحق التشريع لا يزولان من بيت يعقوب حتى يأتي الرسول الذي سيبعث للامم.

وبذلك يستقيم النص مع الواقع التاريخي لبني إسرائيل منذ عهد يعقوب (ع) إلى عيسى (ع) فان جميع الأنبياء والأوصياء من ذريته. اما مع كلمة (يهوذا) فان النص يصطدم بالواقع التاريخي إلا إذا أولناه تأويلا متعسفا.

بحث حول عبارة (و هو يكون انتظار الأمم)

عودة للفقرة (ب)

لفظة (الامم) مصطلح يراد به عند اليهود و النصارى: الشعوب غير الكتابية أي غير الموحدة أي الشعوب المشركة (٢٣).

جاء في معجم اللاهوت الكتابي تحت لفظة (امم) (Nations) .(٢٤) ما يلي:

ينقسم الجنس البشري في تصور (العهد القديم) الى قسمين:

الاول: شعب الله، (عم) (עם) بالعبرية و(laos) . (٢٥) باليونانية، ويختص بالاختيار والوعود الالهية.

الثاني: الامم، (جوييم) (גוים) بالعبرية (ethne: e tn) باليونانية.

وتشمل من لا يعرفون الله (الوثنيين) ومن لا يشتركون في حياة شعبه (الغرباء) (٢٦).

ان الاصل اللاتيني الذي ورد في الفولكات وترجم الى (Nations) (الامم) في بعض الترجمات الحديثة هو(gentium).

وقد جاء في القاموس اللاتيني تحت لفظة (جنتيوم) (Gentium) انها في اللاتينية الرومانية تعني الاجانب (foreigners) اما في اللاتينية الكَنَسيَّة فهي تطلق على غير اليهودي او المسيحي أي تطلق على الوثني (heathen) ، والمشرك (pagan) .(٢٧).

وفي الترجمة الانكليزية للبشيطتا (٢٨) المطبوعة سنة ١٩٥٧ استخدم المترجم لفظة (gentiles) في الفقرة موضع البحث:

to whom the gentile shall look forword.

وترجمته الحرفية:

(واياه ينتظر غير اليهود)

ويتضح من ذلك ان (شيلوه) (שילוה) / كما في العبرية المحرفة او (شله) (שלח) كما في السامرية المحرفة ايضا او (شلوح) (شلوح) أي (الرسول) كما في نسخة الفولكات اللاتينية/ ينتظره غير اليهود من الامم كما ينتظره اليهود انفسهم .

اما انتظار اليهود له فواضح من النص الذي جعل بعثة هذا الرسول علامة لزوال سيادة الشريعة الاسرائيلية بكل اشكالها .

اما انتظار غير اليهود له فتوضحه نصوص كثيرة /ستأتي في البحوث القادمة/ تبين انه ياتيهم بشريعة ونور من الله تعالى .

الفقرة ١٠ من الإصحاح ٤٩ بعد التحقيق

وفي ضوء نتائج التحقيق الآنفة الذكر تصبح الفقرة ١٠ من الاصحاح ٤٩ كما يلي:

(لا يزول القضيب من يعقوب ومبيّن للشريعة من ذريته حتى يأتي المزمع ان يرسل الذي ينتظره الامم غير اليهود) وبالتعبير القرآني الذي ينتظره الاميون .

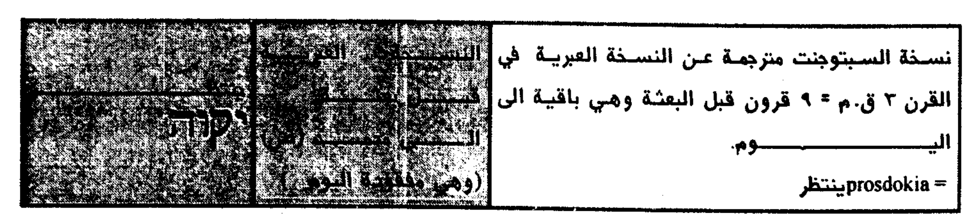
دلالة النص :

لا يوجد فرق جوهري بين النصين الاصلي والمحرف من ناحية الدلالة على: ان السيادة الدينية والشريعة الواجبة الاتباع في بني اسرائيل سوف تبقى حتى ياتي الشخص الالهي الموعود الذي سيبعثه الله تعالى من غير بني اسرائيل فإذا جاء هذا الشخص زالتا من بيت يعقوب وصارتا الى هذا الشخص .

نعم هناك فرق بينهما من ناحيتين :

الاولى: النص المحرف يذكر يهوذا والنص الاصلي المفترض حسب دراستنا يذكر يعقوب.

الثانية: النص الاصلي يفيد ان هذا الشخص الالهي الذي سيأتي في المستقبل هو رسول من الله موعود به، وعدم دلالة النص المحرف على ذلك صراحة.



نسخة السبتوجنت مترجمة عن النسخة العبرية في القرن ٣ ق.م = ٩ قرون قبل البعثة وهي باقية الى اليـــوم. = prosdokia ينتظر	النسخة العبرية قبل [illegible] التي [illegible] (وهي مفقودة اليوم)	[illegible]

نسخة البشيطا مترجمة عن النسخة العبرية في القرن ٢ ب .م = ٤ قرون قبل البعثة وهي باقية الى اليوم. نسبون = ينتظر		
نسخة الفولكات مترجمة عن النسخة العبرية في القرن ٤ ب. م = ٢ قرن بعد البعثة وهي باقية الى اليوم. Expectatio = ينتظر		
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ المائدة/١٣	النسخة العبرية بعد بعثة النبي محمد (ص) والى اليوم	يجتمع יקהת

النسخ القديمة الثلاث للعهد القديم وهي نسخة السبتوجنت (ق٣ ق.م) ونسخة البشيطتا (ق٢ ق.م) ونسخة الفولكات اللاتينية كلها اخذت عن النسخة العبرية قبل بعثة النبي محمد (ص) بعدة قرون. والذي نجده في هذه النسخ الثلاث هو: أن الفقرة ١٠ من الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين تحتوي على كلمة (ينتظر).

ومعنى ذلك ان النسخة العبرية التي كانت قبل البعثة وعند البعثة كانت تحتوي على كلمة (يقوه) (يقوه) التي تعني (ينتظر) ومن المفروض اننا نجدها في النسخة العبرية المتداولة ما بعد البعثة ايضا غير ان الذي وجدناه هو كلمة (يقهت) (يقهت) التي تعني (يجتمع). وهذا أوضح نموذج لوقوع التحريف اللفظي في النص العبري المتداول، اما ان هذا التحريف هل كان عمديا او من سهو القلم فقد اتضح في البحث أنه كان عمديا.

هوامش كلام العلامة البدري:

(١) وهي موجودة في مكتبة المتحف البريطاني باسم biblia sacra Arabia رقم ٣ ٤ b .

(٢) قال في لسان العرب الزَّمَع والزّماع: المَضاء في الأمر والعزم عليه. وأزمع الأمر وبه وعليه: مضى فيه فهو مزمِع وثبت عليه عزمه. . والزميع: الشجاع المقدام الذي يزمع الأمر ثم لا ينثنيه عنه وهو أيضا الذي إذا هم بأمر مضى فيه.

(٣) (سبتوجنتا) (Septuaginta) (Septuagint): لفظة يونانية معناها الحرفي (السبعونية) نسبة الى السبعين عالما يهوديا الذين قاموا بترجمة التوراة في القرن الثالث قبل الميلاد تحت رعاية بطليموس فيلادلفوس .

(٤) انظر (Jerome ، (Vulgate)، Encyclopedia Bretanica) .

(٥) انظر قاموس الكتاب المقدس لفظة (الكتاب)، وايضا :

The Interpretters Dictionaary of The Bible , versions, Ancient .

(٦)Holy scripture of the old and new testament in the original tongues .

وايضا في مجموعة باريس المطبوعة سنة(١٦٤٥) و مجموعة لندن المطبوعة سنة ١٦٥٧م.

رقمه في مكتبة المتحف الانكليزي :

BIBLIA HEXAGLOTA mdccclxxiv.

(٧) اقول: هذا بناء على الاحتمال الثالث الذي اثاره العلامة عبد الاحد. وقد بينا سابقا ان كلمة (رسول) يقابلها في العبرية صيغ اخرى من مادة (شلح) وهي كلمة (مشلح) وكلمة (شليح) ولها مرادفات من قبيل: (צִיר) (מבשר) وغيرها وكلها ممكنة والنتيجة واحدة .

(٨) ذهب الى الاحتمال الاول باحث يهودي معاصر هو: Samson H. Levey.

(٩) (Interpretters Dictionaary of The Bible The) وفي قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان الفولكاتا قالوا: وما برح العالم المسيحي والكنيسة مدينين له (أي لجيروم) فيه (أي في عمله الترجمي هذا) دينا عظيما .

(١٠) ان اتجاه ترجمة العهد القديم من النسخة العبرية المتداولة عند اليهود فعلا هو السائد عند المسيحيين فعلا بسبب تصور خاطئ مفاده ان النسخة العبرية هي اقدم النسخ لكون العبرية هي اللغة الاصلية للتوراة وسيتضح في البحث اين مكمن الخطأ.

(١١) (The Holy Bible from Ancient Eastern Manscripts containing the old and New Testament translated from the peshetta , the autherized bible of the church of the east ،

(١٢) جاء في (Interpreters Dictionary Of The Bible The) تحت لفظة (The peschetta) ان العهد القديم من البشيطتا وبخاصة الاسفار الخمسة الاولى ربما ترجم من قبل يهود او يهود متنصرين وهذا الرأي اقيم على اساس قرب نص البشيطتا من النص العبري وترجوم اونقيلوس .

(١٣) انظر الموسوعة اليهودية (Enc. Of Judica) وايضا كتب السيرة النبوية غزوة بني قينوقاع .

(١٤) وهذا يعني ان الأصل الذي انتشرت عنه كل نسخ التوراة المعاصرة انما هو اصل كتب بعد بعثة النبي (ص) بمائة سنة على الأقل وفي الأجواء الإسلامية .

(١٥) أي في عهد بعثة النبي (ص) وترجح تبعا لما ذكره القرآن عن يهود المدينة ان بداية تحريف الكلم عن مواضعه كانت من قبلهم وبتأثيرهم حين ذهب قسم منهم الى طبرية وفي القرن العاشر الميلادي أي بعد ثلاثة قرون تقريبا استقرت عملية تحريف الكلم بواسطة الحركات .

(١٦) الكتاب المقدس طبعة دار المشرق ١٩٩١م المدخل ص٥٢ وقد ذكروا ان المدخل مأخوذ من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس .

(١٧) التوراة الخماسية وايضا(The ArtScroll Tanach Series Vol ١(b))

(١٨) التوراة الحية وايضا (The ArtScroll Tanach Series Vol ١(b))وذكر هذا المصدر الأخير ان المفسر (راداك) (Radak) وضح ان (محوقق) يرجع الى القادة الذين هم مشرعون، وقد ترجمها الى (معلمي الشريعة) اصحاب الترجومات المعروفة انظر :

The Aramaic Bible volume١A, TargumNeofiti ١: Genesis by martin Mcnamara. Notes,Chapter ٤٩ Note ,٢٤ p٢٢٠).

(١٩) كما في التوراة الحية والتوراة الخماسية. وأيضا في :

The ArtScroll Tanach Series Vol ١(b)

لمترجمين معاصرين وكما ترجمها من قبل اونقيلوس (ولا مشرع من ابناء ابنائه) والترجوم المنسوب الى يوناثان (من بذرته) وغيرها .

(٢٠) وقد حصل هذا التحريف في تقديرنا في عهد ما بعد سليمان حيث سيطر ذريته على الملك واغتصبوه من وصي سليمان الذي كان من ذرية هارون .

(٢١) والمعروف ب (Radak) كلمة منحوتة من(R. David Kimchi) انظر :

The ArtScroll Tanach Series Vol ١(b).١١٦٠-١٢٣٥

وايضا التوراة العربية ضمن مجموعة لندن وباريس وهي على الاكثر ترجمة سعاديا وترجمته هي: (والرسم من تحت امره) .

(٢٢) The Aramaic Bible Vol. ١B , Targum Pseudo-Jonathan Genesis , Midhael Maher ،

(٢٣) من الواضح ان مصطلح (الامم) بالمفهوم اليهودي والمسيحي يقابله مصطلح (الاميون) في القرآن الكريم قال تعالى (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(آل عمران٢٠).

وهناك معنى آخر للاميين استعمل القرآن اللفظة فيه وهو معنى (الذي لا يقرأ ولا يكتب) كما في قوله تعالى (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)البقرة٧٨.

(٢٤) اللفظة الانكليزية المستعملة للتعبير عن المفهوم اليهودي والمسيحي للامم هي (Gentiles) انظر قاموس (المغني الكبير)، وايضا (Websters internatkoinal dictionary) وفي هذا الاخير: يذكر انها من اللاتينية المتأخرة(أي اللاتينية المسيحية) وتعني فيها: الاجنبي (foreigner) ،عابد الصنم(heathen) .

(٢٥) جاء في القاموي الاغريقي (The Intermediate Greek Lexicon) ان لفظة (Laos) أطلقت في العهد الجديد على اليهود ثم على المسيحيين أخيرا في قبال لفظة (heathens) التي نطلق على الكفار او عباد الاصنام .

(٢٦) معجم اللاهوت الكتابي بيروت دار المشرق ١٩٨٦م.ص ١٠٣ .

(٢٧) A Latin Dictionary ,Lewis Short .

(٢٨) The Holy Bible from Ancient Eastern Manuscripts containing the old and New Testament translated from the peshetta , the authorized bible of the church of the east .by George M. Lasma A. J. holman dompany Philadelphia.

من أجل تثبيت ان النص يشير الى نبوة محمد (ص) دون غيره نشير الى الملاحظات التالية:

١- ان ذرية يعقوب قد تسلمت نبوءة من النبي يعقوب عرضها عليهم بصيغة وصية عند موته مفادها: ان النبوة مصدر السيادة الدينية والتشريع الإلهي سوف لن تنقطع من ذرية يعقوب حتى يأتي الرسول الذي ينتظره غير اليهود (الأميون) .

خضوع شعوب).

والمعنى: أن آل يهوذا لا يزول منهم الملك والأنبياء، وهم الشارعون ،حتى يأتي شيلون وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي به تختم النبوة وتنتقل منهم إليه ويزول كل ملك لهم كان في الأرض، وقد وقع ذلك كما أخبر يعقوب عليه السلام فإن مملكة يهوذا وإن كانت زالت سنة ٥٨٦ ق م وقت انتهاء سَبْي بختنصر لهم إلى بابل إلا أنهم عادوا بعده إلى بلادهم وعاد لهم شيء من القوة تحت حكم الدول الأجنبية واستقلوا في زمن المكابيين، ثم خضعوا للرومان الذين شتتوهم في الأرض ومحوا أورشليم لكنَّ جمهورًا عظيمًا منهم ذهبوا إلى بلاد العرب لقربها وحريتها وهوّدوا بعض أهلها كقبيلة كنانة والحارث بن كعب وكندة وصار لهم فيها أراض واسعة عامرة وحصون وأملاك وأموال وكانوا فيها ذوي قوة كبيرة غير خاضعين لأحد مطلقاً بل كانوا مستقلين في حرية تامة، فلما جاء محمد صلى الله عليه

٢- تحققت هذه النبوءة تاريخيا حيث انحصرت النبوات بعد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (ع) في ذرية يعقوب لمدة الفي سنة ولم يبعث من غير بني إسرائيل أحد في هذه الفترة وكان آخر أنبياء بني إسرائيل هو عيسى (ع).

٣- بعد الفي سنة من استمرار النبوة في بني إسرائيل وانقطاعها بعيسى (ع) وبعد ستمائة سنة من بعثة عيسى (ع) ووضوح انقطاع النبوة في بني إسرائيل ظهر رسول في القبائل الأمية من ذرية إبراهيم :(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(الجمعة٢) وقد ادعى هذا الرسول انه (الرسول الموعود) وانه خاتم الأنبياء والرسل وتحقق على يد هذا الرسول الخاتم الموعود وامته ما لم يتحقق على يد من سبقه من أنبياء بني إسرائيل والكيان الإسرائيلي خلال الفي سنة من نشر شريعة الله بين الأميين ثم تفوق المؤمنين منهم في حمل هذه الشريعة ونشرها في العالم بالشكل الذي لم يستطع فعله الكيان اليهودي الذي استمرت فيه النبوة الفي سنة ولا الكيان النصراني الذي ادعى إن الرسول الموعود هو عيسى .

٤- من اجل تأكيد انطباق البشرى على نبينا محمد (ص) لا بد من مواصلة دراسة بقية النصوص في الكتاب المقدس التي تتحدث عن رسول يبعث لغير اليهود إبراهيم أي القبائل الإسماعيلية) ينتظرونه كوعد الهي لهم يبعث في القبائل الأمية من ذرية مكة ويهاجر إلى المدينة، وكذلك ينتظره اليهود والنصارى كوعد الهي لانتهاء أمد نفوذ سيادتهم وشريعتهم المستندنين إلى النبوة.

انتهى ما نقلته من كلام العلامة البدري، (خ).

وسلم انمحت كل سلطة لهم في الأرض وتشتتوا في العالم وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وصاروا في كل إقليم خاضعين لغيرهم ضعفاء مضطهدين .

أما من جهة النبوة والشرع فكانت الأنبياء تترى فيهم حتى جاء المسيح عليه السلام هو منهم أيضًا وتبعه تلاميذه من اليهود، وكانوا أيضًا أنبياء ملهمين - كما يقول النصارى - وتصرفوا كثيرًا في الشريعة الموسوية كما يظهر من كتب العهد الجديد .

فلم ينته ملكهم وأنبياؤهم وتُنسخ كتبهم وشرائعهم إلا بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم الذي به انتهى كل أثر من آثار ملكهم ولم يظهر فيهم أي نبي بعده .

وقول النصارى: إن هذه نبوة عن المسيح، يرده أن ملك اليهود بقي في بلاد العرب بعده وظهر فيهم أنبياء (وهم الحواريون) كانوا يشرِّعون لهم في الدين .

فمحمد أحق بها من المسيح عليه السلام .

ومما يؤيد ذلك أن كلمة (شيلون) العبرية معناها - كما قالوا - أمان وسلام ولا يخفى أن دين محمد صلى الله عليه وسلم يسمى الإسلام قال تعالى: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) (البقرة: ٢٠٨)، وتحية المسلمين: (السلام عليكم)، يقولونها دائمًا في صلواتهم وفي مقابلة بعضهم بعضًا، وهم مأمورون بإفشاء السلام في الأرض، وفي مسالمة جميع الأمم إلا من بدأهم بالبغي والعدوان، فهم أمان وسلام للناس كافة إلا المعتدين، أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .

وهذه الكلمات (السِّلم - بكسر السين وفتحها - والإسلام والسلام) كلها من مادة واحدة ومتقاربة في معنى الصلح والأمان والطاعة، وعليه فهذه البشارة صريحة في محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي ذكر فيها باسمه فكأن يعقوب قال: (إن ملك اليهود لا يزول تمامًا وأنبياؤهم لا تنتهي إلا إذا جاء (الإسلام) أو (صاحب الإسلام) صلى الله عليه وسلم، وقد كان ذلك كما قال في آخر الأيام أو

آخر الزمان [1].

ومن المعلوم أن المسلمين يسمون نبيهم (خاتم النبيين) و (نبي آخر الزمان) و (صاحب الإسلام) و (مفشي السلام) فأي تطابق أكمل وأتم من هذا في تفسير هذه النبوة العظيمة على محمد ودينه ؟!

وأي نبوة للنصارى في المسيح أصرح من هذه؟

اللهم أنر بصائرهم حتى يؤمنوا بدينك الإسلام وبنبيك صاحب السلام الذي بشرهم به يعقوب من قديم الأزمان .

أما المسيح فما جاء، كما قال: ليلقي سلامًا على الأرض بل جاء ليلقي سيفًا (متى ١٠: ٣٤) وقد كان ذلك كما سبقت الإشارة إليه، فإن ما وقع من أتباعه ويقع منهم إلى الآن وما يخترعونه من الآلات المهلكة للنفوس المبيدة لبني البشر لم يقع مثله من أمة أخرى سواهم .

البشارة السابعة :

قال دانيال مخاطبًا بختنصر ومفسرًا له رؤياه(٢: ٣١-٤٥):

(أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم، رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقه من حديد، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف، كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا .. ... . أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيرًا وملأ الأرض كلها هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك .

أنت أيها الملك ملك الملوك؛ لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتدارًا وسلطانًا وفخرًا .. .. فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك

---

[1]: راجع:(تكوين ٤٩: ١٠) .

ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد .. .. ..، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويًّا والبعض قصمًا، وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدًا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب ..) .

الحلم حق وتعبيره يقين؛ فالمملكة التي قامت بعد بختنصر هي مملكة الفرس التي أسسها كورش وكانت دون مملكة بابل والمملكة الثالثة التي كالنحاس هي مملكة اليونان، وقد تسلط الإسكندر الأكبر مؤسسها على كل الأرض المعروفة كما قال دانيال والرابعة هي الدولة الرومانية التي انقسمت إلى قسمين كما انقسم ساقا التمثال، وكانت فيها قوة الحديد مختلطًا بخزف الطين وهو كناية عن الملوك الضعفاء فيهم وفي أيام ملوك هذه الدولة بعد انقسامها أقام إله السماوات مملكة الإسلام التي لن تنقرض أبدًا، وقد سحقت كل هذه الممالك وثبتت هي إلى الأبد كما قال دانيال .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذي قطع لا بيد أحد بل بالقدرة الإلهية من الجبل وسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب وصار جبلًا كبيرًا وملأ الأرض كلها وفي ذلك أيضًا إشارة إلى منشئه في القفر وبين الجبال .

وقد استولت أمته على ما ملك بختنصر والفرس واليونان والرومان ولا تزال جميع أراضي هذه الممالك في أيدي أمته إلى اليوم رغمًا عن ضعفها المؤقت وهي التي أفنت الدولة الرومانية واستولت على القسطنطينية عاصمة ملكها حتى هذه الساعة .

والدولة الإسلامية هذه قد ظهرت في أيام ملوك الدولة الرومانية كما قال دانيال

(٢: ٤٤) وبعد انقسامها (٢: ٤١) وبعد أن كان فيها قوة من الحديد مختلطة بقوة من الخزف .

ودولة الإسلام قد أقامها الله في الأرض وثبتها حتى أفنت كل هذه الممالك وستثبت إلى الأبد حسب هذا الوعد الإلهي (٢: ٤٤) .

هذا هو التفسير الصحيح لهذه النبوة وهو ينطبق على حروفها أتم الانطباق ولا يوجد لها تفسير غيره .

وإن خالف النصارى فليخبرونا. هل يُعقل أن دانيال يتكلم على هذه الممالك الأربعة: مملكة بابل والفرس واليونان والرومان، ويترك المملكة الإسلامية التي سحقت كل هذه الممالك واستولت على جميع أملاكها إلى عصرنا هذا؟

فهل غاب ذلك عن علم الله أو حصل بغير إرادته أو نسي أن يذكره؟

مع أنه هو الذي أقامها بنفسه كما قال دانيال، وقضى أنها تفني كل هذه الممالك وأن تثبت إلى الأبد .

فإن قيل: إن المراد بذلك دولة النصارى، أي الدولة الرومانية بعد اعتناقها المسيحية.

قلت: إن الدولة الرومانية صارت مسيحية في عهد قسطنطين أي قبل انقسامها مع أن صريح كلام دانيال أن الدولة المرادة بكلامه يقيمها الله بعد انقسام الدولة الرومانية وبعد وجود قسمين فيهما الضعيف والقوي .

والدولة المسيحية لم تُفْنِ الدولة الرومانية ولم تسحقها بل هي هي وقد ابتدأ الضعف فيها بعد اعتناقها المسيحية حتى صارت أضعف مما كانت في زمن وثنيتها إلى أن أزالتها دولة الإسلام واستولت على جميع أملاكها تقريبًا وعلى جميع ممالك الدول الأخرى المذكورة ولا تزال هذه الأراضي كلها في أيدي المسلمين إلى اليوم فهل ثبتت الدولة الرومانية المسيحية إلى الأبد كما قال دانيال، وهل سحقت الدول الأربعة القديمة واستولت على ملك بابل وفارس وغيرهما؟ أم هي التي سحقها الإسلام واستولى على عاصمة ملكها (القسطنطينية) وحول كنائسها

مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وحده كثيراً؟

وهل الدولة الرومانية المسيحية هي التي سحقت وأفنت دولة الفرس (العجم) كما قال دانيال ٢: ٤٤ أم هي دولة الإسلام؟

وهل نسوا إنغلاب الرومان أمام الفرس عدة مرات واستيلاء الفرس على كثير من أراضيهم حتى هددوا القسطنطينية نفسها وحاصروها؟

وما هو هذا الحجر الذي قطع صغيرًا وسَحق هذه الممالك كلها وصار جبلاً كبيرًا حتى ملأ الأرض كلها؟ أليس هو محمد صلى الله عليه وسلم؟

وهو الذي بدأ صغيرًا ثم صار كبيرًا حتى محق دولتي الفرس والرومان واستولى على أملاكهما وعلى تيجان ملوكهما وملأ أراضيهما بالإسلام لله وعبادة الرحمن منذ افتتاحهما إلى الآن؟ فأين النصرانية التي ثبتت في أراضي تلك الممالك القديمة إلى الأبد؟

ولا يصح الاعتراض علينا بضعف المسلمين الحالي فإن الإسلام له فترات فيكون أحيانًا ضعيفًا وأحيانًا قويًّا، ونحن الآن في فترة من الضعف زائلة لا محالة بحول الله تعالى .

على أن الدين الإسلامي نفسه من أقوى الأديان في الأرض، إن لم نقل أقواها فإنه أشد أخذًا بقلوب أتباعه من كل دين سواه وأسهل انتشارًا وأسرع حتى كاد يغلب غيره في أكثر بقاع الأرض على حداثة عهده كما يشهد بذلك المبشرون أنفسهم، ولا توجد أمة أشد تمسكًا بدينها من المسلمين، فإن النصارى وإن انتمت اسمًا إلى المسيحية لكنهم أبعد الناس عن العمل بها، وترى جمهورهم لا يعمل إلا بما ناقض أصولها على خط مستقيم، فالفرق بين المدنية الأوروبية وتعاليم الأناجيل واضح لا يحتاج لدليل .

ومن حسن التطابق بين النبوات بعضها مع بعض أن داود والمسيح سمّيا محمدًا حجرا أيضًا كما سبق (متى ٢١: ٤٢ ومز ١١٨: ٢٠) .

والخلاصة :أن تفسير نبوة دانيال هذه بغير تفسيرنا هذا إنما عين المكابرة والتعسف والعناد .

ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذبًا لَمَا ذكره الله على ألسنة أنبيائه بهذه الصورة بل لأكثر من ذمه وتقبيحه وتحذير الناس منه كما حذر عيسى عليه السلام من الكذابين الذين ظهروا بعده وأفسدوا دينه .

البشارة الثامنة :

سفر نشيد الإنشاد، هذا السفر قالت فيه اليهود: إنه رمز لأورشليم، وقال النصارى: إنه للكنيسة المسيحية، أما نحن فنقول :

إنه رمز إلى محمد صلى الله عليه وسلم والأمة العربية .

ومما ينقض قول اليهود قوله في الإصحاح ٦ عدد ٤ :(أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة كأورشليم) فلا يصح أن تكون أورشليم مشبهة بنفسها بل لا بد أن يكون المشبه شيئًا آخر غير أورشليم .

أما ما يُثبت قولنا أن هذا السفر هو في حق مُحمد وأمته العربية ما يأتي:

١ - قوله(١: ٥ -٨):(أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان، لا تنظرن إليّ لكوني سوداء؛ لأن الشمس قد لوحتني بنو أمي غضبوا عليّ، إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة) .

وقوله (٢: ٨): (صوت حبيبي هو ذا آتٍ طافرًا على الجبال قافزًا على التلال) وكل ذلك إشارة إلى سُكنى العرب في الصحاري والقِفار بين الجبال والتلال ورعيهم المواشي والأنعام وسكناهم في الخيام السود كخيام (قيدار) وهو ابن إسماعيل الثاني (تك ٢٥: ١٣) وهو أب لأشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم أيضًا قيدار (أش ٢١: ١٦ وأر ٤٩: ٢٨) فكانت خيامهم كخيام أبيهم تمامًا، وقد اسود لونهم من تأثير الشمس كما قال لكثرة تعرضهم لها، وإنما ذكر شقق سليمان هنا أي ستائره لشهرتها بالجمال والأُبَّهة والفخامة، أما قيدار فلا مسوغ لذكره إلا كونه

أباهم .

(٢) وقوله ٢: ١٤ (يا حمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك؛ لأن صوتك لطيف ووجهك جميل) فيه إشارة أيضًا إلى سكناهم بين الصخور الجبلية كما كانوا يفعلون وقوله: (صوتك لطيف) أصله العبري (صوتك عيرب) أي عربي وهو صريح في أن لغتهم عربية .

وقوله: (أسمعيني صوتك) إشارة إلى اسم أبيهم (إسماعيل) و (يشمع ايل) ومعناه (الله يسمع) فهو يسمع لأبيهم ويطلب منهم أن يُسمعوه صوتهم العربي؛ لأنه سميع لهم جميعًا ومجيب ويحبهم، وقد كرر ذلك أيضًا فقال ٨: ١٣ (أيتها الجالسة في الجنات الأصحاب يسمعون صوتك فاسمعيني) ولعله يريد أن يسمعوه صوتهم العربي في تلاوة القرآن .

وهم يسمون عند اليهود بالإسماعيليين كما في تك ٣٧: ٢٥ أي الذي يسمعهم الله.

ولا تنسَ التطابق العجيب بين لفظ (الأصحاب) وبين اسم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

هذا وقد بشرت كتبهم أيضًا بالخلفاء الراشدين الأربعة فقال زكريا(١: ١٨ -٢١):

(فرفعت عيني ونظرت وإذا بأربعة قرون، فقلت للملاك الذي كلمني: ما هذه؟ فقال لي: هذه هي القرون التي بددت يهوذا وإسرائيل وأورشليم، فأراني الرب أربعة صناع، فقلت جاء هؤلاء ماذا يفعلون؟ فتكلم قائلاً: هذه هي القرون التي بددت يهوذا حتى لم يرفع إنسان رأسه .

وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم وليطردوا قرون الأمم الرافعين قرنًا على أرض يهوذا لتبديدها) أما القرون الأربعة فهي باعترافهم مملكة الكلدان والفرس واليونان والرومان كما في حاشية الكاثوليك على الكتاب المقدس وأما الصناع الأربعة الذين أرعبوا تلك الأمم وطردوهم فهم بلا شك الخلفاء الراشدون، فإن مملكة الكلدان والفرس صارتا مملكة واحدة، وكذلك اليونان والرومان، وقد استولى الخلفاء الراشدون على ممالك تلك الدول وعلى أرض يهوذا التي كانوا بددوها

كما لا يخفى .

والمسلمون قد جاءوا من بلاد العرب وبنوا هيكل أورشليم بعد أن كان أحرق وأبيد؛ ولذلك قال زكريا (٦: ١٥): (والبعيدون يأتون ويبنون في هيكل الرب فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم ويكون إذا سمعتم سمعًا صوت الرب إلهكم .. ..) فكل ذلك بشارة بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقد سماهم بهذا الاسم في سفر نشيد الإنشاد كما سبق (٨: ١٣) .

٣- قوله(٥: ١٦):(حلقه حلاوة وكله (مشتهيات) هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم) وأصل كلمة (مشتهيات) بالعبرية (محمديم) ومعناها (محمد أو محمود) وهو نص صريح قاطع على أن المراد بهذا السفر هو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فأي تصريح بعد هذا يريدون؟ وأي نبوة عندهم عن المسيح أصرح من هذه؟ ومعنى (حلقه حلاوة) أن كلامه عذب جميل، وهو إشارة إلى فصاحته وبلاغته المشهورة .

وهو صلى الله عليه وسلم كله (محمود) محبوب فلهذا قال (هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي) ولذلك يسميه المسلمون (حبيب الله) فاسمعوا ذلك يا أهل الكتاب يا أبناء أورشليم وآمنوا برسوله وحبيبه محمد المحمود تفوزوا برضاء الله مع الفائزين .

الله أكبر ولله الحمد على هدايته لنا لدين خير الخلق حبيب الرحمن عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا القدر كفاية لمن فتح الله عين بصيرته ولم يُعمه التعصب أو زخرف هذه الحياة الدنيا عن رؤية الحق فنزه عقله عن المكابرة والتعسف الباطل والتكلف البارد .

وقد بقيت هذه البشائر في كتب أهل الكتاب حجة عليهم إلى يوم القيامة رغمًا عن تلاعبهم فيها مصداقًا لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ): (الأعراف: ١٥٧) .

كتب هذه الرسالة الدكتورمحمد توفيق صدقي في ٤ مارس سنة ١٩١٢م.

حررها وقدمها وعلق عليها خالد محمد عبده في يناير سنة ٢٠٠٦م.

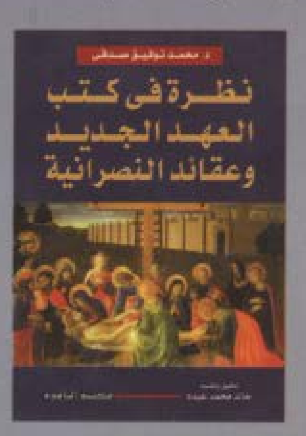


بشائر عيسى ومحمد

فى العهد القديم والعهد الجديد

إصدارات مكتبة النافذة للدكتور محمد توفيق





I.S.B.N. 977-436-013-3



مكتبة النافذة